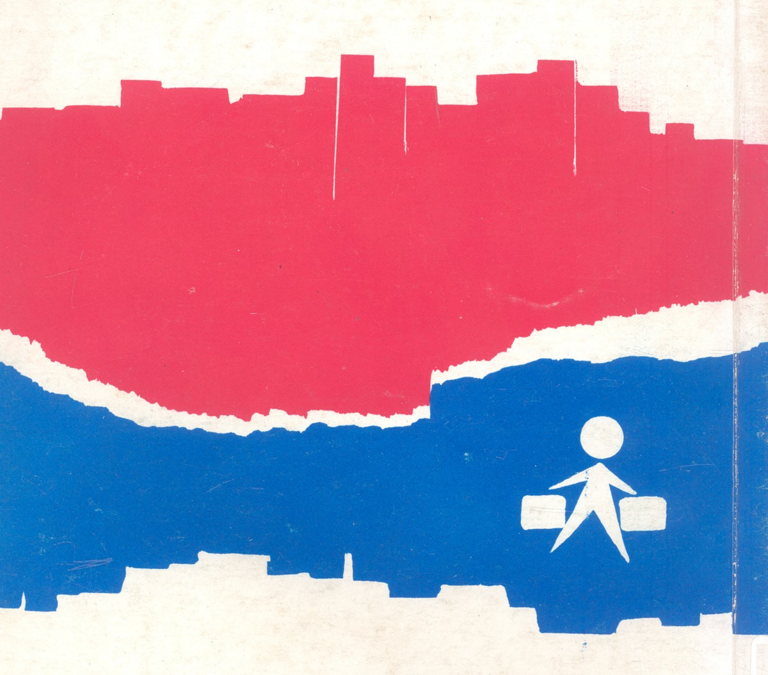
محمود عوض



# مصرى.. بمليون دولار!

أول تحليل لحياة المصريين المهاجرين فى كندا وأمريكا

محمود عوض

# مصري .. بمليون دولار !



مكتبة الانجلو المصرية

الغلاف بريشة الفنان مصطفى حسين

# مقدمة

لو قدر لى ان اكتب هـذا الكتاب منذ مائة وخمسين سنة فقط لكان يجب أن يكون عنوانه : « الدفع المتين فى شرح أحوال المساكين، من المصريين ، الذين يعيشون فى بلاد الافرنج والامريكيين » تضحك؟ ابدا . فمنذ مائة وخمسين سنة فقط كان أى شخص يعصى الدهر ويركب البر والبحر يعتبر مهاجرا . منفيـا وليس مهاجرا ، انه ـ حتى ـ لم يكن يعتبر مسافرا ، ولا مغتربا . كان يعتبر .. مهاجرا .

منذ مائة وخمسين سنة كان المصرى اذا ترك بيت أسرته ليسكن فى الشـارع المجاور يعتبر .. مغتربا .. اذا ترك القرية وسـافر الى القاهرة فهو .. مهاجر .. اذا ترك القاهرة وسافر الى لندرة او مرسيليا فهو مفقود . ضائع . مسـافر الى بلاد الفرنجة . انه مسكين انسان يستحق الرثاء . الشفقة . الرحمة . العـزاء انه جلفر فى بلاد العمالقة . انسان فى دنيا من الاشباح والعفاريت .
هل تريد مثلا ؟ حسنا .

منذ مائة وخمسين سنة سافر رفاعة الطهطـاوى ـ مصرى ـ الى باريس . انه يسـجل فى كتـابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » انطباعاته عن حيـاة الفرنسـيين انه يقول : معلوم أن الفرنساوية يتكلمون بالفرنسية . طبعا . ولـكنه بعد ذلك منبهر لانهم يستخدمون عربات لرش الشوارع بالميـاه . منبهر لانهم يجلسون على كراسى ولايجلسون على الارض . منبهر لانهم يحبون النظافة ، مع انهم ليس عندهم « .. ذرة من الايمان » منبهر لانهم لاياكلون بايديهم ، وانما يستخدمون شوكة وسكينا . منبهر لانهم ينامون على « .. شىء مرتفع يسمى سرير » . منبهر لان المقـاهى عندهم « .. ليست مجتمعا للحرافيش ، بل هى مجتمع لارباب

الحشمة » . منبهر لان لديهم « .. تذاكر يومية مسـماة جرنالات جمع جرنال .. ماذون فيها لسائر أهل فرنسا ان تقول مايخطر لها » ..

ماذا حدث بعد مائة وخمسين سنة ؟ ماذا الآن ؟

ان الصورة تغيرت تماما . تغيرت جدا .

منذ عدة سنوات سافرت الى نيويورك ـ أمريكا ـ ومونتريال ـ كندا . وفى كل مرة كنت أسمع فى المدينتين هذه الكلمات : بونجور .. جوتين تاج .. جود مورننج .. بونجورنو .. بوينوس ديياس .. هالو .. جودا .. أوهايو ..

كلمـات كثيرة بالفرنسية والالمانيـة والانجليزية والايطاليـة والاسبانية والهولندية والدانمركية واليابانية

كلمات كثيرة ـ ولكنها كلها تعنى كلمـة واحدة عربيـة صباح الخير .

الآن تستطيع أن تسمع « صباح الخير » هذه ـ بلغتهـا العربية هـذه .. فى تلك البلاد .. الآن سـوف ترى مصريين هنـاك ، مهاجرين هناك ، ناجحين هناك ، قدما بقدم .. مع كل الجنسيات التى سبقتهم بالهجرة الى تلك البلاد .

اننى كنت ألتقى بهم يوميا ـ على امتداد الاشـهر الاربعة التى قضيتها فى كندا وأمريكا . كنت أراهم فى العمـل .. فى البيت فى خارج البيت .. وحدهم أو مع زوجاتهم . وفى كل مرة كنت ألتقى بهم كان السؤال الذى يثور فى ذهنى دائما :

هل هؤلاء المصريون يختلفون كثـيرا فى انطبـاعاتهم عن رفاعة رافع الطهطاوى ، الذى سافر كمبعوث وليس مهاجرا ـ منذ ١٥٠ سنة ؟

اقول الحق ..

انهم يختلفون .. ولا يختلفون .

ان الفارق مازال هناك . ولكن الانبهار بتلك الدنيـا الاخرى خارج الحدود اصبح مجرد دهشة . شعور بالدهشة .. ربما يحس به المصرى لمدة خمس دقائق . بالكثير خمسة ايام . ليس هذا هو المهم . ان المهم هو أن المصرى يدخـل تلك المجتمعات

الغربية عليه كرجل يستطيع أن يتعامل معها . انه ليس طفلا . انه لا يحبو . انه لا ينبهر . انه ــ للحقيقة ــ قد ينهزم مرة، ومرتين .. سوف نعرف لماذا .. ولكنه فى النهاية ينجح . انه انسان متحضر ، مثقف . كل مايريده هو الفرصة المتساوية لبدء فى السباق بغير سلاسل . الباقى عليه . الباقى مسئوليته . اعطه الفرصة ، وسوف يبهرك هو . سوف يدهشك هو بما يستطيع أن يفعله .

انك ربما تقرأ فى هذا الكتاب عن مصريين سافروا ــ هاجروا ــ بلا شىء فى جيوبهم . لاشىء يذكر . لا شىء حتى فى عقولهم .. سوى مجرد حلم . أمنية . أمل . تجربة . مسألة لو حسبتها بالقلم والمسطرة فسوف تحكم عليهم مقدما بالفشل . ولكنهم لم يفشلوا . لقد نجحوا . وعندما نجحوا كان نجاحهم أكثر مما توقعوه هم ــ حتى هم ــ لانفسهم .

وربما تقرأ فى هذا الكتاب عن فتيات مصريات ــ ربما امرأتين أو ثلاث ــ هاجرن بغير رجل يشق لهن الطريق .. ولاكتف يذرفن فوقها الدموع .. ثم نجحن .

وربما تقرأ فى هذا الكتاب عن أستاذ جامعة مصرى ظل يدرس ٢٩ سنة لكى يحصل على الدكتوراه وعندما حصل عليها كانت كل الوظيفة التى حصل عليها هى .. صبى بقال .. انه لم يشعر بالبؤس ، بالشقاء ، بالمرارة بالهزيمة . لقد شعر بكل الرضا فى العالم . لهذا تحققت له بعد ذلك ــ بعد ذلك فقط ــ كل الاحلام التى يريدها

أكثر من ذلك .. ربما تقرأ فى هذا الكتاب عن معلم ابن بلد . رجل بجلباب وطاقية وصديرى وقبقاب . آسف ، لم يكن فى قدميه قبقاب . لم يكن لديه دولار واحد يشترى منه قبقابا . ثم هاجر هذا الرجل .. ربما لم يكن يقصد ذلك . ربما لم يكن يعرف . ربما لم يكن يتخيل . ولكنه هاجر على أى حال . هاجر بغير كلمة واحدة يعرفها من اللغة العربية الفصحى ــ فما بالك باللغة الانجليزية .. ثم .. نجح هذا الرجل فى أن يصبح .. نصف مليونير .

و .. و .. و .. عشرات من القصص ومئات من النماذج التى لم تتخيل أنت ــ مثلما لم أتخيل أنا ــ انها يمكن ان تحقق هذا النجاح

فى بلاد تقع فى النصف الآخر من الدنيا . انهم حقائق . ليسوا مجرد اشاعات .

ولكن .. قبل أن تتعرف على هذه النماذج ـ وبعد أن تتعرف على بعضها ـ ربما تتعرف على أشياء اخرى اكثر غرابة فى هذا الكتاب .

ربما تقرأ مثلا عن مجتمعات لها قيم مختلفة، ومقاييس مختلفة، فى النظر الى الامور . هنا أرجو أن انبهك الى نقطة هامة . هذه هى : اذا قرأت فى هذا الكتاب عن ناس يعبدون الله كل يوم احد، ويعبدون النقود كل دقيقة .. اذا سمعت فى هذا الكتاب عن امرأة تمارس الحب مع رجل وزوجته فى سرير واحد .. اذا قرأت عن فتاة تريد أن ترقص معك قبل أن تأكل معها .. فارجـوك .. لا تصدر أحكاما اخلاقية ضدهم . لا تستنكر . لا تستغفر الله وتضرب كفا بكف متحسرا على الاخلاق التى ضـاعت والانحلال الذى تفشى . أرجوك لا تتحسر . منذ ألف سنة ونحن نتحسر . لقد أردت بهؤلاء الناس ـ وبأشياء اخرى فى الكتاب ـ ان أقدم لك اطارا عاما لافكار المجتمعـــات التى يعيش فيهـــا المصريون المهاجرون . انه اطار عام .. نظارة طبية .. ميكروسكوب .. يكمل لك فجوة فى الحديث عن المصريين المهاجرين بامريكا وكندا . انهم نجحوا ـ بل نجحوا جدا ـ بنـــاء على تلك الشروط التى وضعت قبل وصولهم . بناء على تلك الافكار التى استقرت قبل هجرتهم . هذا معناه أن مهمتهم كانت صعبة . وهذا معناه أن جهدهم كان مضاعفا . واذا كان كل واحد منهم قد صنع لنفسه الف دولار .. عشرة الاف .. مائة الف دولار .. فان نجاحهم فى حد ذاته ـ مجرد نجاحهم ـ هو الشىء الذى يستحق مليون دولار .

عزيزى القارىء ..

اقدم لك فى هذا الكتاب مصريين مهاجرين . مصريين بمليون دولار .. بعشرين مليون دولار .. بخمسين مليون دولار .. باكثر من خمسين . انى ساتركك معهم خمس دقائق فى الفصل الاول .. ثم نلتقى من جديد فى الفصل الثانى . دعنا نسرع اليهم الان . تحيـاتى ..

محمود عوض

الفصل الاول :

# بدأت حياتي في سن الخمسين !

ثلاث حكايات يرويها المهاجرون



## * الحكاية الاولى :

●● « اسمي مصطفى .. »

ليس من المفيد أن أقول لك ان اسمي كاملا هو : مصطفى عزام ، لان هذا لن يجعلك تعرفني اكثر . فى الواقع لاأحد يعرفني في مصر الآن الا حفنة أصدقاء ربما يكونون ما زالوا فى الاسكندرية . حيث عملت فترة ، أو زملاء الطفولة بالمنصـــورة .. التى ولدت بها . ان المنصورة هى مدينة الطفولة والجمال والكورنيش والحوار والنيل .. ان كل ميدان فى المنصورة ، كل شارع ، كل حارة . تقفز الى عقلي الان فورا بمجرد أن ذكرت الك اسم « المنصورة » . انهـــا مدينة لايمكن أن ينساها أحد .. الست معى فى ذلك ؟ !

انني احب المنصورة ، أعشقها ، ولكن الحيـــاة تقذف بالانسان دائما الى حيث لايتوقع . هذا ــ على الاقل ــ ماحدث معى عندما اضطررت . . بحكم الدراسة . . ان التحق بكلية التجارة فى جامعة الاسكندرية . انت تطلب منى الدقة ؟ حسنا .

كنت طالبا شعبة المحاسبة بتجارة الاسكندرية ، الى أن تخرجت فيها فى سنة ١٩٦٣ ، حاملا البكالوريوس فى يدى اليسرى . . ولا شىء تماما فى يدى اليمنى . لاشىء سوى بعض قصاصات الصحف التى تتضمن اعلانات الوظائف الخاليـة بالشركات والمؤسســات العامة . لاتهم اسماء الشركات ، فكل الوظائف مضمونها واحـد بالنسبة لخريج الجامعة . انت تعرف العشرين جنيها . حسنا . عندما عينت فى بنك الاستيراد والتصـدير المصرى كنت أحصل على هذه العشرين جنيها كل شهر . لم تكن عشرين بالضبط ، ولكنها كانت ١٧ جنيها و ٤٢ قرشا و ١٤ مليما .

كيف ارفع هذا المرتب ؟

هذا أول سؤال فكرت فيه . أنت تعرف أن شابا فى هـذه الايام لا يستطيع الحياة بسبعة عشر جنيها . ولكنك لا تعرف انني كنت طموحا جدا • كنت أريد أن تصبح السبعة عشر جنيها عشرين ، خمسين ، مائة ! ولماذا لا . . ؟ ان الاحلام هى الشىء الوحيـد الذى لايخضع للوائح الشركات والبنوك . .

وبدأت أبحث عن حل . فـكرت فى ان أدرس الماجستير . ولكن اللوائح تقول انه لابد من الانتظار سنة بعد التخرج لكى يتم تسجيلى فى دراسات الماجستير . ثم هناك بعد ذلك ماهـو أهم : كم جنيها سيضيفها الماجستير الى مرتبى ؟ جنيهان ؟ ثلاثة ؟ بالـكثير ثلاثة .

اذن . . ماهـو الحل ؟

هناك حلول كثيرة . ولكن حلا واحدا منها سيطر على أفكارى : **الهجرة• ولماذا لا ؟ ألم أقل لك من قبل أننى تعودت أن أحلم كثيرا !؟**

ان الهجرة كانت بالنسبة لى حلما . أكثر من حلم . كانت مغامرة وقررت أن أقوم بهذه المغامرة : اذا نجحت فهو خير . . اذا لم تنجح فالعودة ممكنة الى السبعة عشر جنيها .

عند هذه النقطة بدأت أفكر : الهجرة . . الى أين ؟ الى استراليا انها بلاد بعيدة جدا ؟ ولا نعرف عنها شـــيئا كثيرا . **الى امريكا ؟** اننا نعرف عنها الكثير ليس مشجعا . **الى كندا ؟** ممـكن أن كندا هى أوربا زائد امريكا .

ثم . . سافرت الى كندا !

عندما وصلت الى مطار مونتريال كان اليوم هو يوم خميس . بالضبط كان يوم ٣٠ ابريل سنة ١٩٦٤ .

اذن .. هذه هي كندا ؟! لا . ليست هذه هي كندا بعد . انني ما زلت في مطار مونتريال بكندا . من المطار لا تستطيع أن ترى كندا بعد . تستطيع أن ترى فقط اجراءات الجوازات والهجرة ان الطائرة التي حملتني كانت تحمل معي مهاجرين اخرين قادمين من بلاد عديدة الى كندا . وبعد أن فحصوا أوراق كل واحد من هؤلاء .. حدثت معي أول مفاجأة .. لقد قالوا لي ان الشهادة الطبية التي أحملها لا تصلح ، وانه لابد من اجراء كشف طبي جديد على قبل أن يسمح لي بالدخول . موافق . بعد هذا الاجراء أصبحت احمل تأشيرة الدخول الى كندا كمهاجر .

ولكنني في الواقع بقيت في المطار أنتظر أول طائرة تتجه الى مدينة تورنتو . السبب ؟ ان مندوب الهجرة في سفارة كندا بالقاهرة كان قد سألني قبل سفري عن المدينة التي أود الاستقرار بها عند هجرتي الى كندا . وقتها ذكرت له أربع مدن : كويبك سيتي ، مونتريال ، أوتاوا ، وتورنتو . لقد حددت تلك المدن على اعتبار أنها تتمشى مع اللغتين اللتين اجيدهما : الفرنسية والانجليزية . ساعتها قال لي مندوب الهجرة أنه ينصحني بالاتجاه اولا الى مدينة تورنتو ، لان اقتصادها في حالة انتعاش واستقرار . حسنا . انا الان اتجه بالطائرة الى تورنتو .

هل تعلم كم كان معي عندما وصلت الى مطار تورنتو في تلك الليلة ؟

كان معي عشرة دولارات . اي والله . عشرة دولارات فقط ، كانت هي كل ثروتي التي هبطت بها في تورنتو . لقد خرجت من مطار القاهرة ومعي أربعون دولارا فقط . الآن سمعت أن المهاجر يحصل على أضعاف هذا المبلغ عند خروجه . المهم ، انه حتى تلك الدولارات الاربعين ، لم تستمر في جيبي حتى كندا . لقد انفقت منها ثلاثين دولارا في المطارات الاوربية التي هبطت فيها الطائرة قبل وصولي الى كندا .

والان .. انا أمام أول مشكلة . هذه هي كندا : بلد لا أعرف فيه شيئا ولا أحدا . هذا هو جيبي : لايحتضن من النقود سوى الدولارات العشرة . لا يحتضن حتى عقد عمل ، أو وعدا بعمل . لهذا كان جيبي هو أول جزء في ملابسي يحس ببرد كندا . ان عشرة

دولارات لا تكفى ابدا لخلق الاحســـاس بالدفء ، أو الراحة ، أو الطمأنينة !

ولكن .. ألم اقل لك من البداية أنها كانت بالنسبة لى مغامرة ؟

انني أراك الان تعترض أراك تتحفظ على كلمة « مغامرة » هذه . تقول ان هناك فرقا كبيرا بين المغامرة والمجازفة . وأن ما قمت به انا هو أقرب الى المجازفة منه الى المغامرة . موافق . ولكنني فى الواقع لم أجازف . بينى وبينك أنا كنت معدا نفســـيا لتقبل كل شيء . أسوأ شيء . لقد سافرت على اساس انى سأعطى لنفسى مهلة سنة . فى هذه السنة اتفقت مع نفسى على أن أقبل اى شيء ، وارضى بأية ظروف . لم يكن عندى مانع من أن أكنس ، اغســل اطباق ، أعمل سائقا ، أعمل حمالا ، فراشا ، ماسح احذية .. اى شيء . لم يكن لدى أية توقعات .

لقد قررت مع نفسى أن أتوقع اســوأ الحلول الممكنة ، اســوأ الظروف الممكنة . اننى – حتى – لم أحمل معى تذكرة عودة من كندا ، لكى ارغم نفسى على اختبار قدرتى على التحمل والمعـاناة لمدة سنة . كل شيء – بعد الجوع – كنت مستعدا لتقبله . بل حتى الجوع كنت مستعدا لمواجهته . انني أعرف ان هـــذا هو الشرط المهم عندما ينتقل الانسان الى حياة جديدة وظروف جديدة . لم أكن اتوقع مساعدة من أحد ، ولا حتى مجـــرد نصيحة . لم أكن اتوقع أن أحكى همومى لاحد .. أنا وحدى .. ضد ظروف لا أعلم عنها شيئا بعد . كل ما أعلمه الان شيئا واحدا : اننى مازلت فى مطار تورنتو . مازال فى جيبى عشرة دولارات . ما زال على أن ابحث عن طريقة للتصرف . هذه هى : ذهبت الى ضابط الهجرة فى المطـار وسألته – ماهى المساعدات الممكنة التى يستطيع تقديمها لمهاجـر جديد مثلى مهاجر يعرف قليلا ويملك أقل ؟

وقال لى ضابط الهجرة : اطمئن · خذ هـذه التذكرة · اتجه بها الى فندق « فورد » فى المدينة ، وسوف يحسبون لك الليلة الواحدة بدولارين فقط ، الى أن تتوجه فى الصـــباح الى ادارة الهجـرة فى تورنتو ·

**– جميل ·· ولكن ·· كيف أذهب من المطار الى « فندق فورد » ؟**

رد الضابط : بالتاكسى ··

**– كم يتكلف التاكسى ·· تقريبا ؟**

– ثمانية دولارات ··

**ـ ثمانية دولارات ؟! ان كل ما أملكه فيجيبى هوعشرة دولارات· معنى ذلك أنه بعد دفع أجرة التاكسى لن يبقى معى سوى أجر المبيت ليلة واحدة ··؟**

هنا لم يستطع الضابط أن يرد . كانت دهشته اكبر من أى كلمات يمكن أن تخرج من فمه . لقد اعتاد هذا الضابط علىاستقبال مئات المهاجرين كل يوم · واعتاد على أن يرى عشرات من هؤلاء المئات فى حالة يرثى لها . ولكنه لم ير أبدا ـ هكذا بدا عليه ـ مهاجرا قادما بمجرد عشرة دولارات فى جيبه · هذه حالة تستحق الرثاء تستحق العزاء · تستحق القتل · عشرة دولارات ·· ؟ عشرة ··· دولارات ؟ عشر .. ؟

ان الضابط لم يملك لحظات عديدة تالية ـ سوى أن يعبر عن دهشة ، لم يبد من علاماتها شىء كثير علىوجهه ـ مجاملة لمشاعرى ـ ولكننى بالتأكيد كنت أحسها ، كنت أتوقعها ، انه لم يملك ـ بعد لحظات أخرى سوى أن يقول لى : انتظر ·

ودخل الضابط الى المكتب ليتشاور مع رئيسه فى هذه المشكلة الفريدة · لحظات قليلة أخرى ، ثم عاد الى بتذاكر جديدة بدلا من التذاكر الاولى ·

قال لى الضابط : اعطه التذاكر الاولى من فضلك · أنها لا تصلح فى مثل حالتك · خذ هذه التذاكر الجديدة بدلا منها · توجه الىنفس الفندق · بهذه التذاكر تستطيع أن تبيت وتأكل فى الفندق مجانا · الوجبة التى لاتتناولها فى الفندق تستطيع أن تحصل من الفندق على ثمنها ـ دولار ونصف · أما أجر التاكسى فلا أستطيع التصرف لك فيه · لابد أن تدفعه أنت ·

ولم أكن محتاجا الى هذه الجملة الاخيرة من الضابط · طبعا سأدفع أنا أجر التاكسى · لقد قدم لى الضابط أقصى مساعدة ممكنة بروح من الفهم والتقدير .. لم أكن اتوقعها منه ، فبعد كل شىء . هذه مشكلتى أنا ·· وليست مشكلته هو ·

×××

المهم ·· وصلت الى الفندق ، فبعد أن نقصت الدولارات فىجيبى من عشرة الى مجرد دولارين · مشكلة لابد أن أواجهها ابتداء من الصباح التالى ·

فى الصباح كنت أول من توجه الى مكتب الهجرة فى تورنتو · طبعا كنت هناك من الفجر · تريد منى التفصيل هنا ؟ حسنا · مكتب

الهجرة هذا هومكتب ضخم ، يختص بكلمايتعلق بالهجرةوالمهاجرين .. ان به قسما خاصا بتشغيل المهاجرين الجدد . عندما تتوجهلى الى هـذا القسم يحددون لك رقما • وموظفـا لتسجيل بياناتك • يسمى ضبط الاستخدام . انه يفتح لك ملفا خاصا بك . من الان فصاعدا ، سوف تسـجل فى هـذا الملف كل بياناتك أولا بأول ، المؤهلات ، الخبرة ، السن ( كانت سنى يومها أقل من ٢٤ سـنة )، البلد الاصلى ، الحالة الاجتماعية ، تاريخ الوصول ، نوع العمـل المرغوب فيه ..وهكذا .. بعد ذلك يحاول ارشادك الى كيفية الحصول على مسكن • فى نفس الوقت يعطيك مساعدة ماليـة حسب تقديره لحالتك المبدئية • فى حالتى أنا أعطانى عشرين دولارا • ثم ـ الخطوة الهامة ـ هى البحث عن عمل • عند هذا الحد أمسك الضابط باحدى يديه مجموعة من اعلانات الوظـائف الخاليـة بالصحف ، وباليـد الاخرى دليل التليفونات انه يتصل تليفونيـا بكل شركة يمكن أن تناسبها مؤهلاتى وخبرتى وسنى ، فى النهاية أعطانى عنوان شركة تريد محاسب تكاليف ، وقال لى : توجه الى هـذه الشركة • انهم سيجرون لك اختبارا شفويا لقياس مدى صلاحيتك للوظيفة التى يبحثون عن موظف لها . اذا لم توفق .. فعد الينا مرة أخرى .

وبسرعة البرق • توجهت الى تلك الشركة • وبعـد أن أجريت الاختبار قالوا لى سنرسل اليك الرد على عنوانك بالفندق •

ولم أقتنع •• فى الواقع لم أكن أريد أن أنتظر•• لاوقت للانتظار ليس لدى يوم واحد أضيعه • ليست لدى ساعة ، دقيقة ، ثانية • •• يمكن أن أضيعها فى غير المهمة الاولى العاجلة جدا : البحث عن عمل ••

لقد نزلت من الشركة واشتريت جريدة لأبحث فيهـا بنفسى عن اعلانات الوظائف الخالية بالشركات • وحتى من غير هذه الاعلانات بدأت أقرأ اللافتات فى الشـوارع ، وأدخل الى مراكز الشركات • مركزا مركزا وشركة شركة •• لكى أبحث عن عمل •• لم أوفق •

الانبدأت أراجعنفسى : انىأنفقت آخردولارينمعىعلى المواصلات والصحف • لم يبق معى غير العشرين دولارا التىتسلمتها فىالصباح من ضابط الهجرة• ان كل شركة أتوجه اليها•• تسألنى عن عنوانى لكى يرسلوا الى عندما يحتاجوننى • اذن الخطوة الاولى بعـد توفير الطعام ـ هى : البحث عن سكن أستقر فيه •

ومن الفندق بدأت أسأل عن أرخص مسكن ممكن• وقبل أنيقترب النهار من نهايته عثرت عليه : حجرة صغيرة جدا ، صاحبتها سـيدة

عجوز من أصل مجرى . كم تريدين ياسيدتى ايجارا لهذه الحجرة ؟
ـ ١٥ دولارا فى الاسبوع .
**ـ لا .. لا .. هذا سعر مرتفع للغاية . تكفى عشرة دولارات .**
**ردت السيدة العجوز:** اسمع .. اننى لمأتعود هذه المساومة أبدا. ومع ذلك ، تفضل .. الحجرة لك ، بعشرة دولارات !

وعلىالفور نقلت حقائبى الىالحجرة الجديدة بعدان اعطيت السيدة عشرة دولارات . الآن لم يعد معى سوى عشرة دولارات أخرى . ان هذه الدولارات لن تنام معى . قرارا اتخذتهحتى لاأنعرض للجوع فى الايام القليلة التالية .هذا ما اشتريته بها بالضبط .. عشر تذاكر للمواصلات ، دستة بيض ، زجاجة لبن كبيرة ، خمسة ارغفة من الخبز ، ثم .. لم يعد معى ولا مليم ، أقصـد .. ولا سنت واحد ! لكن .. بعد أن توفر المسكن والطعام .. يستطيع الانسان أن ينام مستريح البال حتى الصباح .

x x x

فى الصباح عدت الى ادارة الهجرة . من هناك أرسلونى الى شركة أخرى . شركة اسمها « ديهافيلاند » لصناعة الطائرات . وعنـدما وصلت قالوا لى : عد الينا غدا .. لاجراء الاختبار .

مرة أخرى ، لم أقتنع . لقد خرجت من هـــذه الشركة لأواصل البحث عن عمل فى شركة أخرى . كل شركة ، أى شركة ، أى عمل .. لايهم .. محاسبة ، احصاء ، ادارة أعمال ، غسل أطباق .. لا يهم ..

هل تعلم كم شركة ذهبت اليها فى أول ٣٦ ساعة فى تورنتو ؟ ٣٨ شركة . هل تعلم السؤال المشترك الذى كنت أسـمعه فى كل شركة .. هذا هو : هل عندك خبرة كندية ؟

**ـ ماذا تقصد بـ « خبرة كندية » ؟**
ـ نقصد ... هل لديك خبرة سابقة فى العمل بكندا ؟
**ـ لا .. طبعا !**
ـ اذن سوف نرد عليك بالبريد !

سؤال واحد كنت أسمعه ، اجابة واحدة كنت اقولها ، ونتيجة واحدة كنت أخرج بها . فى كلحديث أجريته داخل قسمالاستخدام بأى شركة . وحتى نهاية اليوم الثانى لى فى تورنتو ـ لم تكن هناك أية بشائر بأنى سوف أحصل على عمل خـلال فترة قريبة . كلهم يصرون علىحكاية « الخبرة الكندية » هذه ! ، وانا لا املكها بعد.

الـ « خبرة الكندية » . اذن سوف « نرد عليك بالبريد » .أي: لا عمل !٠٠ لا وظيفة ٠ لا طعام بعد يومين ٠ لا مسكن بعد خمسة أيام ٠ لا حياة بعد أسبوع !

وفكرت ٠٠ لماذا لا أترك الشركات الكبيرة ـ وأبحث عن عمل في أي مكان آخر لماذا لا أقوم مثلا بغسل الاطباق أو الخدمة في أي مطعم أو بار صغير ٠ ألم أتفق مع نفسي من البداية على أن أكون مستعدا لأسوأ ظروف ؟ هذه أسوأ ظروف غسل أطباق أو مسح أحذية ٠٠ لا يهم ٠٠ المهم الآن هو الحصول على مورد للحياة بسرعة ٠

ودخلت الى مطعم ٠ انه مطعم صغير ، قرأت اعلانا في واجهته من الخارج ، اعلانا عن حاجته الى شخص يخدم ليلا ويغسل الاطباق مقابل أربعين دولارا في الاسبوع ٠ أجر حقير جدا ، ولكنه في النهاية أحسن من لاشيء، أحسن من العدم .انا الآن في حالة «عدم»!

ودخلت الى المطعم أعرض القيام بهذه الوظيفة ٠ وظيفة غسل الاطباق ، ولكنني فوجئت بنفس السؤال من جديد :

**ـ هل عندك خبرة كندية ؟**

**ـ ياناس ! حتى غسل الاطباق يحتاج الى « خبرة كندية » ؟**

نعم ٠ هذا ماحدث ٠ لقد كنت أتصور أن تواجهني أية مشكلة، الا هذه المشكلة ٠ ما هو الحل لهذه المشكلة ٠٠ ما هو الحل ؟٠٠ هكذا نمت ليلتي الثانية وأنا أحس بسد عال يواجهني اسمه « الخبرة الكندية » ! عفريت طاردني حتى في أحلامي تلك الليلة ! وفي كل مرة ـ داخل الحلم ـ كان العفريت يبدو لي بملابس مختلفة ، بأشكال مختلفة ، بأحجام مختلفة ، ولكنه هو هو في كل مرة ٠٠ وكلماته هي هي في كل حلم : أنا الخبرة الكندية !

في اليوم التالي ذهبت الى الموعد المقرر في شركة « ديهافيلاند » للطائرات لاجراء اختبار القبول لوظيفة محاسب تكاليف في قسم صناعة الطائرات « د٠س ـ ٩ »

وبعد أن ناقشني المدير المختص في مؤهلاتي وخبرتي قال لي :

**ـ اننا سوف نرسل اليك الرد بالبريد ٠ ولكنني اقولها لك من الان بصراحة ٠٠ نحن لن نقبلك بسبب عدم توافر شرط اساسي فيك وهو « الخبرة الكندية »**

ها هو العفريت ، الشبح ، يعود ثانية الى مطاردتي ٠ ولكنني تمالكت نفسي وأنا اقول للرجل ـ بهدوء ولكن بغيظ مكتوم :

**ـ سيدي ، انني احترم رأيك طبعا ، ولكنني اطلب نصحيتك في**

**هذه المشكلة : انني لا أستطيع العمــل في كندا الا اذا كانت لدى « خبرة كندية » ·· ولكن ·· من ناحية اخرى ·· كيف احصل على خبرة كندية .. دون ان اعمل فى كندا ؟ ثم .. نقطة اخرى لو سمحت ـ هل كانت أمامى طريقة للحصول على هذه الخبرة الكندية فى مصر ·· قبل أن احضر الى كندا ؟**

غند هذه النقطة بدأ الرجل يشعر بالحرج ، فالمشكلة تبدو فعلا بلا حل· البيضة من الفرخة أم الفرخة من البيضة · ولكننى استأنفت حديثى الهادىء مع المدير الرقيق ·

قلت : ما دمت ترى فعلا أنها مشكلة ، وأنه لا ذنب لى فى هذه المشكلة ، فاننى أتقدم لك برجاء واحد : لمـاذا لا تعطينى فرصـة متساوية مع الذين لديهم خبرة كندية فاذا أثبت فى الاختبار أننى فى مستواهم أو أحسن منهم ، حصلت على العمــل · واذا ثبت أن افتقادى للخبرة الكندية يقلل من كفاءتى ، حصل على العمل من هو أكفأ منى · انها تجربة ·· أرجو باخلاص أن تحاولها ·

ولم يملك الرجل سوى أن يقول : معك الحق ·

وعلى هذا الاساس سمح لى المدير بدخول امتحان المسابقة مع باقى المتقدمين لشغل هذه الوظيفة · كان عددهم ثمانية ، وأنا تاسعهم · هل تعلم ماذا كانت النتيجة ·· اننى لم أكن التاسع ، ولا الثامن ، ولا حتى الخامس . لقد أصبحت أنا .. الاول .. نعم الاول على الثمانية ، كلهم لديهم « الخبرة الكندية » !

وبعد يومين استدعانى المدير ليقول لى مبروك ! الوظيفة لك !

ان أى كلمات أقولها لك الآن لن تستطيع أن تشرح لك مشاعرى فى تلك الدقيقة · تلك اللحظة · اننى ما زلت أذكر الساعة ، الدقيقة التى قال لى فيها المدير تلك الكلمات الثلاث · ولا أستطيع أن أنسى ذلك اليوم · كان يوم ثلاثاء · لو كنت فى مكانى ، لو كان نفس ذلك الشبح ـ شبح الخبرة الكندية ـ قد واجهك مثلى ، فهل كنت تنسى ذلك اليوم ؟ انه بالنسبة لى هو اليوم الذى توقف فيه الشبح عن ملاحقتى ومطاردتى حتى فى أحلامى · انه أهم عندى من اليوم الذى استلمت فيه العمل فعلا ·· يوم ١١ مايو سنة ١٩٦٤ ، اليوم الذى بدأت فيه العمل بكندا لأول مرة ، فى وظيفة محاسب تكاليف: المرتب ٨٥ دولارا فى الاسبوع · هل تعلم ماذا حدث بعد ذلك ·

فى خلال سنة ونصف ارتفع مرتبى بهذه الشركة الى ١٠٥ دولارات اسبوعيا ، بالاضافة الى اجرى عن العمل الاضافى بالشركة ثلاث ليال

أسبوعيا ، مما جعل المرتب يصبح ١٢٠ دولارا ، أى ٤٨٠ دولارا فى الشهر ٠

ولم يكن هذا هو كل ما أتمناه بعد ٠ ولكنه كان يكفى لوجود درجة من الاستقرار فى حياتى ، فأرسلت الى مصر أستدعى خطيبتى التى كنت قد خطبتها قبل سفرى ٠ لقد نسيت أن أحدثك عن خطيبتى ٠٠ أليس كذلك ؟ لايهم ٠ انها ستغفر لى هذا النسيان ٠٠ معلهش يانادية . انها حاصلة على الثانوية العامة فرنسى . وبعد ان حضرت وانتهينا من عقد القران ، استطاعت أن تحصل على عمل بستين دولارا أسبوعيا ٠

ثم بدأت الحياة بعد ذلك تسير معنا سيرها الطبيعى : قدمت طلبا لجامعة تورنتو لدراسة الماجستير فى الاقتصاد ٠ بعد عدة شهور قبلتنى الجامعة ٠ ونظرا لأن دراسة الجامعة تحتاج الى تفرغ ، فقد حصلت من الحكومة على ألف دلاور كقرض أدفع منه مصروفات الجامعة عن مدة سنة ( ٥٥٠ دولارا ) ثم أسدده بعد الحصول على الماجستير مقسطا على خمس سنوات ٠

وعندما وجدت أننى لن أستطيع الجمع بين العمل والدراسة ، استقلت من العمل ٠٠٠ وتفرغت للماجستير ٠ بالطبع لم يكن مرتب زوجتى يكفى للانفاق علينا نحن الاثنين ، فبحثت عن عمل بسيط يأخذ منى ساعات أقل ويعطينى أجرا أقل طبعا . لقد وجدت هذا العمل فى مطعم وناد ليلى بمطار تورنتو لمدة ثلاث ليال فقط فى الاسبوع ــ الجمعة والسبت والاحد ٠ لقد كان هذا العمل عبارة عن مراقب للمطبخ نظير خمسين دولارا فى الاسبوع ٠

ورغم أننى انتهيت فى آخر السنة من اعداد رسالة الماجستير ، الا أننى كنت أريد تحقيق نتائج أكبر فى وقت أقل ٠ ألم أقل لك من قبل أن طموحى أكبر منى ٠ وأحلامى أكبر من طموحى ، ومشروعاتى أكبر من أحلامى !

نعم . هذه هى الحقيقة . فقبل أن انتهى من الماجستير الاول فى الاقتصاد ٠ قدمت طلبا الى جامعة يورك للحصول على منحة دراسية لتحضير الماجستير فى ادارة الاعمال ٠ قبلتنى الجامعة ٠ أعطتنى منحة ١٥٠٠ دولار ٠ وقبل أن ينتهى شهر ابريل سنة ١٩٦٧ ــ كنت قد حصلت على الماجستير فعلا ٠

ان الماجستير كان بالنسبة لى مجرد شهادة معلومات وخبرة ، فى فرع يحتاج اليه المجتمع ٠ ان كل شركة هنا تعتبر أن نجاحها يعتمد أولا على نجاح تنظيمها وادارتها . لهذا لم يكن غريبا أن التحق ــ بعد

الماجستير ـ بشركة « أسو » للبترول ، كخبير فىالتنظيم والاقتصاد، بمرتب ٧٠٠ دولار فى الشهر ، وخلال سنة واحدة تمت ترقيتى الى وظيفة رئيس مشروعات فى التنظيم الاقتصادى بنفس الشركة وارتفع المرتب هذه المرة الى ٨٥٠ دولارا شهريا ٠

ان الترقيات هنا لا تتم بالاقدمية ولا بالمجاملة ، ولا بالطابور ، ولا بعدد الاولاد ٠ لا شىء من هذا مطلقا ٠ ان الشركة هنا ـ أى شركة ـ تتوقع منك أن تعطيها أولا حقها فى العمل والانتاج ، قبل أن تعطيك هى حقك فى المكافأة أو التقدم ٠٠ وعندما يكون الانسان وافدا جديدا الى المجتمع الكندى ـ أو حتى أى مجتمع آخر ـ فانه محتاج الى أن يبرر نفسه مرتين : مرة كغريب ، ومرة كشخص عامل منتج ٠ لهذا كنت أحس دائما بأنه اذا كان المواطن الكندى يعمل مرة ، فلابد أن أعمل مرتين . اذا كان عليه أن يكون كفءا سبع ساعات ، فيجب على أن أكون كفءا ٢٤ ساعة ٠ ان الطموح كان دافعى الى الهجرة ، والكفاءة هى طريقى الى الطموح . لهذا لم يكن غريبا على بعد ذلك أن أترك العمل فى شركة « أسو » ، لاننى وجدت عملا بمرتب أكبر فى شركة أخرى ، هى أكبر شركة للاطعمة هنا ٠ شركة أسمها « جنرال فودز » ان عملى الجديد ٠ الذى هو عملى الحالى ، هو مستشار اقتصادى لدراسة التنظيم الداخلى واستثمارات السوق ٠ المرتب ؟ ١٤ الف دولار فى السنة ٠ ولكن دخلى السنوى هو فى الواقع أكبر من هذا ، لاننى أقوم ببعض الاعمال الحرة الى جانب عملى الثابت هذا ٠ فمنذ حصولى على الماجستير فى ادارة الاعمال أقوم بتقديم بعض الاستشارات لبعض الشركات الصغيرة بعد وقت عملى المعتاد . من هذهالاستشارات أحصل علىدخل يدور حول رقم الخمسة آلاف دولار فى السنة ٠ ان هذا يجعل دخلى السنوى الان ١٩ الف دولار ، أو أكثر قليلا من ١٥٠٠ دولار فى الشهر ٠ هل أقول لك الحقيقة ؟ اننى لست مقتنعا بعد بهذه النتيجة ، رغم اننى فخور بها اننى ما زلت مؤمنا بأن المجال مفتوح أمامى لأحقق نتائج أحسن ودخلا أكبر ٠ والا ايه يانادية ؟ ! آه ٠٠ ان نادية ـ زوجتى ـ مشغولة الان مع انتاجنا المشترك : طفلتنا نيفين ٠ لا ٠٠ لا ٠٠ ان عمرها مجرد ثلاث سنوات ، والفضل فى رعايتها برجع الى أم زوجتى ، حماتى يعنى التى تقيم معنا الان فى منزلنا بتورنتو ٠ الحكاية ،ان ٠٠ حماتى تحبنى ٠ حب متبادل طبعا ، والا ايه ياحماتى ؟ !

## * الحكاية الثانية :

### •• راسب ابتدائية :

أرجو الا تنزعج عندما أقول لك انني راسب ابتدائية ! نعم ، لا تنزعج ، لان هذا ليس بعدأسوأ ما يمكن أن أقوله لك عن نفسي !

ان اسمي ليس : جابر كما قالوا لك . اسمي الاول هو جلال . نعم •• جلال محمود جابر •• وأنا مجـــرد الشخص الذي تراه أمامك الان • وهذا المحل الفخم الذي تراني فيه •• أنا صاحبه • ربما اذا عدت في مرة تاليـــة فسوف تجدني قد اشتريت العمارة كلها التي تقع فوق هذا المحل . انني سأفعل ذلك ، لانني أحب هذا الحي من مدينة أوتاوا • ان أوتاوا بالنسبة لي ليست مجـــرد عاصمة لكندا ، انها هي المكان الذي عشت فيه تلك الفترة المبكرة من حياتي • مكان حققت لي فيه الثروة ، والخبرة ، والاسرة ، والاطفال . ولكن .. هل أنت متأكد حقا انك تريد ان تقابلني انا •• رغم أنني ساقط ابتدائية ؟! ورغم أنني جئت الى هنا ــ الى كندا ــ دون أن أعرف كلمة واحدة من اللغة الانجليزية ، أو حتى الفرنسية ؟ ورغم أنني عملت هنا في البداية ساعيا ، وســـائقا وخادما ؟ هل أنت متأكد ؟ هل أنت ••• ؟ يجوز ••• ! اذن •• دعني أقول لك حكايتي من البداية •

« أنا ياسيدي مولود في طره البلد • بالضبط مولود في ١١يونيو سنة ١٩٤٢ نحن ستة : الاب والام ، ثم أخ يعمل في مصـــانع حلوان للنسيج ، وأخت أكبر مني ثم أخت أصغر •

عندما يئست في مصر من نجاحي في الابتدائية ، عملت حلاقا • حلاق رجال أولا ، ثم حريمي بعد ذلك • أنت تعرف طبعا •• فلوس الحريم أكثر من فلوس الرجال !

لقد ظل عملي هو « كوافير » ، الى أن قرأت اعلانا عن حاجة وزارة الخارجية الى شخص يشغل وظيفة ( ساعي ) في قنصـــلية الجمهورية العربية المتحدة بمدينة مونتريال • بيني وبينك ، لم أكن في البداية أعرف ما هي مونتريال هذه • كل ما كنت أعرفه هو أنها مدينة تقع في بلد اسمه كندا • وأن كندا هذه هي بلاد بعيدة عنا جدا . أبعد كثيرا من .. أسوان !

المهم •• انهم قبلوني للعمل في تلك الوظيفة «ساعي» • وسافرت فعلا الى كندا في أواخر سنة ١٩٦٠ • مجرد شخص راسب في الابتدائية ، عمره ١٨ سنة ، يحاول ان يستوعب كل هـــذه الدنيا

الجديدة التى وجد نفسه فى وسطها . طبعا كنت أعرف قليلا من اللغه الانجليزية . يادوب .. « ثانك يو .. جود مورننج .. تشرب قهوة ؟ لازم تشرب قهوة » !!

فى البداية ، لم تكن هناك مشكلة . ان شخصا مثلى ، يعمل ساعيا فى القنصلية المصرية بمونتريال لابد أن يكون معظم تعامله اليومى مع مصريين مثله ، أو عن طريق مصريين يتحدثون لغته . ولكن من ناحية أخرى - فان العمل فى القنصلية له متاعبه أيضا ففى كل يوم يحضر عشرات من المصريين ليقوموا بتجديد جوازات سفرهم ، أو استخراج جوازات جديدة ، أو شهادات ميلاد ، أو تسجيل قران . وعندما يسمع الواحد منهم كلمة « تعال فى الاسبوع القادم » يكاد فقد أعصابه . طبعاً هذا .. غلط ! هى الدنيا طارت ؟ يعنى أيه لو تأخرت الاوراق أسبوع ؟ أو حتى شهر ؟! خلاص ؟! الصبر انتهى ! الواحد كان يتعب فى الشرح لهم . طيب .. أقول لك ؟ الموظفين كانوا بيتعبوا جدا . بيعملوا اللى عليهم . لكن - التعليمات .. تعليمات - اللوائح .. لوائح ! لازم اللوائح .. لوائح ! لازم اللوائح والقوانين تنفذ لاستخراج كل ورقة . طيب .. انت بذمتك .. توافق على كسر اللوائح والتعليمات ؟ طبعا لا .. »

على أى حال ، أنا ظللت فى القنصلية الى أن نقلت ساعيا بالسفارة فى أوتاوا العاصمة ، بعد أن تقرر اغلاق القنصلية فى مونتريال . ولكننى بعد فترة بدأت أفكر : أريد أن أستقر ، أن أتزوج ، أن أكسب ، أن أجيد اللغتين الانجليزية والفرنسية . لقد حصلت من قبل على برنامج فى وزارة الخارجية بمصر لمدة ثلاثة شهور لتعليم مايمكننى من الانجليزى والفرنسى. ولكننى هنا - فى كندا - بدأت بحكم التعامل مع الناس التقط أكبر ما يمكن من الكلمات وأحفظها . وحتى عندما كنت أشاهد برامج التليفزيون ، كنت أتابع الكلمات فى الافلام وأحفظها . شهر بعد شهر .. سنة بعد سنة .. الى أن أصبحت فى سنة ١٩٦٨ أجيد التعامل بالانجليزية ، وقليل من الفرنسية ، ثم أننى كنت قد سافرت الى مصرفى اجازة سنة١٩٦٤ . اجازة قمت‌فيها بعقد قرانى على احدى قريباتى . بنت خالتى . وعندما وصلت زوجتى الى هنا - الى أوتاوا - بدأت أحس فعلا أننى رب أسرة . وعلى فكرة : ان زوجتى جاءت الى هنا وهى أيضا لا تعرف كلمة واحدة أجنبية . ولكنها للحقيقة استطاعت أن تدبر أمورها مثلما استطعت أنا فى البداية

المهم ، أنه عند هذا الحد قررت أنه من الضروري أن أجرب حظى في العمل خارج السفارة . انت تعرف ان المرتب هو السبب طبعا • كنت أرى الناس تكسب الالاف كل يوم •• بينما مرتبي في السفارة مائة دولار في الشهر • لهذا قدمت استقالتي في سنة ١٩٦٨ من العمل بالسفارة ، وتحولت الى مهاجر بعد أن اســتكملت أوراقي من مصر ثم من كندا •

و •• بدأت أبحث عن فرصتي داخل المجتمع الكندي ••

في البداية عملت في مستشفى بأجر ٩٥ دولارا في الاسبوع ، أى ٣٨٠ دولارا في الشهر • بعد فترة عملت سائقا في ســـفارة الارجنتين هنا — في أوتاوا — ورغم أنني كنت سائقا للسفير ، الا أنني تركت هذا العمل بعد أسبوعين فقط • لقد أكتشفت أنني أترك وظيفة ، لاعمل في وظيفة أخرى • وأن المرتب مضمون كل شهر ، ولكنه ثابت • كنت أريد أن يتغير دخلي مرة واحدة • قفزة واحدة • بخبطة واحدة • ان هذا لا يحدث في الوظائف ، ولكنه يحدث فقط في التجارة . فقررت أن أعمل في التجارة

لقد ساعدني في الاقتناع بهذا القرار صديق فلسطيني موجود هنا في أوتاوا . لقد ذهبت اليه أولا أطلب منه الاشتراك معى في البحث عن شقة للايجار . وخلال تجولنا اكتشفنا هذا المحل ، الذى تراني فيه الان . ان صاحبته هي سيدة لبنانية عجوز هاجرت الى هنا منذ فترة طويلة • وبعد مناقشة مع السيدة أكتشفت أنني أستطيع أن أستأجر المبنى كله بمائة وخمسين دولارا في الشهر • مبنى من دورين كما ترى : محل تجارى في الدور الارضي ، وشقة واسعة في الدور العلوى •• و •• اتفقت مع السيدة اللبنانية على استئجار المبنى ، رغم أنه لم يكن في جيبي ساعتها دولار واحد •• من أين اذن أدفع الايجار ؟

بسيطة •• لقد ذهبت الى بنك •• وحصلت على قرض قدره ثمانمائة دولار بضمان شخصي • بهذه الـ ٨٠٠ دولار بدأت حياتي من جديد • لقد دفعت ايجار المبنى للمالكة ، ثم أثثت الدور الارضي كمحل تجارى ، أقصد محل بقالة أعمل فيه أنا ، ثم قمت بتأجير الدور العلوى حجرة حجرة • ان الدور فيه خمس حجرات •• بأربعين دولارا ايجارا للحجرة في الشهر •• فتكون الحصيلة هي مائتي دولار في الشهر . يعني .. ايجار من الباطن !

بعد ستة اشهر بدأت حياتي تنتظم .. المحل التجارى يكسب .. الايجار مدفوع ، حصيلة الحجرات الخمس مضمونة • ثم أنني

أعمل فى المحل وحدى ليل نهار ، وأحيانا تساعدنى زوجتى .

ونتيجة لهذا كله أخليت الدور العلوى من السكان ، وأقمت فيه مع زوجتى والاطفال . لقد حدث هذا بعد ان اصبح كل مافى المحل مملوكا لى . نعم ، كل ماتراه الان امامك انا صاحبه . بمعنى آخر .. فان رأسمال هذا المحل الذى تراه ، هو الآن عشرة آلاف دولار . انا الان صاحب هذه العشرة الاف دولار . تعرف ليه ؟ لان المحل حقق أرباحا فى السنة الاولى قدرها ثمانية آلاف دولار . أرباحا صافية بعد استبعاد مصروفاتى الشخصية . اننى أريد أن تقفز الارباح هذا العام الى ١٢ ألف دولار .. ان شاء الله ..

تعرف الحقيقة ؟ أنا فخور بما عملته ، فخور بأننى بدأت من لاشىء . ولا حتى كلمة انجليزى . اننى فخور أيضا بزوجتى . لقد ساعدتنى كثيرا . فى الواقع أن كلا منا ساعد الآخر كثيرا . ولكننى أقول : ان كل هذا بتوفيق من الله . هل ترى هذه اللوحة المعلقة داخل المحل . انها تقول باللغة العربية « يارب » . اننى اتفاءل بها ، كثيرا ، رغم أن زبائنى الكنديين لا يعرفون ما هى هذه اللوحة أو ما هو مكتوب فيها . ولكنهم يعرفون هذه الصورة المعلقة أمامك : صورة أبو الهول . انهم يفهمون أيضا هذه الصورة الاخرى المعلقة : صورة مسجد السيدة زينب . الفاتحة لام هاشم .

x x x

هل تعرف ما هى المسألة التى تشغلنى الان ؟أنها هذا المنزل . لقد تعاقدت مع صاحبته على استئجار هذا المبنى لمدة خمس سنوات . ولكننى الان أريد أن أشتريه . أريد ذلك .. لاننى أريد أن أحس أنه قد أصبح ملكا خالصا لى . هل تعرف كم تريد فيه صاحبته ؟ ٢٨ ألفا و ٥٠٠ دولار ! لقد قلت لها أن هذا السعر مرتفع ، ولكنها خفضت السعر الى ٢٢ ألف دولار فقط . أنا عرضت عليها شراءه بعشرين الفا فقط بالتقسيط . انها لم توافق بعد . ولكننى متأكد من أنها ستوافق فى النهاية . ألا ترى أن السعر الذى أعرضه عليها معقول ؟ أنه معقول .. طبعا ! انها لا تعرف أن عشرين ألف دولار كندى تساوى عشرة آلاف جنيه مصرى بالسعر الرسمى !

على أى فاننى أتوقع أن صاحبة المنزل لو فكرت مرة أخرى فستوافق . ولهذا لا افكر فى هذه المشكلة كثيراً .

أما المشكلة الحقيقية التى تشغلنى أكثر فهى زوجتى . أنا لا أقصد زوجتى شخصيا ، ولكنى أقصد اجراءات هجرتها . لقد

قدمت لها أوراق هجرتها فى مصر منذ سنة ونصف سنة ولكنهـا حتى الآن لم تحصل على الموافقــة · ان المسألة كلها اجراءات · تضييع وقت · احنا كده نعرف ؟ أنا الان عندى بنتين · بنت عمرها أربع ســـــنوات ، وبنت أربعــة أشهر . عندما ذهبت الى سفارتنا هنا لاسجل ورقة ميلاد بنتي الاخيرة ، اكتشفت أنه لابد أن أدفع عشرة دولارات ، ولابد أن أغلق المحل ساعتين على الاقل لانني أعمل فيه وحدى · و ·· « ياريت الورقة تخلص فى يوم ، أو حتى فى أسبوع · لازم تضرب لهم تليفونات ، وتسأل كل يوم ·· ولازم تسأل بأدب ·· ولازم تنتظر ·· ولازم تنفـــذ اجراءات طويلة معقدة ·· كأننا فى الكعبة مش فى سفارة ! أنا عارف لوائح ايه دى ؟ موظفين أيه دول ؟! لامؤاخذة ! أنت معاك الاستاذ عادل الخضرى من السفارة · لكن الاستاذ عادل ممتاز · انما تعمل أيه فى الباقين ؟ تعمل ايه فى اللوائح ؟ أصلهم معذورين برضه ·· لكن مش فى كل حاجة · بتضحك ؟! أهو احنا كده ! عاوز تمشى ؟ ليه ؟ ياأخى الواحد فرحان عشان شايف واحد من مصر . والنبى تقعد . لازم ناكل سوا . ماتخافش على مواعيدك . أنا حاوصلك بعربيتى · أقعد ياشيخ · يعنى حاتروح فين ؟ ميعادك فى السفارة؟ يعنى هي السفارة كعبة ؟! طيب ياسيدى ·· أمرك ! »

□□□

## * الحكاية الثالثة :

**●● أهلا وسهلا !··**

قبل أن نتكلم ·· ماذا تفضــل أن تشرب ؟ اطمئن · كل شيء موجود · لابد أن نشرب شيئا · لابد أيضا أن أسمع منك أولا · اننى أريد أن تحكى لى عن مصر · لقد أوحشتنى مصر جدا · ان حياتى كلها ، ذكرياتى كلها ، صداقاتى كلها مازالت فى مصر ·· لهذا أرجوك أن تحكى لى أكثر ما يمكن الآن عن الحياة فى مصر · عن شمس مصر ، ناس مصر ، يا أخى تعرف ؟ الواحد هنـــا زاد حبه لمصر · حب أكبر جـدا ممـا يمكن أن تتخيل · اننى أدخر اجازاتى هنا كى أستطيع ان اسافر الى مصر تسعة اســابيع كل ثلاث سنوات · ولكن مصر توحشنى ألف مرة فى الثلاث سنوات !

أنت تعرف اسمى طبعــا ·· ولكن اسمى كاملا هو : حســين محمد صــالح · هل من الضرورى أن أذكر لك تاريخ ميــلادى ؟

أقول لك : عندماجئت الى كندا ـ منذ أربع سنوات ـ كان عمرى هو ٤٤ سنة · انها سن متأخرة كما تقول · ولكن هذا ما حدث على كل حال ·

لقد جئت الى هنـا لمجرد البحث عن فرصـة · لمجرد التغيير · هذا كل شيء · لم أحضر لاننى فشلت فى مصر · بالعكس · لقد كنت ـ بالمقاييس العادية ـ شخصا ناجحا فى عملى · فمنذ حصلت على ليسـانس الحقوق من جامعـة فؤاد الاول فى سنة ١٩٤٥ وأنا متقدم فى عملى . لقد بدأت حياتى بالعمل فى النيابة العامة ـ وكيلا لنيابة الدرب الاحمر ـ الى أن خفضوا سن القضاة فى سنة ١٩٥٠ فتحولت الى السلك القضـائى ، كنت قاضيا فى محكمة مصر فى البداية ، ثم رئيسا لمحكمة بعد ذلك .

وفى سنة ١٩٥٥ عرضت على شركة « شل » للبترول أن أعمل بها وكيلا لادارة القضايا ، فاستقلت من القضـاء ، والتحقت بهذا العمل ·· الى أن أصبحت فى سنة ١٩٦٦ مديرا عاما لادارة القضايا فى الشركة · المرتب ٢٤٥ جنيهـا فى الشهر · مرتب ضخم ؟ طبعا ·· ولهذا تقرر تجميده عندماطبقت اللوائح الجديدة فى الشركة

ثم ·· بدأت أفكر فى الهجرة ·· فى البداية فكرت فى الهجرة الى استراليا أو أمريكا الجنوبية ، أو الولايات المتحدة أو كندا ، طبعا استبعدت أستراليا لاننى سمعت أن تكاليف الحياة فيها مرتفعة ·· استبعدت أمريكا الجنوبية لانهم لا يتكلمون الانجليزية أو الفرنسية ·· استبعدت الولايات المتحدة لاننى شخصيا لا أحب الامريكيين ·· اذن أهاجر الى كندا ··

هكذا جئت الى كندا فى سنة ١٩٦٦ · جئت بعد أن تركت كل شيء فى مصر ·· منزلى ، ابنتى ، حيـاتى · جئت لا أعرف أحدا على الاطلاق فى كندا · ولكننى عندما توجهت الى مدينة تورنتو ، التقيت بأصدقاء مصريين قدامى سبق أن هاجروا الى كندا واستقروا فى تورنتو · طبعا أصروا على أنام عندهم ·· طبعا هذا حدث ·

من اليوم الثانى بدأت المهمة الصعبة ·· مهمة البحث عن عمل

وبسرعة ظهرت امامى مشكلة ضخمة واجهتنى فى كل شركة أحاول أن أعمل بها · مشكلة الخبرة الكندية · ففى كل مرة أتقدم لشركة ، يرفضون لانه لا توجد لدى « خبرة كندية » ، أى خبرة سـابقة فى العمل بكندا · شهر ، شهرين ، شهرين ونصف ·· وأنا ما زلت عاطلا بلا عمل ·

والعمل ؟

حاولت أن أعمل محـاميا • ولكنني اكتشفت عقبتين •• فأولا هم لا يعترفون هنا بشهاداتنا الجامعية •• ان النقابات سبب فى ذلك • وثانيـا لابد لى ـ بنـاء على ذلك ـ من دراسة القانون من جديد هنا للحصول على الليسانس من جديد •

ولكى أكون صريحـا معك •• فلابد أن أقول لك أنه قد مرت على أيام قاسية هنا ـ فى البداية • أيام تحس منهـا أنك وحدك أمام المشـاكل • وحدك ضد الظروف • أنك تريد أن تضع قدما واحدة ـ مجرد قدم واحـدة ـ فى مكان ما داخل عجلة المجتمع • ثم لا تستطيع ••

كان القدر الذى يحكمنى فى تلك الفترة هو شعور بالهزيمة ، بخيبة الامل ، بالحسرة أحيـانا ، حسنا ، أنا لا أحب أن أفشل ، من منا يحب لنفسه الفشل ؟ ولكن كراهيتى للفشل تحولت عندى الى تحـد .. الى رغبة فى التغلب على الظروف ، على العقبـات ، على المشاكل •

لهـذا لم أيأس ، ظللت أقدم عشرات الطلبـات الى الشركات والمؤسسـات •• وفى كل مرة أتلقى عشرات الردود بالرفض • عشرات الردود ، ولكن السبب واحد : عدم وجود الخبرة الكندية • اننى سوف أريك الآن اثنين وسبعين خطابا من شركات مختلفـة خطابات يعتذرون فيها عن تشغيلى لنفس هذا السبب • خطابات ما زلت أحتفظ بها للذكرى .

ثم •• لم أستطع فى النهاية سوى العمل مندوبا لشركة تأمين • هذه لاتعتبر وظيفة ، لانها عمل .. مقابل عمـولة . كل بوليصة تأمين أنجح فى عملها لشخص ما •• أتقاضى عنها عمولة •• ومن متوسط العمولات لم يصـل دخلى بعد سبعة شهور الى أكثر من ٦٠٠ دولار فى الشهر • انهـا مهنة شاقة • انك تمسك فى يدك بمجموعة من بوالص التأمين ثم تدور بها على الناس فى عملهم أو منازلهم تحاول اقناعهم بالتأمين على حياتهم بواسطتك و •• بينى وبينك .. فان معظم بوالص التـأمين التى عملتها فى البـداية كانت لمصريين • ربما اشتراها بعضهم بحكم المجاملة • ربما بحكم تفهم الظروف ، وربما لأى سبب آخر •• المهم اننى بعد عدة أشهر بدأت أحصل من هذه الوظيفة على دخل يكاد يكون ثابتا .. تلك الـ ٦٠٠ دولار التى ذكرتها منذ دقيقة • تعرف ؟ أول شىء اشتريته من كندا كان جهاز راديو قوى •• راديو لأسمع به اذاعة القاهرة ••

ان صوت القـــاهرة بالنسبة لى كان سحرا · شىء لا أنام الا على صداه فى أذنى ·

ولكن عقلى كانت تشغله مهمة أخرى فى نفس الوقت · انهـــا ما زالت نفس المهمـــة · البحث عن عمـــل · اننى ـ رغم الرفض المستمر ـ لم أتوقف عن تقديم طلبات العمل فى أى شركة · بل أكثر من هذا ـ اننى فكرت فى البحث عن وظيفة فى الحكومة ·· لكى أتفادى مشكلة عدم توافر « الخبرة الكندية » التى تشترطهـا الشركات ·

ان التعيين فىجميع وظائفالحكومة هنا يتم بمسابقات · لا أحد يتم تعيينه فى وظيفة الا اذا ثبت أنه أصلح المتقدمين لها · بل ان الترقيات لدرجة أعلى تتم هى الاخرى بمســابقات ، وبغير مراعاة لأية أقدمية ، أو أية اعتبــارات أخرى غير مصلحة العمل · وفى مقابل ذلك ، فانه اذا رقىأحد موظفى الحكومة الفيدرالية الىوظيفة أعلى ، ورأى موظف آخر زميــلا له ان كان أحق بالترقيــة · فانه يستطيع أن يعترض ويرفع دعوى تقرر فيهــا المحــكمة أيهما كان فعــلا أحق بالترقية على أن اشتراط امتحان المســابقة للتعيين فى الحكومة لم يكن هو المشكلة بالنسبة لى . أن المشـــكلة هى أنهم ـ عند التعيين فى وظائف الحكومة هنا ـ يفضلون طبعا الشخص الكندى الجنسية عن الشخص غير الكندى · هذا أمر طبيعى ·

وبالنســبة لى ، فاننى لم أكن قد حصلت بعـد على الجنســية الكندية · لهذا قدرت أننى لا أستطيع الحصول علىوظيفة حكومية الا فى حالة واحدة : أن أثبت لهم أننى أكفأ من أى شخص آخر·

وهذا ، قدرته فعلا · لقد قرأت اعلانا فى الصحف عنحاجتهم الى شغل وظيفة فى الحكومة الفيدرالية · وظيفة خبير فى الكفـاية الانتاجية · وقررت أن أتقدم للامتحان فى المســابقة الخاصة بهذه الوظيفة · قررت ذلك رغم أنها لا تتمشى مع دراستى ، وانكانت تتمشى مع خبرتى ، والبرامج التى حصلت عليهـــا فى التنـظيم والادارة أثناء عملى فى شركة « شل » بالقاهرة . وفى نفس الوقت تقدم معى ٢٢ شخصا آخر لشغل نفس الوظيفــة . كلهم كنديون طبعا .

و ·· حصلت على الوظيفة !

حصلت عليهــا لاننى أصبحت الاول على المتسابقين لشغلهـا · ســاعتها فقط قرروا تعيينى ·· ســاعتها فقط بدأت أحصل على

أول مرتب منظم ، تسعة آلاف دولار في السنة ـ وهو مرتب الوظيفة الجديدة ·· من يومها وأنا أعمل في هذه الوظيفة ، وأحصل على ترقياتي بعد دخول المسابقات التي تجرى لهذا الغرض · والنتيجة هي التي تراها أنت الآخر ·· انني أصبحت مستشارا للحكومة الفيدرالية بأوتاوا في الكفاية الانتاجية ، بمرتب ١٦ ألف دولار ·· وقد حدث أكثر من مرة أخيرا أن انتدبتني الحكومة لرئاسة لجان خاصة لدراسة البرامج الجديدة لتنظيم القوى العاملة ، أو قياس خطط رفع الكفاية الانتاجية ·

ان الصورة التي أمامك هذه هي صورة نشرتها جريدة « ذى نيو أوبتيمست » في صفحتها الاولى منذ سنة ·· بينما كنت أختبر كفاءة بعض العاملين في الحكومة ··· صورة ضخمة منشورة على ثلاثة أعمدة كما ترى بعرض الصفحة الاولى من الجريدة ·· لا ·· لا ·· لا تأخذها أرجوك · هذه هي النسخة الوحيدة المتبقية عندي من ذلك العدد · انني طبعا أريد الاحتفاظ بها ، لانني أعتز بهذه الصورة · ان قيمة هذه الصورة عندي ضخمة طبعا · انها بالنسبة لي رمز يمثل الفارق بين النقطة التي بدأت منها حياتي في كندا ·· ثم النقطة التي وصلت اليها · أنا لا أقول ان هذا أحسن ما يمكن أن أعمله · فما زال طموحي ضخما بالنسبة لما يمكن أن أحققه في المستقبل ، وبالنسبة للفرص التي يتيحها المجتمع الكندى لأى شخص يثبت كفاءته · انني أقول فقط أن عملي الحالي هو على الاقل خطوة في الطريق الذى بدأته · طريق لم أكن أتصور في البداية أنني يمكن أن أسير فيه ، أو الاستمرار في السير فيه ، أو التغلب على العقبات التي صادفتني خلاله ·

انني منذ أول يوم والى الآن ـ أصر على أن أعطى كل وقتي ·· أكثر من وقتي .. لعملي انني هنا لا أحصل على أجازات . في الحقيقة أن أجازتي السنوية هي ثلاثة أسابيع · ولكنني أدخر هذه الاجازات حتى يتجمع لدى تسعة أسابيع كل ثلاث سنوات · قلت لك هذا من قبل تسعة أسابيع أسافر فيها الى مصر . آه . يا أخى انت منذ قدومك الى شقتي هذه مع الصديق عادل الخضرى .. وأنت تقودنى في حديث لا أريده عن نفسي ·· الآن جاء دورك أنت لابد أن تحدثني أنت الآن عن مصر · أرجوك ·· انني أريد أن تحكي لي عن هذا السحر الذى يعيش في داخلنا جميعا ، عن مصر . هل تتحدث معي بتفصيل ·· باسهاب ·· بافاضة ؟ اتفقنا · تشرب ايه ·· خلي الكلام يحلى !



## الفصل الثانى :

عرب فى كندا :

## المليونير .. والموظف .. والنصف نصف !



مع أن المصريين يشكلون الان جالية ضخمة نسبيا فى كنـــدا ، الا اننا لو حسبنا عددهم بالنسبة لمجموع سكان كندا ، فسوف نكشف هذه الحقيقة : انه من بين كل الف مواطن كندى .. هناك مواطن مصرى واحد يعيش فى كندا كمهاجر .. ان هذا معناه ان المصريين فى كندا يزيد عددهم قليلا على عشرين الفا . انهم بذلك يشكلون أول جالية مصرية ضخمة خارج حدود مصر . جاليـــة ضخمة ، ولكنها مازالت أقلية داخل المجتمع الكندى نفسه . ولو وسعنا دائرة اهتمامنا بحيث ننظـر الى كل المهاجـرين العــرب المستوطنين فى كندا .. فان النسبة فى هذه الحالة سوف ترتفع . هذه هى : من بين كل الف من سكان كندا .. هنـــاك أربعـــة من

أصل عربى .. مازالت هذه النسبة اقلية ضمن المجتمع الكندى .. فى الواقع انها أقلية ضئيلة جدا .

ولكن .. لو نظرنا للامور من زاوية اخرى .. فسوف نكتشف ان الجالية العربية فى كندا كانت أقل منذلك جدا ، أقل من نصف عددها الحالى ـ منذ عشر سنوات فقط ان السبب فى ذلك هو ان لبنان وسوريا كانتا تمثلان المصدرين الرئيسيين للهجرة العربية الى كندا حتى وقت قريب • ومنـذ سنوات قليلة فقط أصبحت مصر تشكل مصدرا ثالثا .. مصدرا رئيسيا للهجرة العربية الى كندا ..

وقد أدى اتجاه المصريين الى كندا الى تغيير كبير فى طبيعة تكوين الجالية العربية هناك• انه أولا تغييرعددى، فاعتبارا من سنة١٩٦٢ بدأ المصريرن يصبحون ستة أشخاص منكل عشرة عرب يهاجرون الى كندا ، بالاضافة الى اثنين من المغرب ، واثنين من باقى الدول العربية •

ان وصول المصريين أدى الى رفع عدد الجالية العربية فى كندا من ٦١ ألفا الى ٨١ ألفا . هذا تغيير عددى . ولكن هناك أيضـــا تغييرا نوعيا ترتب على اتجاه المصريين الى الهجرة الى كندا .

فلو نظرنا الى احصائيات الهجرة والسكان التىتصدرها حكومة كندا ، فسوف نكتشف الحقيقتين التاليتين :

أولا ـ ان النسبة الكبرى من المهـاجرين المصريين هم مهنيون ومتخصصون .. لهذا فقد أصبحواهمالفئة الاعلى تخصصا والاكثر احترافا بين المهاجرين العرب • ان ٣١ ٪ من المهاجرين المصريين الى كندا يتجهون أساسا الى الاعمال المهنية أو النصف مهنيـة ، مقـابل ٩ ٪ فقط من المهاجرين اللبنانيين • أما السوريون فانهم يحتلون مكانا وسطا بين الاثنين . ان هذا معناه ان المصرى الذى يتجه الىكندا هوغالبا : مدير ، مهندس ، محام ، طبيب ، جراح ، كيمائى ، صيدلى ، مدرس ، رسام ، محاسب ، أو خبير فنى •

ثانيا ـ ان المهاجرين المصريين هم الاقل بين المهـاجرين العرب اتجاها الى احتراف الاعمال اليدوية : فبينما نجد من الاحصائيات الكندية أن حوالى نصف اللبنـانيين والسوريين يتجهون الى هذه الاعمـال ، نجد أن نسبة من يتجه اليهـا من المصريين هى أقل من الربع • أما باقى المصريين الذين لا يعملون كمهنيين أو يدويين ،

فانهم يتجهون الى الاعمال الكتابية مثـــل : صراف ، مخزنجى ، مختزل ، مترجم ، ميكانيكى ٠٠ الخ ٠

وهذا الاتجاه الذى تمثله الهجرة المصرية الى كنــدا ، يمثل فى الواقع تغييرا نوعيا كبيرا طرأ على تكوين الجالية العربية هناك ٠

ان الجالية العربية في كندا يصل تقديرها الى ٨١ ألفا من بينهم ٢٠ ألف مصرى ، أما الباقون فهم أساسا لبنانيون وسوريون ٠

ان اللبنانيين والسوريين بدأوا يتجهون الى كندا قبـــل بداية القرن العشرين بقليل ٠ ان الجيلين الأولين من المهاجرين العرب الى كندا جاءوا من الشام ، تلكالمنطقة التيتسميالآن سوريا ، ولبنان
ولقد ظلت السمة المشتركة لهذين الجيلين هى نفسها حتىالحرب العالمية الثانية ٠ انهم يتميزون بتعليمهم المحدود ، وخبرتهم الفنية الضئيلة ، وحرفتهم اليــدوية ، وممــارستهم للتجــارة ، ورغبتهم فى الثراء ٠

أما الجيل الثالث ــ من المهاجرين اللبنانيين والسوريين فقد اتجه الى كندا بعد الحرب العالمية الثانية ، وهو يتكون أســاسا من أسر وأقرباء الجيلين الأولين ، الذين كانوا قد استقروا فى كنــدا قبــل الحرب ٠

واعتبارا من الجيل الرابع فقط ، بدأ مستوىالمهاجرين اللبنانيين والسوريين المتجهين الى كندا يضم الكفاءات التى أحرزت مقدما كل مقومات الهجرة ٠ ولكن هذا الاتجاه لم يتأكد نهائيا الا بعد أن بدأ المصريون يتجهون الى الهجرة الىكندا فى موجات متتالية غير منتظمة خلال ستينات هذا القرن ٠

انهذا الاختلاف الزمنى والفرعى بين اتجاه اللبنانيين والسوريين والمصريين الى كنــدا ترتب عليه نتــائج فرعية كثــيرة ، هى التى نلمسها الآن فى قدرة الفئات الثلاث على تربية جذور عميقة داخل المجتمع الكندى ٠٠ فبينما المصريون ما زالوا حديثين كمهــاجرين فى كندا ٠ فان اللبنــانيين والسوريين أصبحت لهم جــذور أكثر عمقا داخل التربة الكندية ٠ جذور تلمسها منمظاهر كثيرة ، منها هــذه الظاهرة مثــلا : أنه يوجد فى كنــدا ٢٥ مليونيرا من أصل لبناني وسورى !

وفى الواقع كان أول نمــاذج ثلاثة من العرب الذين قابلتهم فى كندا يعبرون بوضوح عن قيمة هذه الجذور ، وأستطيع أن ألخص هذه النماذج فى الصور الثلاث التالية :

## الصورة الاولى :

عندما نزل الأب مع أسرته الى شاطىء كندا منذ سبعين سنة بالضبط ، لم يكن هناك ما يبشر بأن هذه الارض سوف تكون فى يوم ما أرض المستقبل . الارض عبارة عنصورة تمهيدية للجحيم. انها فىمنتهى البرودة عندما يحل الشتاء . وهى فىمنتهى القسوة عندما تصبح باردة ، وهى لا ترحم عندما تكون قاسية . انها باختصار أرض ترفض الانسان .

وظل الرجل يكافح .. الى أن مات .

مات وأكبر أولاده لا يزيد عمره على١٧ سنة .. واضطر الشاب الى أن يدرس نصف الوقت .. ويعمل فى النصف الآخر .. واضطرت أمه الى العمل كمصممة أزياء .

ثم أصبح الشاب مهندسا .. وتخصص المهندس فى الجيولوجيا وبدأ حياته داخل المناجم ، شهرا هنا وشهرا هناك .

. . .

ومرت السنوات ، فى الواقع مرت سبعون سنة منذ هاجر الأب مع أولاده الى كندا . سبعون سنة ، أصبح الشاب المهندس بعدها أبا لثلاثة أولاد ، بنتين وولد فى السنة النهائية بالمدرسة الثانوية . وأصبح رئيسا لشركة ضخمة اسمها « مؤسسة الاسبستوس المتحدة » ، ومقرها الرئيسى مدينة مونتريال بكندا ، انها شركة تتولى عمليات استخراج الرصاص والذهب واليورانيوم والاسبستوس فى مناطق واسعة من العالم من بينها فرنسا .

بقيت نقطة واحدة عن هذا الرجل . ان ثروته الآن ٢٨ مليون دولار .. أكرر ثمانية وعشرون مليونا من الدولارات أى ما يقرب من ٢٣ مليون جنيه .

نقطة أخرى : ان الرجل اسمه فيليب معلوف . لبنانى . هاجرت اسرته الى كندا سنة ١٩٠٠ . مات أبوه سنة ١٩٢٠ يعيش الآن فى مدينة مونتريال بكندا . أعمار بنتيه وولده هى : ٢٢ ، ١٩ ، ١٧ سنة . الجميع مع والدهم - جنسيتهم الان كندية .. انهم لا يتكلمون اللغة العربية ولكنهم يفهمونها .

وعندما قابلت فيليب معلوف فى مقر شركته بالدور التاسع من شارع دورشستر بمدينة مونتريال قال لى : اننى احاول أن أربط اولادى ببلدهم الاصلى - لبنان - بعد ان اصبحت الظروف تمكننى من ذلك الان . ان الولد يريد أن يتخصص - بعد تخرجه

ـ فى اعمال البنوك ـ انا اريد ان يتولى اعمالى من بعدى . ان عمرى الان ٥٧ سنة . اننى لم اتعب بعد لاننى حريص على عملى. لقد جئت حالا من رحلة الى جنوب افريقيا وكينيا وتنزانيا .. اننى تعلمت الترحال من ابى .. ان ابى هو الذى جاء بنا الى هنا .. ابى جاء الى استراليا أولا فى سنة ١٨٨٥ ، ثم جاء بنا الى كندا فى سنة ١٩٠٠ ، اننى لم أزر لبنان ، ولا مرة حتى الآن .. قريبا سأفعل ذلك ..

## الصورة الثانية :

هذا ثانى نموذج قابلته فى كندا ، نموذج مصرى هذه المرة . هذا النموذج هو هنرى حشيمة • مصرى عمره خمسون سنة ظل يعمل فى مصر الى أن وصل الى وظيفة مدير لبنك القاهرة فى مدينة الاسكندرية . ولكنه ترك هذه الوظيفة ليهاجر الى كندا سنة ١٩٦٢ .

انه الآن يشغل وظيفة عضو مجلس الادارة المنتدب بشركة ( انترافينا ) ، وهى شركة كندية لتمويل عمليات التجارة الخارجية مرتبه ٢٥ ألف دولار سنويا ( أكثر من ١١ ألف جنيه مصرى ) .. متزوج ولديه ولد وابنتان ( احداهما سنتعرف عليها بعد ) .. أخته أيضا تعمل فى مدينة مونتريال ، وهى متزوجة من مهندس الكترونات مصرى يعمل فى مونتريال ودخله السنوى ٢٢ ألف دولار ..

وبعد أن نجح هنرى فى عمله ذهب اليه شقيق زوجته الحاصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة وبعد أن حصل على الماجستير فى الحقوق من كندا اكتشف أن العمل بالمحاماة صعب ، فحصل على بكالوريوس فى التربية ثم عمل استاذا فى أحد المعاهد التعليمية ، ثم عضوا بمجلس الادارة . وبعدها حصل على منحة دراسية لدراسة الدكتوراه فى فرنسا .

## الصورة الثالثة :

مصرى أيضا .. هذا النموذج الثالث .. اسمه مصطفى محمد الهلالى .

ان الدكتور مصطفى مهاجر مصرى بالصدفة .. لقد بدأ كمجرد مغترب يعيش فى كندا ، انه ذهب الى كندا فى أول يوليو سنة ١٩٦٥ ليحصل على الدكتوراه فى جراحة المسالك البولية

بعد أن حصل على الماجستير فى مصر . ومع أن مصطفى له قصة اخرى ربما أكتبها فيما بعد ، الا أنه يكفينا الآن ان نعـرف انه يعمل حاليا استاذا مساعدا لجراحة المسالك البولية فى جـامعة ( شيربروج )بكندا ، بالاضافة الى أنه طبيب أخصائى فى المستشفى التابع للجامعة .. انهم اختاروه فى هذه الجامعة بالذات ، وهـذا المستشفى الحديث بالذات . بعد أن اعتبروه هنـاك واحدا من اكفأ وابرز جراحى المسالك البولية .

و ... هذه أول ثلاث صور مختلفة من أعضـــاء الجاليات العربية الذين قابلتهم فى كندا ، بعد أن نجحوا فى الحيـاة داخل المجتمع الكندى . انهم مجرد ثلاثة نماذج من الـ ٨١ ألف عـربى الذين هاجروا الى كندا ويعيشون فيها الآن . بعضهم اكتسب الجنسية الكندية ، وبعضهم لم يكتسبها بعد .

حتى تكون الصورة أمينة تمـاما فلابد أن أضـع تحفظا كبيرا هنا . هذا هو : ان النماذج الثلاثة السابقة ــ النموذج اللبنانى والنموذجان المصريان ــ لا يمثلون القاعدة بالنســبة للمهاجرين العرب فى كندا . انهم ليسوا كذلك ــ لا هم ولا النمـاذج الثلاثة التى تحدث عنها الفصل الاول من هذا الكتاب .. بمعنى أنه ليس من اللازم بالضرورة أن كل مهاجر الى كندا سوف يحقق نفس هذه النتائج فى نفس هذه المدة القصيرة .. بل انه ربما توجد فى مقابل ذلك حالات فشل سوف نناقش اسبابها ، ونستعرضها فيما بعـد ولكن النتيجة الرئيسية بعد هذا كله هى : ان النجاح .. الخارق احيانا ــ هو أمر ممكن دائما بالنسبة للجالية العربية فى كندا ..

والواقع ان النماذج الثلاثة تعطينا صــورة تشمل كل العناصر المميزة للجالية العربية فى كندا . فاللبنانيون مثلا هم ــ كما ذكرت من قبل ــ أول المهاجرين العرب الى كندا . ان هجرتهم الى هناك بدأت فى وقت مبكر من نمو المجتمع الكندى .. وبالتالى فانهم اكثر اندماجا فيه واكثر قدرة على النجاح .. وهذا معناه ان نتـوقع وجود مليونيرات بينهم مثل المليـونير فيليب معلوف الذى أشرت اليه منذ قليل .

وفى مقابل ذلك فان السوريين هم ثانية مجمـوعة عربية بدأت تهاجر الى كندا بعد اللبنانيين أما المصريون فهم ــ كما عرفنا فى الصفحات السابقة ــ أحدث من هاجـروا الى كندا .. ومع أن عددهم فى كندا ينمو الان بسرعة ، الا أن هذا العدد له خصائصه المشتركة .. بل وحتى يكاد يكون له نفس الاعمال المتشابهة .

فنحن نجد أن المصريين المهاجرين الى كندا هم عادة موظفون .. أساتذة فى الجامعات والمدارس ، مهندسون ، أطباء ، مديرو بنوك . ولكن .. ما زالت هذه كلها أعمال موظفين ، أقول هذا من خلال الشهور التى قضيتها فى لقاءات بالمئات منهم فى كندا .

وهذا فى مقابل ان اللبنانيين نادرا ما يهاجرون للحصول على وظيفة . لقد اكتشفت فى كندا انه من النادر جدا أن أجد لبنانيا يعمل موظفا فى مصلحة حكومية مثلا .. قد أجد اللبنانى موظفا فى شركة ـ رئيسا لمجلس ادارة مثلا ولكنه فى نفس الوقت .. صاحبها ! ..

وعندما تذهب الى مدينة أوتاوا ـ عاصمة كندا ـ أو الى مدينة مونتريال .. اكبر مدن كندا .. فانك ستجد على الفور حوالى ثلثى المطاعم وربع المحلات التجارية يملكهـا أو يديرها لبنانيون وسوريون . ولا يمكن أن تجد مطعما مفتوحا فى مدينة أوتاوا مثلا يومى السبت والأحد الا اذا كان صاحبه لبنانيا أو سوريا .

وعندما سألت واحدا من هؤلاء عن سر هذه الظاهرة قال لى : « المسألة بسيطة . المسألة تبدأ دائما بواحد فقط من الاسرة يأتى الى هنا مهاجرا .. وحيث أنك تستطيع الحصول على قروض ضخمة من البنوك هنا ، فان أسهل عمل وأسرعه ربحـا هو أن تفتح مطعما . ان هذا العمل له مزايا كثيرة .. فأولا المنافسة فيه ممكنة ، ليس فقط من حيث مستوى الاطعمة . ولكن من حيث ساعات العمل . فكل المحلات هنا تغلق أبوابها فى الخامسة مساء بينما نحن نظل نعمل الى ساعة متأخرة من الليل . وكل المحلات تغلق يومى السبت والاحـد حيث العطلة الاسـبوعية هى شىء مقدس ، بينما نحن كشرقيين معتادون على العمل ساعات أطول وعددا اكبر .. ثم .. عندما ينجح أحدنا هنا فانه يرسل لاحضار عائلته أو اقاربه لكى يعملوا معه .. وهكذا تبدأ العجلة فى الـدوران ..

ان المتكلم هنا اسمه يوسف راشد .. لبنانى .. صاحب مطعم بمدينة أوتاوا عاصمة كندا هاجر الى هناك منذ ١٥ سنة .. بدأ حياته بالعمل بأجر أسبوعى لايزيد على ٣٥ دولارا ولكنه الان يملك مطعما ربحه الصافى الفا دولار شهريا ، بالاضافة الى منزل قيمته الحالية مائة وخمسون الف دولار . منزل كان قد اشتراه منـذ عدة سنوات بـ ٦٥ الف دولار .

× × ×

ان اللبنانى اذن من بين أعضاء الجالية العربية فى كندا ـ تجده دائما يمارس اعمال التجارة عندما يهاجر الى هناك .. وهو عادة

يبدأ حياته بطريقة متواضعة للغاية .. وعندما يغامر فانه كثيرا ما يفشل ويخسر كل ما يملك .. ولكن اللبنانيين لديهم مثل شعبي يقول « تقتل اللبناني .. يطلع تاني » - وهذا صحيح الى حد كبير - فاللبناني .. مثل أى تاجر لا يعترف بالهزيمة مطلقا .. ويحاول دائما ان يبدأ من جديد . السوريون أيضا فى كندا نجدهم غالبا يمارسون أعمال التجارة ولكن السوريين يقعون فى منتصف المسافة بين اللبنانى من ناحية والمصرى من ناحية اخرى

ومن الطريف هنا اننى كنت كلما دققت النظر فى حياة المهاجرين العرب كلما ذهبت الى كندا، كنت اكتشف أن الجميع هنا فى كندا - يحملون صفات شعوبهم . يحملونها كل هذه المسافة .. وهى تطاردهم طوال هذه المسافة ..

**فالمصرى يبحث عن العلم .. والسورى يبحث عن الشهرة .. واللبنانى يبحث عن المال ..**

**المصرى يريد الاستقرار .. والسورى يريد التغيير .. واللبنانى يريد الثروة ..**

**المصرى يحلم بالامن .. والسورى يحلم بالنفوذ .. واللبنانى يحلم بمليون دولار ..**

**المصرى يتمنى راحة البال .. والسورى يتمنى راحة القلب .. واللبنانى يتمنى راحة الجيب ..**

**المصرى يعمل بعقله .. والسورى يعمل بصوته .. واللبنانى يعمل بعقله ويده وأسنانه ..**

**المصرى مثقف .. والسورى مجادل .. واللبنانى متعب ..**

**المصرى يعبد الله .. والسورى يعبد الله وأسرته .. واللبنانى يعبد الله ومحفظته .**

**المصرى مطيع للسلطة .. والسورى متمرد على السلطة .. واللبنانى ثائر ضدها .**

**المصرى قنوع .. والسورى متطلع .. واللبنانى مجازف .**

**المصرى مشدود الى ماضيه .. والسورى مشدود الى سمعته .. واللبنانى مشدود الى رصيده فى البنك ..**

**المصرى فى غناه يشترى منزلا .. السورى يشترى أرضا .. اللبنانى يشترى أسهما ..**

**المصرى ينفق الى آخر مليم فى جيبه .. السورى ينفق الى آخر مليم فى جيب أسرته .. اللبنانى ينفق الى آخر مليم فى جيوب الاخرين .**

**المصرى قد يحمل فى جيبه صورة لوالدته .. السورى صورة لابنه .. اللبنانى لايحمل صورة على الاطلاق ..**

**المصرى يرضيه الثبات .. السورى يرضيه التطور .. اللبنانى ترضيه الفوضى ..**

**المصرى موظف غالبا . والسورى تاجر أحيانا .. واللبنانى تاجر دائما ..**

**المصرى محافظ عادة .. والسورى مغامر نادراً .. واللبنانى مغامر أبدا ..**

فتكون نتيجة هذا كله هى :

اللبنانى يفشل أحيانا . وينجح غالبا . والسورى .. ينجح أحيانا .. ويفشل نادرا .. والمصرى يعيش .. يعيش فقط !

و ... هذه هى أول نتيجة خرجت بها بعد التأمل فى حياة الـ ٨١ ألف مصرى وسورى ولبنانى .. الذين يعيشون فى كندا .

وانت تلمس هذه النتيجة فى طبيعة الاعمال التى يتجه اليها أعضاء الجالية العربية فى كندا : فاللبنانيون يمارسون الاعمال التجارية ، ابتداء من البنوك والبورصة والمضاربة .. الى ادارة المطاعم والفنادق . والمصريون هم غالبا أساتذة فى الجامعات ، والمعاهد والمدارس ، وموظفون فى الشركات وبعض مصالح الحكومة .. أما السوريون فهم بين بين .

والواقع أن سمعة المصريين فى كندا هى أمر يفخر به كل مصرى . فبشهادة رئيس وزراء مقاطعة كويبك نفسه ، فان الكنديين يرون أن المدرسين المصريين هناك هم أكفأ المدرسين والاطباء المصريين هم أكفأ الاطباء وابرزهم . وقد رأيت فى مدرسة واحدة بمدينة مونتريال ١٢ مدرسا مصريا .. من مجموع المدرسين البالغ عددهم ٣٧ مدرسا !

بل انه حدث منذ خمس سنوات أن عمل طبيب مصرى فى احد المستشفيات القريب من مدينة مونتريال . وبعد خمس سنوات وصل عدد الاطباء المصريين فى المستشفى الى ١٧ طبيبا. لقد أصبح المستشفى « مستعمرة » مصرية خارج الحدود ! ان السبب فى هذا بسيط : لقد أعجب مدير المستشفى بكفاءة وأمانة الطبيب المصرى الاول .. فطلب منه أن يرشح له طبيبا مصريا ثانيا . وثالثا ورابعا .. مكان كل وظيفة تخلو فى المستشفى .. مما أدى فى النهاية الى هذه النتيجة .

×××

والواقع أن هذه الظاهرة ترجع الى سببين :

**فأولا** : المصرى بطبعه موظف ممتاز . هذا عيب كبير فى المدى الطويل ، ولكن هذا موضوع آخر . المهم .. ان المصرى منظم فى عمله ، متقن له .

وبالاضافة الى هذا فان الثقافة المصرية أكثر شمولا من ثقافات أخرى كثيرة . فالمقارنة هنا تمثل المقارنة بين الثقافة الاوربية والثقافة الامريكية . الاولى أكثر شمولا والثانية أكثر تخصصا . الاولى تعطيك مثقفين والثانية تعطيك فنيين . الاولى تمتاز فى العلوم الانسانية والثانية تمتاز فى العلوم التطبيقية والعملية .

**وثانيا** : يرجع السبب أيضا فى ظهور كفاءة المصريين الى طبيعة المجتمع الكندى نفسه . انه مجتمع يحترم الكفاءة ويتيح لها مجالا واسعا للعمل والتقدم . ونظرالانه عبارة عن مجتمع من المهاجرين فان المعيار الوحيد المعترف به لتمييز الافراد هو كفاءتهم .

وأنت تلمس هذا فى أى مكان تتجه اليه فى كندا ، مع أنك لن تجد المصريين والعرب عموما ــ فى أى مكان فى كندا .

ان العرب يتركزون فى مقاطعات معينة داخل كندا ، فى مدن معينة داخل هذه المقاطعات .

اننا نعلم أن كندا مقسمة سياسيا الى عشر مقاطعات هى : نيوفاوندلاند ــ جزيرة برنس ادوارد ــ نوفاسكوتيا ــ نيوبرونسويك ــ كويبك ــ أونتاريو ــ مانيتوبا ــ ساسكاتشيوان ــ البرتا ــ كولومبيا البريطانية ، ثم منطقتان اداريتان بعد ذلك تديرهما الحكومة الفيدرالية ، ومن بينها المناطق الشمالية .

ومن بين المقاطعات العشر السابقة فاننا نجد بصفة عامة أن معظم التركيز العربى يوجد الآن فى مقاطعة كويبك ، وبالذات فى مدينة مونتريال . أما التجمع العربى الثانى فيوجد فى مقاطعة أونتاريو . والتجمعان العربيان الثالث والرابع موجودان فى مقاطعة البرتا ومقاطعة نوفاسكوتيا . ان ثمانية من كل عشرة مواطنين عرب فى كندا يعيشون فى واحدة من هذه المقاطعات الاربع . وبالنسبة للمهاجرين المبتدئين فان ٩٠ ٪ منهم يختارون عادة مقاطعة كويبك أو أونتاريو بالذات مقرا لاقامتهم .

ومن بين العرب فى كندا ، نجد أن المصريين بالذات يتجهون غالبا الى الحياة فى المدن ، وبالذات مونتريال .. تورنتو .. أوتاوا .. ويندسور ، لندن ، أونتاريو ، أوفانكوفر .

ان هذا التركز ساعد الجاليات العربية فى كندا على تنظيم

نشاط اجتماعى مستمر ومنتظم بين أعضائها . ان هذا لم يحدث بعد بصورة فعالة بالنسبة للمصريين ، ولكنه حدث بالنسبة للبنانيين والسوريين .

ونحن نستطيع أن نتابع هذا النشاط الذى تقوم به الجالية السورية اللبنانية بكندا فى عدة مجالات بالتحديد ..

**فاولا :** هناك النشاط الاجتماعى الواسع ، الذى تلمس مظاهره فى الحفلات التى يقيمها اللبنانيون والسوريون فى مناسبة الاعياد القومية لبلادهم أو فى المناسبات العامة .

**وثانيا :** هناك الجريدة التى يصدرونها فى كندا باسم ( الشرق الاوسط فى كندا ) جريدة تصدر باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ويمتلكها لبنانى اسمه جوزيف لحود . صحيح أنها جريدة بدائية جدا ولغتها ركيكة جدا وتدار بطريقة تجارية جدا .. ولكنها جريدة على أى حال !

وثالثا : هناك اللقاءات التى تتم فى عطلة الاسبوع وحفلات عطلة الاسبوع والتى يكون مكانها المفضل هو الكنائس العربية والمساجد الاسلامية . ونظرا لان المساجد ما زالت نادرة جدا هناك فاننى سوف أتحدث الان عن نشاط الكنيسة أولا .

× × ×

ان أول مايلفت النظر فى نشاط الكنيسة العربية فى كندا هما شخصيتان بالذات .. أولهما الاب جورج كورياتى ، ممثل الكنيسة الكاثوليكية اللبنانية فى كندا . والثانى هو الأب روفائيل ممثل الكنيسة المصرية هناك .

ان القس كورياتى يعرف عددا كبيرا من العرب فى كندا ، وبالذات معظم المقيمين فى مدينة مونتريال . انه يقيم فى كنيسته بمونتريال كنيسة ضخمة مسجل فيها ٢٥٠ أسرة أى ١٢٥٠ شخص تقريبا . والواقع أن وجود الاب كورياتى هناك ادى الى حل مشاكل كثيرة بالنسبة للمصريين بالذات الذين هاجروا الى كندا ـ مسلمين أو مسيحيين .

فأولا ـ بالنسبة للمشاكل التى تواجه المصرى المهاجر خلال ايامه الاولى من حيث الاقامة او الطعام يوفرون له مكانا مريحا للاقامة ووجبات رخيصة تسدد قيمتها عندما يبدأ فى العمل .

وثانيا ـ بالنسبة لترجمة الوثائق الرسمية ـ الشهادات الجامعية وشهادات الزواج والميلاد مثلا ـ لابد من ترجمتها من

اللغة العربية الى اللغتين الانجليزية أو الفرنســـية أو العكس . عملية تتكلف ٢٥ دولارا للشهادة الواحــدة . ولكن الاب كورياتى يقوم بها مجانا والحكومة الكندية تعترف رسميا بترجمته . وقد تبدو هذه المســألة تافهــة ، ولكن لا يدرك مدى قيمتهـــا الا من هاجر فعلا واحتاج اليها عدة مرات .

ولقد قال لى الاب كورياتى عندما قابلته فى كنيسته بمونتريال « اننا استضفنا هنا مرة رئيس وزراء مقاطعة كويبك . ولقد عبر الرجل فى خطابه يومها عن تقديره للثقافة الواسعة والكفاءة الممتازة التى يتمتع بها المهاجرون المصريون . وقال فى خطابه أيضـــا ان الرجل العادى فى كندا أحس ــ من خلال المهاجرين المصريين ــ بأن الشعب المصرى فعلا شعب صاحب حضارة عظيمة ويتمتع بثقافة عالية . وانه يتمنى لو تضاعف عدد المهاجرين المصريين » .

ومن المؤكد أن السبب الرئيسى فى ذلك يرجع اولا الى تركـــز المصريين فى وظائف معينة وهامة داخل المجتمع الكندى ، منها مثلا التدريس ، ففى وزارة التعليم هناك الآن خمسمائة مدرس عربى ــ معظمهم مصريون ــ يقومون بتدريس اللغة الفرنســية فى مقاطعة كويبك وحدها . هذا الرقم على مسئولية الاب كورياتى .

ولكن اذا كانت جذور المصريين فى كندا قد امتــدت فقط الى المدارس وأجهزة التعليم ، فان اللبنانيين والســوريين ــ بسبب هجرتهم المبكرة الى كندا ــ قد امتدت جذورهم الى العمق من ذلك ان أحد المهاجرين العرب مثلا ــ الذين هم من اصل سورى قــد أصبح عضوا فى البرلمان الفيدرالى ، واسمه بيير دبانى .

وهناك عضو اخر بمجلس الشيوخ الفيدرالى من اصل لبنــانى واسمه ميخائيل باشا . وقد أخبرنى الاب كورياتى ان الحــكومة الكندية أختارت قاضيا من الجالية العربية للفصل فى النزاع الذى يكون أحد أعضاء الجالية طرفا فيه ــ على خلاف النظام المعمــول به هناك ، وذلك تعبيرا عن تقديرهم للجالية العربية فى كندا .

×××

**والشخصية الثانيــة المتصلة بالجالية المصرية بالذات على نطـــاق واسع هو الاب روفائيل الذى أوفدته بطريركية الاقباط فى مصر الى كندا سنة ١٩٦٧ لرعاية أحوال المسيحيين الموجودين فى شمال أمريكا . ان القس روفائيل حاصل على الدكتوراه فى الاجتماع من فرنسا ، ويقوم حاليا بتمثيل الكنيســة المصرية فى كندا والولايات المتحدة .**

وعندما زرت القس روفائيل فى المرة الاولى بعد وصوله الى كندا بسنة واحدة ، كان مايزال مقيما فى شقة ضيقة ، وبامكانيات محدودة للغاية . ثم زرته مرة أخرى بعد ذلك بسنتين .. فوجدته قد انتقل الى منزل جديد . منزل من دورين وسط مدينة مونتريال ، مجهز بالامكانيات اللازمة له لمباشرة عمله . وبعد أن كان يبحث عن المصريين المسيحيين فى المرة الاولى ، اصبحوا هم يبحثون عنه فى المرة الثانية ، وأصبح لديه جدول بالزيارات اليومية التى يقوم بها ، ومواعيد سفره المنتظمة الى المدن التى يتجمع فيها المصريون كل يومى سبت وأحد .

وبالطبع مازالت هناك فجوة ضخمة بين النشاط الذى تستطيعه الجالية المصرية ، والنشاط الذى تستطيعه الجالية السورية واللبنانية . ان ضعف الامكانيات المادية ، وقلة العدد نسبيا ، وقصر المدة فى كندا .. هى أسباب رئيسية فى ذلك . ان الجالية اللبنانية السورية نفسها لم تبدأ نشاطا اجتماعيا موحدا الا بعد أن قضت فى كندا أكثر من ثلاثين سنة .

لقد شكل اللبنانيون والسوريون جمعية لهم فى سنة ١٩١٩ . لممارسة النشاط الاجتماعى والثقافى . جمعية احتفلت فى سنة ١٩٦٩ بيوبيلها الفضى . وفى هذا الاحتفال بمرور خمسين سنة اقامت الجمعية عدة حفلات للطعام والرقص وجمع التبرعات ، وأصدرت كتابا انيقا ضخما اراه بين يدى الان . كتابا يبيعونه للاعضاء بأربعة دولارات . ويضم دليلا بعناوين وتليفونات أربعة الاف سورى ولبنانى من أعضاء الجمعية المتمركزين فى مونتريال ، أوتاوا ، وتورنتو .

والكتاب يبدأ بصورة خطاب من جون درابو عمدة مونتريال .. موجه الى رئيس الجمعية اللبنانية السورية الكندية . فى الخطاب **يقول العمدة « اننى سعيد بالمشاركة مع الاصدقاء العديدين بالجمعية اللبنانية السورية الكندية فى تقديم التهانى القلبية منى ومن زملائى المواطنين فى مناسبة العيد الخمسين لتاسيس هذه الجمعية . ان زملائى المواطنين ذوى الاصل اللبنانى والسورى قد ساهموا دائما فى تقدم ونمو مدينتنا . ان احتفالاتهم بهذا العيد سوف تشهد بغير شك تقييما لانجازاتهم واملا فى التحرك نحو اهداف جديدة . ان الجمعية اللبنانية السورية الكندية فى كويبك قد لعبت ــ من خلال نشاطاتها المتنوعة ــ دورا ديناميكيا فى كثير**

**من الحركات الاجتماعية والثقافية . انني أتمنى لها نجاحا دائما ومستمرا » .**

ان نشاط الجمعية السورية اللبنانية فى كندا لا يتم فقط من خلال ناديها فى مونتريال ، وانما أيضا من خلال الجمعية المتفرعة عنها للسيدات اللبنانيات والسوريات فى كندا . جمعية خيرية تشكلت هى الاخرى فى سنة ١٩٣٠ .

وعندما قابلت رئيسة هذه الجمعية فى مونتريال — واسمها مسز أيلى أبو سمرة قالت لى : « ان الحديث حول تشكيل هذه الجمعية بدأ فى سنة ١٩٢٩ . حديثا بدأ على أساس حاجة الجالية اللبنانية السورية الى جمعية خيرية تقوم بتقديم المساعدات للاسر الفقيرة الموجودة . أو ارشاد ومساعدة المهاجرين الجدد الذين يصلون من الوطن . وقد تقرر تشكيل هذه الجمعية فى أجتماع خاص حضرته ثلاثون سيدة ، برئاسة المرحومة السيدة نجلاء . وفى ذلك الاجتماع أعلنت السيدات أن هدفهن هو مساعدة المحتاجين من أسر المهاجرين السوريين واللبنانيين ، وانتخبن مسز ونيس عبد النور رئيسة لهن ، ومسز سليم الشامى نائبة للرئيس وحددن رسم الاشتراك فى الجمعية بثلاثة دولارات سنويا ، مع استخدام نادى الجمعية اللبنانية السورية فى مونتريال مقرا لاجتماعاتهن نصف الشهرية »

واضافت مسز ايلى ابو سمرة : « اننى الان انتخبت رئيسة لجمعية السيدات هذه . لقد ارتفع رسم الاشتراك السنوى الى خمسة دولارات ، واصبح عدد عضوات الجمعية فى مونتريال فقط يقترب من المائتى سيدة ، النسبة الاكبر منهن نشيطات ونشاط الجمعية يتم تمويله عن طريق الحفلات التى نقيمها للطعام والرقص وجمع التبرعات » .

**وقبل أن أنسى ، أريد أن أسجل أن مسز ايلى ابو سمرة كانت تحدثنى معظم الوقت باللغة الانجليزية . انها حاولت فى البداية التحدث باللغة العربية ، ولكن بعد كلمة او كلمتين استنجدت باللغة الانجليزية . انها تمثل الجيل الثانى من المهاجرين اللبنانيين فى كندا . انه جيل ذاب أكثر فى المجتمع الكندى ، ولا يحتفظ بصورة واضحة لوطنه الاصلى الا من خلال والديه . صورة تتركز معانيها دائما فى الشعور بالحنين والشوق نحو الوطن الاصلى .**

**ومع أنها سيدة خفيفة الدم جدا ، ومع انها الان مواطنة تحمل الجنسية الكندية ـ وتملك مع زوجها شركة ضخمة فى مونتريال ـ الا ان أول شيء طلبته منى هو : قل لى آخر نكتة ! طلب تقليدى تسمعه من أى عربى عندما تقابله ، فالنكتة هى فن السخرية .. والحياة فى كندا لا تعطى وقتا حتى للسخرية !**

ان الحياة فى كندا تعطى فقط وقتا للعمل ثم الراحة من العمل . وحتى الراحة من العمل هى فى الوقت نفسه استعداد لعمل اليوم التالى . انه مجتمع للمتحركين فقط .. العاملين فقط . النشطين فقط . انه مجتمع من المهاجرين ، والمهاجر بطبعه شخص نشيط كفء ، متحرك ، ويحلم بثروة أكبر او مناخ افضل . ان ادراك هذه الحقيقة كان سببا فى اتجاه اللبنانيين والسوريين . ثم المصريين مؤخرا . الى كندا .

وكلما تعمقت أكثر فى حياة أعضاء الجاليات العربية فى كندا .. فان هذه الاعذار سوف تختفى من مسامعك : ممتاز ، ولكن متعب! متفوق .. لكن صغير . متطلع .. لكن مجازف . كفء .. لكنه مغامر . ان النماذج السابقة من الاشخاص يرفضها مجتمعنا كثيرا انه يفضل عليها نماذج أخرى بلاطعم ولا لون .. ولاخطأ .. يفضل من لا يجرب ولا يغامر ولا يجازف ولا يثير مشاكل .

ولكن هذه النماذج نفسها هى التى تنجح فى كندا . ان المجتمع هناك يطلب منك أن تعمل اولا . العمل شاق . اذا عملت .. فستكافأ اذا تعلمت .. فستكسب .. اذا تفوقت .. فستتقدم اذا فكرت فستنجح .

اما اذا لم تفعل فالوظيفة مقبرتك والجحيم مصيرك . ساعتها لن ينتظرك أحد . لن يرحمك أحد ، ساعتها لن تستطيع التقدم ، ولا حتى التراجع الى بلدك .. لكى يرحمك فيها أحد ..

**و .. نحن الان قد بدانا نتحدث عن المجتمع الكندى نفسه انه حديث طويل يحتاج الى فصل اخر لمناقشته .**

## الفصل الثالث :

### نظرة على المجتمع الكندى

# يحدث فى كندا فقط !



باختصار شديد، هذه هى كندا : الجد هندى .. الاب انجليزى .. الام فرنسية .. الابن المانى .. والزوج أمريـكى . انه زواج بعقد عرفى . زواج غير موجود رســـميا ـ حتى لا يردد الناس الاشاعات ـ ولكنه زواج فعلى . انه حقيقة ، أمر واقع ، قدر لا مفر منه !

ان كندا أخذت أرضها من الهنود الحمر ، واخذت دستورها من بريطانيا ، ونشاطها من فرنسا ، ونظامها من المانيـا ، ونقودها من أمريكا !

ان ميراثها هندى ، افكارها انجليزية ، طعامها فرنسى ، شوارعها المانيه ، ثم حياتها كلها بعد ذلك .. أمريكية !

ان الحياة فى كندا معناها فى الواقع الحياة فى أمريكا .. دون أن

**تكون موجودا فى واحدة من الولايات الخمسين بامريكا . ان كندا هى الجار الشمالى للولايات المتحدة الامريكية ، ومع ذلك فانك فى كندا تحس ـ مثلما أحس انا ـ بانك ما زلت فى امريكا .**

**فالرجل العادى بكندا يتحدث بلهجة امريكية ، ويركب سيارة بويك أو بليموث أو ثندربيرد ، ويسير بها على طرق سريعة ، ويملؤها بنفس نوع البنزين ، ويذهب الى السينما بسيارته ، ويأكل الهامبرجر والسجق والفشار ، ويشاهد مباريات الكرة فى التليفزيون ـ أحيانا على نفس القناة الملونة التى تشاهدها أمريكا ، ويعيش فى منزل مكيف ، بمطبخ عصرى مجهز ، مطبخ تجد فيه دائما الثلاجة والسخان والخلاط والبوتاجاز الاوتوماتيكى وغسالة الملابس وغسالة الاطباق ، ثم .. بعد هذا كله .. يحمل معه فى اجازته مشواة لاعداد الطعام على الشاطىء .**

أن الرجل الكندى يعيش اذن كأمريكى .. دون أن يكون أمريكيا حياة تتيح له امتيازات كثيرة ، ولكنه يدفع ثمنها أيضا . فالاجور أقل من امريكا قليلا ، والجو ابرد من امريكا قليلا ، والدولار الكندى أقل فى قيمته من الدولار الامريكى قليلا .

ومع ذلك .. فهذه هى الصيغة التى اختارتها كندا للحياة بجوار العملاق الامريكى . لقد تزوجت كندا بامريكا . زواجا مع وقف التنفيذ . أن الزوج والزوجة يعيش كل منهما فى بيت مستقل . دولة مستقلة . الزوج يدفع الاموال ، والزوجة ترد اليه الارباح كل سنة . أرباحا ضخمة . أن حجم الاستثمارات الامريكية فى كندا وصل الى ثلاثة الاف مليون جنيه خلال السنوات العشر السابقة فقط .

فحينما تكون كندا هى الجار الشمالى للولايات المتحدة ، وحينما يكون شعبها عشرين مليونا .. بجوار شعب أمريكى يزيد عدده على ٢٠٠ مليون ، فلابد أن يؤدى هذا الوضع الى وجود تأثر مستمر لصالح الدولة الاكبر ، وهى الولايات المتحدة . ولابد أن تلاحظ هذا التأثير فى مظاهر الحياة اليومية بكندا ، عندما تسافر اليها أول مرة .

x x x

ان كندا بلد بعيد عنا بما يعادل ١٧ ساعة بالطائرة . انها تقع فى قارة أمريكا الشمالية . سقف أمريكا وتقع شمال الولايات المتحدة الامريكية . ان كندا هى ثانى بلاد العالم من حيث المساحة . معنى ذلك أن مساحتها اكبر من مساحة الصين الشعبية مثلا ، واكبر من

مساحة الولايات المتحدة نفسها . بل أن مساحة كندا تكاد تتساوى مع مساحة جميع الدول العربية ، بينما سكانها هم خمس سكان الدول العربية .

باختصار : مساحة كندا عشرة ملايين كيلو متر مربع وسكانها عشرون مليونا .

ان هذا العدد الضئيل من السكان لا يكاد يوحي بأن كندا يمكن أن تصبح ذات شأن في المستقبل . ولكن الحقيقة عكس ذلك تماما فلو استمر المجتمع الكندي بمعدل تقدمه الحالي فان القرن القادم سوف يكون قرنهم . حقيقة كانوا يلقنونها لاطفالهم في المدارس منذ سنوات . المستقبل سوف يكون لهم . هذه الحقيقة تتأكد سنة بعد أخرى .. بالرغم من المشاكل الحضارية التي يواجهها شعب كندا .

من هذه المشاكل مثلا .. تعدد الثقافات التي تسعى للسيطرة على العقلية الكندية . هناك الثقافة الفرنسية من جانب والثقافتان الانجليزية والامريكية من جانب اخر . ونتيجة لهذا التنافس أصبحت كندا جسرا فوق الفجوة الثقافية بين أوربا وامريكا . أصبحت حلا وسطا بين الحضارة الاوربية والتكنولوجيا الامريكية ولكنه لم يصبح حلا الا مؤخرا فقط . فمن قبل ظلت المشكلة تواجه كندا لسنوات طويلة .

فالصراع بين الثقافتين الفرنسية والانجلو سكسونية على أرض كندا يرجع الى ثلاثة قرون سابقة . ان كندا كانت أرضا مجهولة حتى نهاية القرن الخامس عشر . ثم بدأ الناس يذهبون الى كندا قادمين من أوربا .. بحثا عن الثورة وأسلوب جديد في الحياة .

الفرنسيون ذهبوا أولا ، ثم الانجليز — لقد بدأ كل منهم يكتشف هذه الارض المجهولة الواسعة ويضع لها الخرائط . وخلال فترة قصيرة أصبح خليج سنت لورنس في كندا مدخلا لامبراطورية فرنسية جديدة في أمريكا الشمالية .. بينما بريطانيا تقيم هي الاخرى امبراطورية ثانية لها في الشمال الغربي من كندا .

وكان لابد في النهاية أن يقع الصدام بين الامبراطوريتين . بين المهاجرين الفرنسيين والمهاجرين الانجليز أولا ، ثم بين الدولتين الحاميتين .

ان كندا — المولودة حديثا — هي موضوع هذا الصراع . لقد اختلف الأب — الانجليزي — مع الام الفرنسية خلافا أدى الى

الطلاق . عندما وقع الطلاق بين الام والاب بدأ الخلاف على النقطة الرئيسية : من منهما له حق الوصاية على الطفل ، على كندا ؟ .

وبعد صراع طويل ومنافسة حادة بين بريطانيا وفرنسا .. انتهى الخلاف على مائدة مفاوضات . لقد ظهر خطر جديد قادم من الجنوب ـ من الولايات المتحدة ـ التى كنت تخوض غمار الحرب الاهلية بين شمالها وجنوبها ، وبدا يلوح فى الافق احتمال قيام الولايات المتحدة بغزو أراضى كندا أو ضمها .. كعقاب لبريطانيا ضد مساعدتها للجنوب فى الحرب الاهلية . عند هذا الحد أصدرت بريطانيا تشريعا سمى « قانون أمريكا الشمالية » بعد هذا القانون بدأ الاتحاد التدريجى بين المقاطعات الكندية . اتحاد فيدرالى انتهى ألى قيام دولة كندا من المحيط الاطلنطى شرقا الى المحيط الباسيفيكى غربا .

ان هذا القانون صدر فى أول يوليو سنة ١٨٦٧ . انه قانون تذكره كندا اليوم باعتباره يحمل قرار ميلادها . ان هذه ـ على ما اعتقد ـ هى أول دولة تحتفظ بشهادة ميلادها فى ارشيفها .. مكتوبة بالساعة والتاريخ !

× × ×

ومع ذلك .. فان شهادة الميلاد لم تحل المشكلة تماما . فحتى اليوم ما زلت تلمس فى كندا ذلك الصراع المستتر بين الثقافتين الفرنسية والانجليزية . وفى وقت قريب انتشرت فى مقاطعة كويبك ـ أغلب سكانها من أصل فرنسى ـ دعوة للانفصال سياسيا عن كندا . وهذه الدعوة الحادة ـ هذا الخلاف الساخن ـ أدى الى وجود لغتين رسميتين الان فى كندا : الانجليزية والفرنسية . وأدى الى اعطاء فرصة متساوية للثقافة الفرنسية .. تواجه بها نفوذ الثقافة الانجلو سكسونية فى كندا . بل انه حدث منذ سنوات قليلة أن قامت حكومة كندا بتغيير اسم شركة طيرانها من « ترانس كندا ايرلاينز » الى « ايركندا » لارضاء الفرنسيين .

ان هذا التعدد اللغوى والثقافى ليس هو المشكلة الوحيدة فى التعريف بكندا . فى الواقع أن التعريف بكندا هو أمر صعب من نواح كثيرة . صعب لان كندا بلد واسع جدا ، متنوع جدا ، شعب مختلف فى أصوله جدا ، متعدد فى أسلوب حياته جدا .

ان حدود كندا مثلا تطل على المحيط الاطلنطى شرقا ثم المحيط الباسيفيكى غربا والمحيط القطبى شمالا .. عشرة ملايين كيلو متر

مربع . لهذا تجد ان الكنديين يسجلون اكبر رقم مكالمات تليفونية فى العالم . هناك تليفون لكل شخصين ونصف شخص من السكان!

ودرجات الحرارة فى كندا متنوعة . اقلها ٢٥ تحت الصفر فى اقصى الشمال ، واعلاها ٤٥ درجة مئوية ( اى اكثر من حرارة أسوان ) فى الجنوب . تستطيع اذن ان تجد الصعيد فى كندا .. أو تجد القطب الشمالى .

والسكان فى كندا مختلفون . انهم عشرون مليونا ـ هذا صحيح ولكن ٤٠٪ منهم هم من اصل بريطانى .. ومن ثم فلغتهم الاولى هى الانجليزية ثم ٣٠٪ من السكن هم من أصل فرنسى .. ومن ثم فلغتهم الاولى هى الفرنسية . باقى السكان من جنسيات اخرى متعددة . الجالية الالمانية مثلا هى ثالث مجموعة سكانية من حيث الحجم .

ولقد كان يقال فى الماضي ان الانجليز والفرنسيين هما « الجنسان المؤسسان » لكندا . عبارة مضللة لان كلا من الفرنسيين والانجليز ينتميان للجنس القوقازى . وهى مضللة ايضا لان كندا ـ قبل الاكتشاف الاوربى لها ـ كان يقطنها مجموعة من الهنود والاسكيمو .. كل منهم يعتبر جزءا من الارض مملوكا له .

ولأن الانجليز والفرنسيين والالمان هم أهم ثلاث مجموعات سكانية فى المجتمع الكندى .. فان كلا منهم نقل الى كندا صفاته الاصلية . التى كنت أواجهها هناك من وقت لاخر .

**فالفرنسي :** فردى ، عاطفى ، صافى الذهن ، متمرد ، تحصل منه على كل شىء عن طريق اعتزازه بكرامته .

**والانجليزى :** روتينى ، عنيد ، هادىء ، صبور ، لا يؤمن بالثورة ، يعبد التقاليد ، يتظاهر بأنه غبى ، وتحصل منه على كل شىء عن طريق شعوره بتأدية الواجب .

**والالمانى :** متشائم ، مطيع ، منطو ، حيوى ، كفء ، محب لوطنه ، يعبد القوة .. وتحصل منه على كل شىء عن طريق شعوره بالمسئولية الاجتماعية .

لهذا اصبح المجتمع الكندى المعاصر خليطا مشتركا من هذه الشخصيات الثلاث ، زائد الشخصية الامريكية .. التى سنتناولها بالتفصيل فيما بعد . وهنا يأتى الدور على عدة ملاحظات :

**فاولا :** مع ان مساحة كندا تغطى أكثر من نصف قارة امريكا الشمالية .. الا ان معظم سكان كندا بصفة عامة ( ٧٠ ٪ )

يعيشون داخل مائة ميل فقط فى جنوب كندا وشمال الولايات المتحدة . لان هذه المنطقة أكثر دفئا بالطبع واكثر قربا لامريكا .

**وثانيا :** ان مقاطعتى كويبك واونتاريو هما أكثر مقاطعتين فى كندا ازدحاما بالسكان ، حيث يتركز فيهما حوالى ٦٤ ٪ من مجموع سكان كندا كلها .

**وثالثا :** ان معظم السكان القادمين من أصل فرنسى يتركزون فى مقاطعة كويبك بكندا بينما معظم القادمين من أصل انجليزى يتركزون فى مقاطعة أونتاريو ، ومقاطعة كولومبيا البريطانية .

والواقع ان بريطانيا تعيش فى كندا فى أكثر من هاتين المقاطعتين ولكن مقاطعة كولومبيا البريطانية بالذات تستطيع ان تلمس مظاهر الحياة الانجليزية أمامك يوميا : شاى الساعة الخامسة فى الاباريق الفضية ، أطباق الكعك ، لعبة الجولف على مدار السنة .. الخ .. أن السياح الامريكيين الذين لا يستطيعون عبور القارة ثم عبور الاطلنطى لزيارة انجلترا يجيئون الى هنا كبديل عن زيارة لندن .

أما فرنسا فانها تعيش داخل كندا فى مقاطعة كويبك ،وبالذات فى مدينة مونتريال بمقاطعة كويبك . ان مونتريال هى أكبر مدينة فى كندا ، وهى رابع مدينة فى قارة أمريكا الشمالية كلها ، وهى اكبر مدينة فى العالم تتحدث الفرنسية بعد باريس . فى الواقع انهم يسمونها أحيانا « **باريس امريكا الشمالية** » . ربما . فالفتيات فى مونتريال أجمل واكثر أناقة منهن فى اى مكان آخر بكندا . والطعام فى مونتريال هو أيضا أحسن واكثر تنوعا ويقال ان عدد مطاعم مونتريال يصل الى اربعة آلاف مطعم ، بعضها له سمعة دولية . وحياة الليل فى مونتريال هى أيضا اكثر تنوعا منها فى كندا كلها .

وبالاضافة الى ذلك فان مونتريال فيها اكبر انتاج من اجهزة التليفزيون الفرنسية فى أى مكان فى العالم . وفيها أيضا يقام مهرجان دولى للافلام ينافس مهرجان نيويورك وسان فرانسيسكو وفيها ثلاث جامعات : جامعة ماكجيل ، وهى الاقدم وتتحدث الانجليزية .. ثم الجامعة الفرنسية الضخمة « جامعة مونتريال » .. ثم الجامعة الحديثة « جامعة السير جورج ويليامز » ذات المبانى العصرية التى تشبه دكاكين البقالة .

ان مونتريال هى المدينة الوحيدة فى كندا التى تستطيع ان تقف على قدم المساواة مع لندن ، نيويورك ، باريس ، طوكيو ،

او سان فرانسيسكو .. كمدينة دولية مثيرة تحيا فيها بمتعة . انها مدينةيقل عمرها عن ٣٥٠ عاما ، ومع ذلك فهى واحدة منأسرع المدن تغيرا وتطورا فى العالم . ان سكانها لايزيدون على ربعسكان مدينة نيويورك ، ومع ذلك فانها تصدر سنويا نفس عدد تراخيص البناء التى تصدرها مدينة نيويورك . ان مونتريال مدينة تتطور بسرعة ، تتغير بسرعة ، انها حقا لا تتغير — انهـا تنفجـــر ! ان المبانى تنطلق فيها الى ارتفاع أربعين طابقا . تنطلق من الثقوب فى الارض لتصبح ناطحات سحاب خلال أشهر قليلة .. ان رائحة غبار الاسمنت هى دائما فى انفك حينما تسير فى شوارع مونتريال ان منطقة المحلات التجارية فى وسط مونتـــريال تختفى تدريجا لتصبح تحت الارض ، فى حالة طلاق بينها وبين زحام السيارات وزحام الناس فوق الارض . وفى أحد هذه المراكز المبنية تحت الارض — بلا سفيل مارى — نجد المطاعم والمحـــلات والمسارح والمقاهى .. موجودة أمامك تحت الارض بعيـــدا عن السيارات والاتوبيسات المتزاحمة فى الشوارع فوق رأسك . ان أحـــدث بورصة فى العالم موجودة هنا — فى مونتريال واحـــدث الطرق السريعة موجودة هنا — تحيط بمونتريال من جميع الاتجاهات . وأسرع طريق الى نيويورك تستطيع أن تسير فيه من هنا ( ٤٠٠ ميل ) وأظرف السيدات تجدهن هنا ، مرتديات بلاطى الفراء يتجولن فى المحـــلات ثم يشـــترين الشـــاى مساء فى ريتز . من البلاطي التى ترتديها هؤلاء السيدات صنع أحـــد الرجال ثروة ضخمة ، ثم مات . اسمه جيمس ماكجيل .. تاجر الفراء الذى ترك أمواله لتأسيس جـــامعة سميت باســـمه وهى الآن من أحسن جامعات امريكا الشمالية .

ان مونتريال هى رمز الماضى كندا ، ففيها بدأ اول بنك وأول سكة حديد ، أول باخرة .. وهى ايضا رمز لمستقبل كندا .. حيث أحدث بورصـــة .. اكثر ســـكان .. أحسن تعليم .. انشط ادارة ..

ولكن .. مع هذا كله .. فان مونتريال ليست هى كل كندا . فى الواقع أن كندا تختلف كثيرا جدا عن مونتريال .. بل ان كندا الحالية تختلف جـــدا عن كندا التى سخر منهـــا المفكر الفرنسى فولتير يوما عندما قال انها .. مجرد أفدنة من الثلج .

ان الوحدة التقليدية للحياة فى كنـــدا هى القرية ، وليست المدينة .. صحيح أن هناك عدداً من المدن الكبيرة فى كندا ، ولكنها

تمثل استثناءات على قاعدة عامة . القاعدة هى انتشار القرى الصغيرة .. أو على الاصح .. المدن الوسط بين العاصمة والقرية بل ان مدينة أوتاوا ــ عاصمة كندا ــ هى مجرد قرية كبيرة .

فى مثل هذا المجتمع لا يمكن ان تكون غريبا .. فانت لا يمكن ان تشعر بالغربة داخل قرية صغيرة .. ان الصحف المحلية تنشر صورتك عندما تستخرج رخصة قيادة سيارة أو عندما تتزوج .. كخبر هام يستحق اهتمام الناس ..

ان هذه هى الطريقة الوحيدة التى تفاهم بها الكنديون مع مشكلة الحجم الضخم لبلدهم . ان الاحساس بأن شعب كندا هو شعب من التجمعات الصغيرة .. احساس يتأكد لديك كلما مررت خلال عدد من المدن الصغيرة عبر أطراف كندا .

لقد عشت عدة أيام فى احدى هذه المدن الصغيرة ــ مدينة شيربروج . عشت فى منزل صديقى المعروف هناك الدكتور مصطفى الهلالى .. وبعد أن عشت فى هذه المدينة الصغيرة بدأت أحس بمزايا جديدة .

ففى شيربروج ، مثلما فى اى مدينة صغيرة أخرى فى كندا ، تستطيع ان تجد الاسواق المحلية ، الجريدة المحلية ، الاذاعة المحلية ، ان هذه الاذاعات المحلية هى كلها نسخ كربونية متكررة من البرامج والاعلانات التجارية .. ومع خروجك بالسيارة من مدينة ودخولك الى مدينة أخرى .. يختفى صوت اذاعة المدينة السابقة تدريجا ، وتبدأ فى سماع صوت الاذاعة المحلية الجديدة للمدينة التالية .. انها تقول لك فى أعلانها اشتر سيارة كبيرة بالسعر العادى .. وسوف نعطيك معها سيارة صغيرة مجانا .. هكذا تحصل على سيارتين بسعر سيارة واحدة ، هكذا يقدمون لك الاعلانات المستمرة فى المجتمع الكندى .

**ان الحياة فى المدن الصغرة قد تكون امرا مريحا لاناس كثيرين ولكن بالنسبة لى شخصيا ، كان الملل يتسلل الى بسرعة بعد عدة أيام . وفى كل مرة يحدث هذا ، كنت أحس أن احسن شىء استطيع أن افعله هو ان انزل الى الشارع الرئيسى واسير متفرجا على الناس ..**

**وفى احدى هذه المرات اقترب منى رجل عجوز سالنى : هل انت متعلم ؟ ولم اعرف بماذا أرد ، فالسؤال يبدو غريبا .**

**ــ هل انت متعلم ؟ .. هكذا كرر الرجل سؤاله مرة اخرى .**

**ولاول وهلة تصورتها طريقة جديدة فى الشحاذة ! ولكن الرجل عندما يئس من الحصول على اجابتى سالنى : كم تساوى اربعين عندما نجمعها أربع مرات ؟؟**

**وعندما قلت للرجل (( مائة وستين )) .. بدا عليه السرور والانشراح .. لقد تركنى وهو يكرر لنفسه مندهشا مائة وستين .. مائة وستين .. مائه وستين .. ما و .. !**

وربما كانت هذه هى المرة الوحيدة التى سمعت فيهـــا هذا السؤال فى كندا .. فالتعليم فى كندا ـ التعليم المستمر ـ هو شىء حيوى جدا .. ان صـــوت الراديو يعلن لك بانتظـــام .. « لاتتخلف » .. هذا شعار يتردد كثيرا .. ان الراديو يقول لك « ان التعليم معناه النقود » .. تخرج من المدرسة العليا وسوف تكسب اكثر .. ان الحكومة تقول لك ســوف تدفع لك ستة دولارات شهريا اعانة عن كل طفل لك تحت سن العاشرة . ثمانية دولارات عن كل طفل تحت سن السادسة عشرة . بعدها سنوقف الاعانات .. ولكن .. اذا استمر ابنك فىالتعليم بعد سن السادسة عشرة ، فسوف ترفع اعفاءاتك الضريبية بمقدار ٥٥٠ دولارا فى السنة ! .

ان التعليم الابتدائى والثانوى مجانا فى كندا ، ومع ذلك فانهم يقدمون هذه الامتيازات لاغراء الناس على مواصلة التعليم انك تلمس هذه النظرة العلمية للتعليم جنبا الى جنب مع بقايا النظرة العاطفية للامور . وهناك .. بقايا كثيرة من هذه العواطف فى كندا

اننى ما زلت أذكر شخصا معينا كنت أقابله فى الفندق الذى نزلت به فى مدينة أوتاوا .. انه جرسون يعمل فى مطعم الفندق وفى كل مرة أتناول فيهـــا طعاما كان هذا الرجل يأتى الى ، بابتسامة واسعة على شفتيه قائلا تحت أمرك يا ســيدى . هذه كلمـــات عادية . ولكنغير العـــادى هو ما يقوله بعد ذلك : **(( هل أنت غريب يا سيدى . أهلا بك هنا .. هذه هى أرض المستقبل .. أنت الان فى كندا . أرض الاحلام . كلهم امامك هنـــا يحلمون بشىء ما . ولكن قل لى او سمحت .. هل يعجبك طعامنا هنا ؟ هل يعجبك حقا ؟ ثم .. هل تعجبك كندا ؟ أرجو أن تعجبك يا سيدى ! انها لم تعجبنى انا عندما هاجرت الى هنا فى البداية ، ولكننى بعد ذلك أحببتها ، عشقتها .. ))**

ان جورج ـ هو اسم الجرسون على ما أتذكر ـ كان يسألنى كل يوم نفس السؤال بحماس شديد : ما رأيك فى كندا ؟

**انه يقول السؤال .. ثم يدقق النظر في وجهي مراقبا اقل تعبير ، اقل تغيير ، اقل اشارة ، اقل علامة .. كرد فعل .. لسؤاله ، كما كان يقول لي سؤاله لاول مرة .. او كما لو كانت الاجابة التي سارد بها أقوالا ماثورة !**

**ولكن الكنديين هم عدد كبير من جورج هذا . انهم شغوفون بمعرفة رأى الاخرين فيهم، انهم يسالونك على الطريقة الانجليزية ويسمعونك على الطريقة الالمانية ، ويردون عليك على الطريقة الفرنسية .**

وربما كان هذا الاهتمام منهم بمعرفة راى الدنيا فيهم .. هو بقايا لانعزالهم عن العالم .. انهم لم يعودوا منعزلين ، ولكنهم كانوا كذلك في وقت ما .. ان هذا الانعزال اثر على أشياء كثيرة في حياتهم . وحتى في تفكيرهم ، ان الشخص الكندى العادى يستطيع أن يجعل عقله مجموعة غرف مستقلة تماما عن بعضها البعض في كل غرفة موضوع أو مشكلة .. وفي الغرفة المجاورة موضوع مختلف تماما أو مشكلة أخرى جدا ..

انك تلمس هذه الظاهرة أكثر فأكثر على المستوى الشخصي .. لقد حدث لي مرة ان ركبت القطار من مونتريال الى أوتاوا . وفي القطار جاء مقعدى بجوار سيدة شابة .. سيدة متزوجة .. عمرها لا يزيد على الثلاثين .. عندما جلست أنا كانت هي تقرأ كتابا وجهها جاد جدا ، عيناها على الكتاب تماما . عقلها مع كل سطر تقراه ، اصابعها على كل صفحة تقلبها .

بعد خمس دقائق رفعت السيدة عينيها من على الكتاب . وبدأت تسألني . الان وجهها مشرق جدا ، عيناها لامعتان جدا، ابتسامتها واسعة جدا . خمس دقائق .. ثم الى الكتاب مرة أخرى ، بعد عشر دقائق .. اغلقت السيدة الكتاب .. في هده المرة اغلقته نهائيا .. وبدأت تتحدث معى .. حديثا بدأ جادا جدا .. وانتهى غير جاد جدا !

**وفي كل مرة كنت أتحدث مع الشخص الكندى العادى كان يتاكد عندى نفس الاحساس .. الاحساس بانه سوف يقول .. الان دعنا نضحك « فنضحك » .. الآن دعنا « نتناقش » اذن — لا نضحك .. !**

ربما كان الانعزال الجغرافي الذى عاشت فيه كندا قبل فترة سببا في ذلك .. ربما لم يكن . ولكن احساسى الشخصي ان له

علاقة . لقد ذهب الى كندا فى البداية كل شخص مرفوض من مجتمعه ومن ظروفه . لقد عاش هناك يصنع ظروفا جديدة .. عاش على أرض عذراء . وفى طقس يرفض الانسان ، طقس يرغمك نصف السنة على أن تعيش فى عزلة وتفكر فى عزلة .

لقد ذهبت الى كندا أول مرة فى شهر نوفمبر . ثانى مرة فى شهر يونيو .. فرق شاسع بين المرتين وبين الشهرين . فى المرة الاولى بداية الشتاء ، فى المرة الثانية بداية الصيف .. بداية الخروج الى الشوارع والاختلاط بالناس والحياة خارج المنزل . هذا يحدث فى الصيف فقط . أما فى الشتاء فأنت وحدك داخـــل غرفتك . داخل منزلك .. بعيدا عن البرد القارس فى الشارع .

أذكر وأنا فى أوتاوا اننى كنت احب كثيرا أن انظر من نافذة غرفتى الى الشارع قبل لحظات من سقوط الظلام . ان السماء تمطر ثلجا . والثلج على الارض ينعكس عليـــــه لون أقرب الى الزرقة ، اقل قليلا من زرقة السماء . اننى أرى فى الشارع أناسا قليلين يسيرون ببطء . سيارات كثيرة تعدو بسرعة .. ومن مكانى فى حجرتى كنت أشاهد المبانى المواجهة . نوافذ زجاجية مغلقة على ستائر خفيفة .. ستائر يبدو من داخلها قليل من الضوء فى لون برتقالى شاحب . لم يكن هناك صوت مجرد ثلج يتساقط . مجرد سيارة تعبر الشارع بين لحظـــة واخرى .. وللحظـــات قليلة فى كل مرة أتصـــــور نفسى فى موسكو وليس فى أوتاوا . هكذا يصفون جو موسكو فى الشتاء ..

ولقد كنت أتصور أننى عرفت شـــــتاء كندا هذا : ثلج يلمع . هواء نقى ، نسمات جافة ولكننى لم أدرك كم كان هواء الشتاء هنا جافا .. الى أن تركت قطعة خـــبز مرة فى الغـــرفة ليلا . وفى الصباح رأيت قطعة الخبز ما زالت جافة .. ولكنهـــــا أصبحت أكثر جفافا . أكثر جفافا من قطعة حديد !

وعندما كنت أشعر بالجفاف فى فمى كنت اشرب كوبا من المياه، او انزل لاشرب كوبا من البيرة . ان الفندق الذى انزل فيه به مرقص وبار فى الدور الارضى .. انه كل ليلـــة مزدحم بالنـــــاس والموسيقى والرقص .. ولكننى كرهت الاعتذار من عدم الرقص كل ليلة ، ثم كرهت قدح البيرة ثم المنظر كله الذى يتكرر كل مساء .. فى هذه اللحظة يحس الانسان بالملل . وعندما لايكون لدى فى الحجرة ما أقراه ، وعندما لا يمر على صديق . فاننى كنت أشعر بوحدة قاتلة ..

ان هذا الشعور بالوحدة ـ هذا الاحساس بالعزلة ـ هو أول احساس يكتشفه المصرى فى نفسه عندما يذهب الى كندا مهاجرا ، أو حتى زائرا . أنه احساس يلازمه فى أيامه الاولى بالذات ، أيام البحث عن وظيفة ، عن فرصة عمل .

ولكن المصرى المهاجر لن يكون وحده الذى يشعر بهذا الاحساس . هناك مليونان ونصف مليون شخص آخر هاجروا الى كندا فى السنوات العشرين الاخيرة . وبدأوا حياتهم بهذا الاحساس . ان هذا العدد الضخم من المهاجرين ـ فى مثل تلك المدة القصيرة ـ جاءوا من مثل هذا العدد الكبير من الدول ( ٦٠ دولة ) .. ربما لم يحدث فى تاريخ اى دولة أخرى .. الا كندا

ان المغناطيس الذى جذب هؤلاء كان أولا : قطعة أرض . ثم بعد ذلك أصبح اسلوب حياة ، اسلوب تنظيم ، نظام عمل . ان الوصفة السحرية التى جذبت تلك الجنسيات المتنوعة الى كندا هى وصفة بسيطة بقدر ما هى معقدة : اعمل .. تكافأ ! اعمل أكثر . تكافأ أكثر . تعلم .. تكسب . فكر . تتقدم .

لقد اكتشف المجتمع الكندى أن هذه الوصفة السحرية هى الحل الوحيد المتاح أمامه لكى يتقدم ـ فلانه مجتمع متنوع جغرافيا .. مختلف سكانيا .. متغير طقسا .. فان المعيار الوحيد المفتوح أمامه للتفرقة بين سكانه هو مقدار عماهم .

**ان معنى ذلك بسيط** : ان كل خبرة جديدة يكسبها المهاجر أو المواطن فى كندا .. سيترتب عليها أوتوماتيكيا زيادة فى دخله .. كل برنامج تعليمى يدخله .. يترتب عليه ترقية .. كل برنامج تدريبى ينجح فيه معناه فرصة أكبر ووظيفة أفضل .

**ولكن هذا معناه فى نفس الوقت** : انك اذا لم تعمل ، اذا لم تتعلم ، اذا لم تتقدم ، اذا لم تنجح ، فلن يرحمك أحد . لاوساطة لا أقدمية . لا أعذار . ان العمل مطلوب أولا ، ثم بعد ذلك المكافأة . التضحية أولا .. ثم تأتى النتيجة هل تريد مثالا على ذلك ؟ حسنا ..

ان أى مهاجر .. اى مواطن هنا ـ فى كندا ـ يستطيع امتلاك اى مساحة يريدها من الارض مقابل دولار واحد . نعم بدولار واحد تستطيع أن تمتلك خمسين فدانا ، مائة فدان ، مائتى فدان .. أنت ورغبتك .. هذه هى النتيجة . ولكن قبل الوصول الى هذه النتيجة هناك شروط .. فطبقا لقوانين تعمير الاراضى هنا فى كندا .. يستطيع أى شخص امتلاك أى مساحة

من الاراضى البعيـدة عن المـدن ـ حسب المناطق التى يحددها القانون ـ بشرط أن يعمرها بشكل ما خلال ثلاث سنوات . ان التعمير يبدأ من مجرد بنـاء كوخ بسيط ، وينتهى الى زراعة هذه الارض الجديدة . هذا هو السبب فى أنهم لن يحصلوا منك على ثمن لهذه الارض سـوى دولار واحد . انهم يريدون تعمير المناطق البور . انها ليست مناطق نائية ، فبعضها لا يبعد عن مدينة مونتريال مثلا سوى ثلاثين كيلومترا . ولكن تعمير الاراضى الجديدة . امتلاك الاراضى الجديدة بدولار واحد .. هو نتيجة التضحية التى قمت بها انت مقدما . تضحية الحياة بعيدا عن القرن العشرين . بعيدا عن الحضارة ، بعيدا عن الاضواء والدفء والناس فى مونتريال .. بثلاثين كيلو مترا !

بهذه الطريقة اصبح لديهم فى كندا الان ١٧٤ مليون فدان من الاراضى المزروعة . أكرر : مائة واربعة وسبعون مليونا من الافدنة .. ( لاحظ أن كل المساحة المزروعة فى مصر هى ستة ملايين فدان ) .. ومع ذلك فان هناك ٤٠ مليون فدان أخرى من الاراضى الجاهزة للزراعة . ونظرا لضخامة الرقم ، فاننى سأقوم من الان فصـاعدا بكتابة الارقام بالحروف .. حتى لا يتصورها القارىء أخطاء مطبعية !!

**أولا** : انه ـ بعد استبعاد المائة والاربعة والسبعين مليون فدان المزروعة فعلا والتى تمثل ٨ ٪ فقط من مساحة كندا الاجمالية، هناك أربعون مليون فدان فى كندا صالحة للزراعة فورا .. وعلى ذلك لا يزرعها أحد . وهناك بعد هذا كله ستون مليون فدان اخرى قابلة للاستصلاح الزراعى . وعلى ذلك ، لا أحد يزرع .. ولا أحد يستصلح .. السبب : نقص السكان . كيف يستطيع مجرد عشرين مليونا من السكان تعمير عشرة ملايين كيلو متر مربع ؟ مستحيل بعشرين مليونا !!

ان القرن العشرين يعطيهم فى كندا حلا جزئيا لهـذا المشكلة . لقد اصبحت الزراعة فى كندا هى زراعة ميكانيكية وليست يدوية معنى ذلك أن الزراعة فى كندا هى مجرد صناعة أخرى . ونتيجة لذلك ، فانه منذ مائة سنة كان الحجم المتوسط للزراعة الواحدة فى كندا ٩٨ فدانا . الآن اصبح حجم المزرعة فى المتوسط ٣٥٩ فدانا . أن الميكنة والاستعانة بالآلات هما السبب فى ذلك . ان تحول الزراعة الى صناعة هو سبب . فالزراعة فى كندا لا تعنى مجرد زراعة ، ولكنها تمتد لتشمل صناعات ضخمة قامت عليها.

صناعات مثل منتجات الالبان والدواجن والفواكه والخضراوات، انها زراعة — وصناعة تعتمد على الزراعة — لا تستخدم مجرد زراعة .. انها تستخدم أساسا متخصصين .. ابتداء من المهندسين الزراعيين الى العمال الفنيين .

لهذا السبب أصبحت كندا هى مخبز العالم : أكبر انتاج من الحبوب ، اكبر صادرات من المواشى .. اكبر صناعات غذائية .

ومع ذلك .. فان الزراعة ليست هى أهم مجال اقتصادى فى كندا . فى الواقع أن الزراعة لا يعمل بها فى كندا سوى ٩ ٪ من القوى العاملة . انها — حتى — ليست أحسن مجال متاح للعمل داخل الاقتصاد الكندى .

ان الاقتصاد الكندى متنوع بقدر ما هو ضخم . انه يبدأ من تربية الماشية وصناعة الالبان وقطع الاخشاب الى استخراج الذهب والنحاس والفحم والبترول واليورانيوم ، الى صيد الاسماك وتوليد الكهرباء الىبناء السفن وصناعة السيارات والصلب

ان مثل هذا الاقتصاد ، مثل هذا التنوع الصناعى . يحتاج الى درجات متنوعة من الكفاءات . يحتاج مثلا الى محاسبين ، معماريين كيمائيين ، أطباء ، أطباء أسنان ، رسامين، أمناء مكتبات ممرضات ، مهندسين ، صيادلة : مدرسين ، جيولوجيين ، علماء فى الرياضة ، الذرة .. الخ ..

ومن ناحية أخرى .. فانالتنوع يستدعى أيضا درجات عالية من الخبرة والتخصص . ولكن هذه ليست مشكلة فى كندا . فهناك برامج تدريبية وعلمية متنوعة تعطيك الخبرة المطلوبة فى كل شيء .. ابتداء من آخر تطورات صناعة الصلب .. الى آخر تطورات صناعة الازياء ! .

ان البحث عن عمل فى كندا اذن ليس هو المشكلة . فاذا كانت القضية هى البحث عن عمل — اى عمل — فان كندا بها الاف الاعمال الشاغرة التى تستوعب مائة مليون مهاجر جديد على الاقل ؛ وبالاضافة الى العشرين مليونا الموجودين حاليا .

هناك أعمال فى كل مدينة ، كل قرية ، كل شارع ، كل ركن . لقد تعرفت عند مهاجر مصرى وزوجته بفتاة كندية اسمها كريستين . عمرها ١٦ سنة . طالبة فى المرحلة الثانوية . ان مرتبها مائتا دولار فى الشهر . كل ما تفعله هو الوقوف ٤ ساعات

كل يوم فى موقف سيارات بمدينة مونتريال . تأخذ منك سيارتك لكى تدبر لها مكانا وسط السيارات الواقفة ، هذا هو كل شيء. مع ملاحظة أن المائتى دولار لا يدخل فيها البقشيش الذى يدفعه لها أصحاب السيارات .

وإذا كانت القضية هى البحث عن — اى عمل — فانك تستطيع شراء او استئجار قطعة أرض فى أى مدينة لكى يستعملها الناس كموقف للسيارات . لامبانى ولا استثمارات . مجرد قطعة تنتظر فيها السيارات وتدفع رسوما بالساعة فى مقابل انتظارها . اذا نجحت فى ايجاد مثل هذه الارض . فالنتيجة هى دخل شهرى لا يقل عن خمسة الاف دولار .

واذا كانت القضية هى البحث عن وظيفة — اى وظيفة — فانك تستطيع أن تعمل سكرتيرا — أو سكرتيرة اذا كنت فتاة . كل الشروط المطلوبة هى أن تكون دراستك حتى الثانوية وأن تجيد الانجليزية والفرنسية وتعمل من الساعة التاسعة صباحا حتى الخامسة مساء ، مع اجازة يومين فى الاسبوع . الاجر فى هذه الحالة أربعمائة دولار شهريا . هكذا فعلت فتاة مصرية اسمها منى تعمل حاليا فى أوتاوا ؛ بالاضافة الى زوجها المهندس .

**المهم .. ان البداية ليست مشكلة . وهى عادة ما تكون بداية متواضعة جدا ، الى أن يستطيع المهاجر أن يندمج فى المجتمع الكندى . القضية اذن ليست العمل .. ولكن القضية هى : أى نوع من العمل ؟ ان الهجرة فن .. أو مشكلة . ان استعداد المهاجر مقدما للاندماج فى المجتمع الجديد .. ان دراسته السابقة لحضارة هذا المجتمع وعاداته وتقاليده .. أن تمكنه من اللغات السائدة فى هذا المجتمع .. ان استعداده للعمل الشاق المضنى المتواصل وعدم الاستقرار لمدة سنة على الاقل .. كل ذلك يجعل الهجرة بالنسبة له فى النهاية خطوة الى الامام .**

**ولكن المهاجر الجديد لن يستطيع التقدم الى الامام الا اذا عرف اولا : كيف يبحث عن عمل .**

لقد قابلت عددا من الذين فشلوا بعد هجرتهم فى الحصول على عمل . عدد قليل ولكنهم فشلوا على أى حال . وفى كل مرة كنت أجد أسبابا خاصة بكل حالة — طبعا — ولكن هناك دائما امرا مشتركا

**ان البحث عن عمل هو فى حد ذاته .. فن ! انه فن يختلف من مجتمع الى مجتمع ، ولكن جوهره فى النهاية يبقى واحدا . ان**

**البحث عن عمل معنـاه انك تبحث عن مشتر لكفاءتك ، لخبرتك لمؤهلاتك . ومادام انه عملية بيع وشراء .. فلابد أن يتوقف سعر البيع فى النهاية على مدى دراسة البائع مقـدما لحالة المشترين وظروفهم واحتياجاتهم .. بالاضافة الى فهمه للظروف العامة ، والافكار العامة فى هذا المجتمع كله .**

**ـ لقد رأيت فى كندا وأمريكا مكاتب متخصصة فى التدريب على شىء واحد : كيف تبحث عن عمل . انها مكاتب متخصصة والاقبال عليها ضخم .. انها لاتبحث عن عمل .. ولكنها تعلمك كيف تبحث أنت لنفسك عن عمل . انها مكاتب منتشرة ـ ليس فقط لان هنـاك سيلا مستمرا من الذين يريدون العمل لاول مرة ، ولكن لان معظم الناس .. حتى الذين يعملون فعلا .. يواجهون فى وقت ما من حياتهم مشكلة البحث عن عمل أفضل ، أو تغيير لعملهم الحالى .**

**ولقد دفعنى حب الاستطلاع مرة الى دراسـة المحاضرات التى يعطونها فى أحد هذه المكاتب بمدينة مونتريال فى كندا . ان جوهر المحاضرات يعتمد على نقاط قليلة .**

انهم أولا يقنعونك بأن فرصة العمل هى دائما موجودة فى السوق . فما دام لا يوجد كساد ، فان هناك وظائف جديدة ، وظائف تخلو ، ووظائف تتغير .

انهم يقنعونك ثانيا بأن البحث عن عمل ليس بحثا ، ولكنه عمـل فى حد ذاته . انك لا تستطيع أن تعتبر أيام بحثك عن عمل أيام اجازة .. او حتى نصف أجازة . انك عندما تعمل فى وظيفـة .. فانك تعمل فيها ٤٠ ساعة أسبوعيا .. وعندما تبحث عن وظيفة فيجب الا تعمل ٤٠ ساعة فقط ، ولكن خمسين ، ستين ، سبعين .

انهم يقنعونك بعد ذلك بأن عليك أن تحلل خبرتك وقدرتك . لا بد أن تعرف بالضبط ما الذى تستطيعه ، وما الذى لا تستطيعه.

ويقنعونك أيضا بأن عليـك دائما أن ترفع مسـتواك وخبرتك وتدريبك . ويشرحون لك فائدة ذلك هكذا : أن الشاب العادى الذى وصل عمره الى ٢٥ سنة أمامه فى المتوسـط ثمانون ألف سـاعة عمل باقية فى عمره المتوقع . والرجل العادى الذى يبلغ عمره ٤٥ سنة ، مازال أمامه أربعون الف ساعة عمـل . انك اذا استطعت ـ بالتعليم والتدريب ـ أن ترفع أجـرك عن الساعة الواحـدة

بمقدار دولار واحد فمعنى ذلك انك سترفع دخلك بمقدار ثمانية آلاف دولار ! .

وهم ينبهونك بعد ذلك الى أن من المهم جدا أن تكتب ملخصا لمؤهلاتك وخبرتك . ملخصا تكتبه فى ورقة أو ورقتين على الآلة الكاتبة . ملخصا تكتبه على اساس انه قائمة بأعمالك ومهارتك . وتعده بشكل تعرض فيه نفسك وخبرتك .. الخبرة الاحدث تكتبها اولا ، والاقدم تكتبها اخيرا . مع ملاحظة أنه من الضرورى أن تذكر أشياء محددة .. ومختصرة .

وهم يطلبون منك بعد ذلك أن تدرس سوق العمل واقتصادياته .. فانت حينما تملك خبرة ، تريد بيع هذه الخبرة المحددة لطرف آخر وتكسب منها . ولو تصورت انك المشترى فلابد ان تتذكر أنك عندما تشترى سلعة من محل ما .. فانك تشتريها لانك تحتاج اليها .. وليس لانك تريد مجاملة البائع . وهكذا ، فان أى شركة لن تعطيك عملا ، الا اذا كانت تحتاج خبرتك .

وفى النهاية يقولون لك نقطة هامة : لا تكتف بالذهاب الى مكاتب الاستخدام أو وكالات التوظيف . ان كل بناء جديد تراه فى الطريق ، كل صديق تعرفه ، هو مصدر لك للسؤال عن الاعمال الجديدة أو الاعمال الشاغرة .

x x x

هذا هو جوهر ما يدرسونه فى تلك المكاتب التى دخلت بعضها فى أمريكا وكندا . ان ما يقولون لا يزيد عن مجموعة من البديهيات .. ولكنها بديهيات ينساها كثير من الناس الذين يهاجرون الى الخارج . ناس قابلت بعضهم هنا — فى كندا .

ومع ذلك .. فاننى أفترض أن دراسة حالات الذين نجحوا فى العمل ، الذين نجحوا فعلا ، هى التى يمكن أن تعطينا خبرة بالمشاكل التى أحصرها ، والنتائج التى وصلوا اليها انها أيضا تعطينا فكرة محددة عن مدى استعداد الشخصية المصرية للتكيف مع ظروف وافكار مجتمع أجنبى .

عند هذا الحد .. يصح أن ننتقل من فحص المجتمع الكندى .. الى فحص حالات المصريين الذين نجحوا فعلا داخل المجتمع الكندى .

الفصل الرابع :

# امرأة .. بعد منتصف الليل !



منتصف الليل هو قطعا وقت غير مناسب لزيارة امرأة محترمة تعيش وحدها فى منزلها . انه وقت غير مناسب ابدا . ماذا يقول الناس .. ماذا يقول الجيران ؟ أى قدر من الضرر يصيبها فى سمعتها عندما يهمس جيرانها لبعضهم البعض. لقد فتحت نادية باب شقتها امس لشاب .. بعد منتصف الليل ؟ !

وليت الناس يقولون عن نادية هذه الكلمات فقط .

فلكى اجعل انا الامور اسوا بالنسبة لها ، طلبتها فى التليفون قبل منتصف الليل بساعة واحدة وقلت لها : اننى لا اعرف الطريق الى منزلك . لهذا سوف أصحب معى اثنين من أصدقائى .

الان أصبحنا ثلاثة . تصور ؟ ثلاثة رجال يزورون امرأة شابة

**فى منزلها بعد منتصف الليــل ؟ ومع امرأة مثــل نادية .. امرأة بمثل هذا الشباب ، مثل هذا الجمال ، مثــل هذا الصوت الرقيق فى التليفون .. فلابد أن يتوقع الانسان اعتراضـــات كثـيرة من الناس عليها . اعتراضات من الناس .. وهمسات من الجيران.. واشاعات من الاصدقاء .**

**أن أفكارا كهذه كانت تدور فى رأسى وأنا متوجه مع صديقى فى السيارة الى منــــزل نادية ، ان نادية هى امرأة مصرية تعيش وحدها مع طفليها الصغيرين فى شقة تستاجرها بضواحى مدينــة مونتريال . امرأة فى سن التاسعة والعشرين أو امرأة مصرية تهاجر وحدها الى كندا .**

**ولم يكن هناك مفر من أن أذهب الى نادية فى منزلها فى منتصف الليل . فلقد كنت على موعد لمغادرة مونتريال فى الصباح المبكر من اليوم التالى .**

ولم يكن هناك مفر ايضا من أن أذهب اليها مع صــديقى .. فالطريق من مونتريال الى الضاحية ألتى تسكن فيها نادية يستغرق ثلاثة أرباع الساعة بالسيارة .. « تطلع على طول .. تدخل شمال .. ترجع لليمين .. بعد الميدان الى الطريق السريع .. من المدخل السادس تتجه يمينا .. ثم يسارا .. ثم » .. لست أعرف شيئا فى هذا كله .. خذ يا أحمد التليفون لو سمحت ، واعرف هــــذا العنوان .. لا مؤاخذة يا نادية .. ان أحمد صديقى .. وسوف أحضر فى سيارته مع صديق ثالث .. »

ولم تستطع نادية أن تقول شيئا . لم تقل نعم ، ولم تقل لا . أمر واقع . لقد قالت العنوان لاحمد فى التليفون بكلمات مترددة وصوت أقرب الى الندم منه الى الثقة .

ان المرأة التى تعيش وحدها لا توافق على زيارة رجال غرباء لها فى شقتها فى مطلع النهار ، فما بالك بمنتصف الليـــل ؟!

ولكن كنت أعلم اننى تركت هذه الاخلاقيات المريضة خلفى فى مصر . لقد تركتها أنا كزائر . ولكن نادية تركتها كمهاجرة .. وهذه بالضبط هى النقطة التى بدأت عندها حياة نادية تلفت نظرى .

ان نادية ــ هكذا يحلو الحديث مع فنجان شاى داخل شقتهــا الانيقة فى الطابق الثانى من العمارة ــ تتمتع بطول ملحوظ فى قوامها وتقاطيع متناسقة فى وجهها وشعر طويل على رأسها ومســئولية ثقيلة على أكتافها .

انها من مواليــد الاسكندرية . واحــدة من هؤلاء الفتيــات الجميلات التى كانت المجلات فى مصر تنشر صورها على الغلاف فى اعــداد الصيف . أنهـــا بحكم رغبتها ـ التحقت بكليـــة آداب الاسكندرية . وهى ـ بحكم جمالها ـ تزوجت مبكرا وهى ما تزال فى السنة الثانية . تزوجت فى سنة ١٩٦١ من عضو مجلس ادارة فى شركة السيوف للاراضى بالاسكندرية وقبل أن تحمـــل نادية الليسانس فى يدها سنة ١٩٦٥ كانت قد شعرت بالحمل فى داخلها مرتين ـ فأنجبت طفلين : سامى ، وزيزى . هل تستطيع الفتاة أن تكون أما فى تلك السن المبكرة ؟ هـــذه الايام ؟ لست أدرى .. ولكن هذا ما حدث فى حالة نادية . فى الواقع أن ما حدث لها بعد ذلك كان أسوأ .. فبعد سنة واحدة من تخرجها توفى زوجها .. توفى سنة ١٩٦٥

انها الآن أرملة. انها أرملة فى سن الخامسة والعشرين، هذا عمرها يوم مات زوجها . من هنا بالضبط سوف تنقلب حياتها رأسا على عقب . لقد كانت سعيدة مع زوجها ، سعيدة مع أسرتها ، سعيدة مع مجتمعها . ولكن .. مادام زوجها توفى .. وما دام الرجل اختفى من حياتها ، فيجب أن يعود المجتمع ألى محاسبتها كامرأة .

**ولكنها الان ليست مجرد امراة . انها أرملة . واحدة من هؤلاء السيدات اللائى يتوقع منهن المجتمع أسلوبا خاصا فى الحيـــاة ، وطريقة خاصة فى الحديث .. وقيودا خاصة فى التعامل مع الناس**

**من الآن فصـــاعدا أصبحت نادية أرملة . واحـــدة من هؤلاء اللائى يراقبهن المجتمع ٢٤ ساعة فى اليـــوم .. ويفرض عليهن حصاره ويلزمهن بوصاياه .. ويطلب منهن طاعته .. ويسحب منهن حق الحياة ٢٤ ساعة فى اليوم .**

**من الآن ، من هــذه الدقيقة .. منذ أصبحت نادية أرملة .. فان المجتمع سوف يحاسبها فى كل يوم مرتين : مرة كامرأة ومرة كأرملة . ان الحياة بالنسبة لها يجب أن تقتصر على أربعة جدران. يجب أن تقتصر على مجرد الطعام . انها تأكل جيدا ، تلبس جيدا ، وهذا يكفى .. انه يكفى من وجهة نظر المجتمع فى مصر .. لكى تكون المرأة مستريحة البال فى سن الخامســة والعشرين . انهـا نصف حياة ، ربع حياة ، انها ليست حياة على الاطلاق .. ولكن هــذا لا يهم .. ليس من حق المرأة فى أى شىء أكثر من العلف الذى يعطيه لهــا المجتمع .. فالمرأة هنــا ـ فى مصر ـ يجب أن**

**تعلم أن مهمتها ·· كل مهمتهـا في الحيـاة ـ هي أن تطبخ ·· تغســل ·· تـكنس ·· تنظف ·· تلبس ·· ترعى الاولاد ·· وتخشى الله ·· واشـاعات النـاس · اذا خرجت الى الشــارع فالحراس بجانبهـا ، والرقباء خلفهـا ، وكلام الناس فى ذيلها · اذا تحـدثت مع شـخص غريب ·· فالخطيئة هدفهـا ، والجحيم مصيرها والنار جزاؤها والحبس عقابها ·· ان هذه الوصاية من المجتمع هى شيء تفرضه التقاليد ، شيء يفرضه الناس ، يفرضه القانون ·**

ان نادية أرملة ·· وأم لطفلين ·· ولكن الوصـاية على طفليها لابد أن تكون بحكم القـانون ·· من حق أهل زوجها أن الاولاد هم أولادها هى ، انها أمهم ، ولكن من قال ان الأم تستطيع أن ترعى أولادها ؟ من قال ان الأم تستطيع أن تهتم بأولادها ؟ ان القــانون فى مصر لا يقول ذلك ·· يقول فقط ان أهل الزوج يستطيعون رعاية الاولاد أفضل من أمهم ·· ويقول أيضا ان الأم اذا أرادت أن تسافر الى الخارج ـ مجرد زيارة ـ فلابد أن يوافق أهل الزوج ·· كتابيا وأمام شهود ·· على سفر الاولاد معها ·· القانون ·· قانون · انالقانون يعرف عن الاولاد أكثر مما تعرف أمهم ·· ان الأم مثقفة تخرجت من الجامعـة ·· ولكن القـانون ليست فيه الجامعة · انهـا تريد أن تسـافر فى الصيف مرة الى لبنان .. ولكن **القانون** ليس فى لبنـان .. **القانون** فيه فقط : الاسكندرية !!

ان شيئا من هذا القبيل كان يدور فىرأس نادية وهىتستقل الطائرة ·· مع أولادها ـ متجهة الى زيارة قصـيرة فى لبنـان · زيارة سياحية · ان الاولاد معها فى الطائرة · سامى وزيزى · ولكن هذا لم يحدث الا بعد مفاوضات ومناقشـات ومداولات مع أهل الزوج · مداولات انتهت الى تنازل خطير من أهل الزوج : لقـد قرروا أن يوافقوا على سفر الاولاد مع أمهم بشرط أن تكون المدة هى ١٥ يوما فقط · مبروك !

ولكن نادية فكرت كثيرا بعد الـ ١٥ يوما · فكرت قبـل أن تعود مع أولادها الى الاسكندرية · هل تعود من جديد لكىتصبح أما ·· مع وقف التنفيذ ! هل تعود من جديد الى كلام النـاس وهمســات الناس واشـاعات النـاس ؟ ممكن ·· غير ممكن ·· غيرممكن ·· نعم ·· غير ممكن ·· **القرار** : لا عودة ·· **القرار** : العمل فى الخارج · **القرار** : الهجرة · **القرار** : الهجرة الى كندا !

هكذا بدأت نادية تعد أوراقها للهجرة الى كندا · انها تخرجت من قسم اللغة الانجليزية بآداب الاسكندرية · ولابد أنها سوف تجد ـ بشكلما ـ عملا تعول به طفليها فيكندا · لقد استطاعت أن تعمل فى لبنـان ـ معلمة فى مدرسة داخلية ببيروت حتى تستكمل أوراق هجرتها الى كندا · ألن تستطيع ذلك فيكندا ؟
شيء واحد يحسم الموضوع كله : طائرة الى كندا ·

هـكذا ذهبت نادية الى كندا · الى مونتريال فى كندا · كان اليـوم هو ١٥ مايو سـنة ١٩٦٧ ، يوم ثلاثاء · يوم مشرق ، مشمس ، مبشر بالامل ·

**ان نادية هى ـ فيمـا أعلم ـ أول امرأة تجيء الى هنـا طالبة الحرية بدلا من الزواج · انها هنا ! · هنا فقط ـ يجب أن تتعلم كيف تعيش بغير زوج · بغير رجـل ، بغير كتف تبـكى عليها · لا أحد هنا يبكى على أحد · الناس هنا ـ فى كندا تعمل فقط · تعمل أو تموت !**

**وبشعور الامل هذا بدأت نادية تبحث عن عمل فى مونتريال بكندا · انهـا تفعل ذلك دون أن تعرف أحـدا على الاطلاق ، أو شيئا على الاطلاق فى كندا !**

**ان أول شيء حدث معهـا فى الايام الاربعة العظيمة الاولى لها فى كندا كان ـ لا شيء · لا عمل ! مصيبة ·· كارثة ·· انهـا ليست كارثة بالنسبة لها فقط ·· ولكن ـ أهم من ذلك جدا ـ انهـا كارثة بالنسبة لطفليها ·· سـامى الذى أصبح عمره الآن خمس سنوات ، وزيزى ·· ثلاث سنوات ·· ان نادية هنا ـ فى مونتريال تستطيع أن تحصل على الحرية ولكنها ـ أيضا تستطيع أن تحصل على الجوع · على الفقر · انها ربما تستطيع لأول مرة أن تجوع ·· ولـكن الاولاد ؟·· الاولاد · انهم هم ثقيـل ·· عبء ·· مسئولية · ان هذه المسئولية هى كل ما يشغل رأسها فيكلمرة تبحث فيها عن عمل بشركة أو مؤسسة فيمونتريال·· لقـد تحولت مسئولية الاولاد فى رأسهـا الى مغص ·· نعم ·· مغص تشعر به يوميـا ·· مغص ·· وتقلص فى الامعـاء ·· وصراع مستمر ·**

**ولكن نادية تذكرت شيئا هاما · لقد تذكرت ان الاستقـلال عن الرجل ـ الاستقـلال عن شخص يحمـل همومهـا ـ هو امر يتطلب صمودا وشجـاعة · ان المرأة لا تصبح شجـاعة بمجرد**

**نصيحة تسمعهـا من الآخرين . انهـا تصبح شجـاعة ، حرة ، مستقلة ، لانها تريد أن تكونشجاعة ، حرة ، مستقلة .. و .. عندما يصبح الانسان حرا ، مستقلا ، فانه لا يقبل التنـازل عن استقلاله أبدا .. لا يمكن .. مستحيل ..**

**عند هذا الحد فقط بدأتنادية تحس بطاقة جديدة فيداخلها . طاقة تدفعها الى عدم اليأس . الى الامل ، الى مواصلة البحث عن عمل .. ان البحث عن عمل هو الان .. عملها . انها تتصرف كما لو كانت تملك عشرة رؤوس وعشرين يدا ، مع انها لا تملك سوى عقل واحد .. عقل امرأة .. ويدين اثنتين ، كل واحـدة منهما تمسك بواحد من طفليها .**

ولان الله يعلم قوانين الاحوال الشخصية فى مصر .. فقـد رزقها بعمل فى خلال أسبوع واحد من وصولها . أنها لم تستطع أن تعمل مدرسـة ، فالمدارس مغلقـة بسبب أجازة الصيف . ولكنهـا استطاعت أن تعمل سكرتيرة . نعم سـكرتيرة بمرتب ٣٧٥ دولارا فى الشهر .. هـذه أول ٣٧٥ دولارا ـ أول دولار واحد ـ تحصل عليه هنا من عملها هى . انه ليس مبلغا تأخذه من جيب زوجها . ليس نفقه تأخذها بحـكم القانون ، ليست اعانة . انه مرتب .. قيمة عمل .. الآن فقط تستطيع نادية أن تقول انها مستقلة .. الآن فقط تستطيع أن تقول انها حرة

**ولكن .. مع الحرية يأتى ضيف آخر .. ضيف لابد منه .. مع الحرية تأتى .. المسئولية ان تصبح حرا معنـاه فى نفس الوقت أن تكون مسئولا .. ان نادية الآن حرة ولكن حريتهـا تعنى أيضا أنهـا أصبحت مسئولة عن نفسهـا ، وعن أولادها . مسئولة عن الحصول على احترام الناس لها كانسـانة ، قبل ان تحصل على اعجابهم كامرأة .**

ان شيئا من هـذا كان يدور فى رأس نادية عندما قدمت طلبات للعمل كمدرسة . الى أن استطاعت بعد ثلاثة شهور أن تصبح فعلا مدرسة .. بسبعة آلاف دولار مرتبا سنويا . انها اذن تعيش فى شقتها الخاصة مع طفليها .. شقة فى احدى تلك العمارات المتناثرة فى شارع « سبرنج جاردن » احدىضواحى مونتريال « نفس الشقة التى ذهبت اليها فيها مع صديقى المصريين المقيمين بمونتريال » .

ولقد ذهبت الى نادية فقط بعد أن سمعت عنها مايدعونى الى احترامها سمعت ذلك من الاب روفائيل ممثل الكنيسة المصرية فى

مونتريال . وسمعت ذلك ايضا من الناس . انالناس هنا لاينهشون سمعة بعضهم . الناس هنا . ناس .. لا وقت هنـــا للثرثرة او الاشاعات أو الهمســـات . وحتى لو ذهبت الى نادية فى شقتها بعد منتصف الليل ، مع رجلين اخرين غريبين ، فان المجتمع لن يلوك سمعتها بألسنته فى الصباح التالى . ان المجتمع هنا يهتم بالمضمون فقط .. والجوهر فقط ، وليس الشكل .

ان سمعة نادية هنا ، فى مونتريال ــ هىمزيج منالاثنين . الشكل والجوهر . انها هنا نموذج لامرأة مصرية . امرأةعادية . انها عادية عندنا ، ولكنها لم تكن عادية عندهم هنا ابدا مارأوها فى مدرستها . ان زميلاتها المدرسات تعجبن قائلات لها : « **مصرية ؟ .. هل أنت مصرية ؟ هل فى مصر نساء يتكلمن الانجليزية هكذا ؟ انك .. حتى تلعبـين بينج بونج .. هـــل تعرفين فى مصر البينج بونج ؟ .. مش معقول ؟! »**

ولكن نادية فعلت فى مونتريال اشياء كثيرةغير معقولة . أو ــ على الاصح ــ اشياء لم تكن تبدو لها معقولة من قبل . انها الآن تستطيع أن تعتمد على نفســـها . وتستطيع ان تأخذ الاولاد فى نزهة يومى السبت والاحـــد وتستطيع أن تتحدث معك كرجل لرجل ولكنها لاتستطيع القدوم الى مصر فى زيارة ! نعم لاتستطيع .. لأنه لابد لها ــ هكذا تعتقـــد ــ ان تأخذ موافقة كتابية على صحبة أولادها عند خروجها من مصر عائدة الى كندا . نعم لاتستطيع .. فالقوانين فى مصر لاتصبح قوانين الا عندما تتعلق بالمرأة . قبل أن يتعلق القانون بالمرأة . يمكن ان يتحـــول الى اى شىء .. ولكن مع المرأة فقط . يصبح القانون .. قانونا .. انه قانونلايعرف فىكندا ، ولا مونتريال بكندا . قانون لايرحم .. وناس لاترحم

ــ« .. ارجوك .. لا داعى لان تكتب عنى فى مصر .. لن يصدق الناس . انهم يصدقون الاشياء السيئة فقط » !!

وقلت لنادية : « ان الناس لم تقل عنك شيئا سيئا فىكندا . هل يفعل الناس ذلك فى مصر ؟! »

فى الواقع اننى لم اكن أوجه السؤال لنادية ، ولكننى كنت أوجهه لنفسى .. فعنـــــدما تذكرت فقط اننى ارتكبت جريمة . تذكرت اننى اصطحبت معى رجلين غريبين ، واننا جميعا زرنا ناديةفىشقتها بعد منتصف الليل ، واننى فوقهذا كلهتكلمت عنها باعتبارها نادية .. فقط .. نادية .. ثم نقطة بعد ذلك !

**ولكن ..**

بعض الناس تستطيع أن تناديهم فورا باسمهم الاول . ان نادية واحدة منهم .. انها واحدة من هؤلاء الذين تنجذب اليهم بسرعة . ليس لانك تعرفهم من قبل .. ولكن لانك تحترمهم انك تحترمهم من قلبك .. بحيث يصبح لديك ـ مثلي ـ حب استطلاع . انك تعود اليهم مرة ومرة لكي تدرسهم . وكلما درستهم اكثر ، نشأ في داخلي شعور بالتعاطف معهم . شعور كان غائبا عني في البداية ولكنه استمر معي حتى اللحظة الاخيرة . حتى الثانية صباحا .. عندما خرجت من شقة نادية مودعا لها في هـــدوء .. حتى لايستيقظ طفلاها من نومهما .

هكذا عدت الى السيارة مع صديقي المصريين اللذين صحبتهما معي .. عدنا الى السيارة لنبحث من جديد عن طريق عودتنا الى مونتريال : الى الامام حتى الطريق الرئيسي ـ ثم يسارا ، ثم اتجه يمينا من المدخل السادس .. الى الطريق السريع حتى الميدان .. ثم يمينـا .. فأماما .. فيسارا الى .. الى .. الى اين ؟! هكذا بدأنا نتشاور .. أنا وصديقاي اللذان يحيطان بي كساندويتش داخل السيارة ساندويتش من الازواج ، فاكرام واحمد كلاهما متزوج .. انهما اثنان من المصريين المهاجرين الناجحين المقيمين في مدينة مونتريال . اكرام ، سمسار في البورصة .. واحمد مدرس ثانوي .

**وفي لحظة واحدة اتفقنا جميعا : نذهب الى بيت اكرام ..**

اتفقنا على ذلك ، لان هناك مهمة عاجلة تنتظرنا في بيت اكرام .. مهمة عاجلة جدا وضرورية جدا .. سماع اسطوانات **أم كلثوم** ! ان اسطوانات ام كلثوم موجودة في أماكن مصرية كثيرة في مونتريال . ولكن أهمها بالنسبة لي مكانان اثنان ؟ أحد المطاعم المملوكة للعرب . ولكنه مطعم مغلق بعد منتصف الليل ، والمكان الثاني هو منزل صديقي اكرام .. ان اكرام سمسار صباحا .. ومستمع لام كلثوم ليلا .. هذه وظيفته ..

انني سوف أنسى أشياء كثيرة قبل أن أنسى لقاءنا كل ليلة في المطعم العربي ، ولقاءنا تلك الليلة في منزل اكرام .. ان شقة اكرام صغيرة .. ولكنها كانت في تلك الليلة كبيرة جدا بالنسبة لنا ، لان اكرام يمتلك عدة شرائط سجل عليها احدث اغاني أم كلثوم . ( أحدث هنا تساوي عشر سنوات مضت ؟ )

لقد وصلنا الى شقة اكرام ، احمد وأنا .. ثم .. بدانا . . كما يحدث دائما فى المطعم العربى ، بدأنا نستمع الى صوت أم كلثوم . شيء واحد اجمعنا عليه : ان بلادنا كلها تعيش في هـذا الصوت . نيل مصر ، جبال لبنان ، تلال الاردن ، لهيب الجزائر ، سحر المغرب حضارة بغداد ، وتاريخ القاهرة ،عمق المحيط ، صفاء ، السماء اتساع الصحراء . .

وأحيانا كان هذا كله يختفى عندما يتعطل جهـاز التسجيل . لحظتها يسكت هذا كله . يتحول الى صدى . ذكرى . .أمل . والى أن ينجح أحدنا فى اصلاح الجهاز .. فان كل لحظة كانت تزن فوقنا كجبل .. ثم .. يعود الصوت . تعود بلادى ، بلاده .. بلادها ، بلادنا . . .

« أرجوك .. » هكذا يقول لى اكرام وأحمد فى لحظة واحدة . « أرجوك .. ان تكتب عن أملنا هذا . لقد لمست بنفسك فى زياراتك لاعضاء الجالية العربية هنا : **ان أم كلثوم بالنسبة لنا ليست مجرد مطربة تغنى .. انها قطعة من بلادنا . انها رمز لبلادنا اننا نرجوك ، لو رأيت أم كلثوم .. أن تنقل اليها رجاءنا بان تقيم لنا حفلة هنا .. اننا ٨١ الف مغترب .. ولكن حفلة واحدة لام كلثـوم هى تحقيق لـ ٨١ ألف امنية ــ ٨١ الف أمل . ان أم كلثوم بالنسبة لنا ليست قضية غنائية .. انها قضية وطنية .. »**

ان الوطنية هى التى دفعت احمـد البطريق ــ صديقى الجالس معنا الآن ــ الى الدخول مرة فى معركة بالايدى هنا ــ فى مونتريال مع حفنة من اليهود الصهيونيين المتعصبين . بالمناسبة : فى كنـدا ربع مليون يهودى .

ان المعركة التى خاضها أحمد كانت مع ١٢ يهوديا صـهيونيا . معركة كانت فيها اصابات ونزيف ودماء وبوليس و .. و .. ولكن احمد لم يفعل ذلك الا بعد وصوله الى كنـدا بثلاث سنوات .. نعم .. ثلاث سنوات ..

قبل هـذه السنوات الثلاث كان احمد موظفا بشركة السكر بالحوامدية فى الصعيد . مجرد موظف . انه رئيس لاحدى ورديات انتاج السكر فى الشركة .. ولكنه موظف .. هذا ماكان احمد يحلم به على أى حال .. طوال دراسته بمدرسة الليسيه فى مصر الجديدة ومعهد السالبزيات الايطالى فى القاهرة . كان أحمد يريد الوظيفة لان عقله كان مع شيء آخر .. مع لعبة كرة اليـد . أنها هوايته . هواية أصبح فيها لاعبا دوليا يمثل بها مصر فى بطولة البحر الابيض

المتوسط وفى الدورة العالمية بموسكو وفى كل منتخب مصرى دولى يسافر الى الخارج .

ولكن الرياضة لاتستطيع أن تكمل لاحمد النقص فى مرتبه . . ان مرتبه فى شركة السكر وصل الى ٣٢ جنيها . هـذا هو الرقم الذى تزوج عنده احمد فى بداية سنة ١٩٦٤ . الآن اصبح زوجا ، أصبح عليه ان يتأكد كل يوم من ان النقود ماتزال فى جيبه . عندما كان أحمد أعزب لم تكن المسألة تهم كثيرا . انه يأكل وينام مجانا عند والدته و « .. برضه لما الحكاية تزنق قوى الواحد يأخذ من ماما اسعافات مالية » .. اسعافات لاترد طبعا .

ولكن هذا لايحدث حينما يكون الانسان زوجا .. حينما تصبح زوجا ، تصبح رب أسرة تصبح مســئولا فلابد أن تشغلك كثيرا مسألة المرتب . انها تشغلك ٣٢ يوما كل شهر و ٢٥ ساعة كل يوم .. ولان أحمد هو مجرد موظف ، فالمرتب محسوب مقدما محسوب لمدة سنة قادمة، عشر سنوات قادمة، عشرين سنة قادمة .. !

ثم . . فكر أحمد فى الهجرة .. عندما فكر فى الهجرة الى كندا كانت المسألة فى رأسه بمثل هذه البساطة « .. الواحد يروح يعمل قرشين ويرجع ثانى بعد كام سنة » .

كانت هذه هى الفكرة التى تحتل راس أحمد . رغم أنه وصـل بخمسة عشر دولارا فقط فى جيبه ، الى مونتريال يوم ١٤ مايوسنة ١٩٦٤ .. لقد وصل وهو لايملك ســوى اللغة الفرنسية التى يجيدها بسبب دراسته ، وخبرته فى شركة السكر ،وال ١٥ دولارا التى يحملها فى جيبه .. انه لم يخـرج من مصر ب ١٥ دولارا . فى الواقع انه خرج بمائتى دلاور .. ولكن مثلمـا يحدث دائما مع كل مهاجر .. لم يستطع أحمد أن يحتفظ بالمائتى دولار فى جيبه حتى يصل الى كندا .. عندما توقفت الطائرة فى بلجيكا نزل أحمد هناك ليقضى اسبوعين كسائح . اسبوعين لم يبق معه بعدهما سوى الخمسة عشر دولارا كيف يفعل ذلك ؟ كيف يجرؤ على ذلك ؟ هل يفعل احد ذلك ؟ نعم . المصريون يفعلون !! ان هـــذا عمل جنونى بالنسبة لشخص مهاجر .. شخص مازال امامه مستقبل مجهول لم يواجهــه بعد .. شخص لابد أن .. أن .. ولكن مافائدة ذلك الآن ان مافات مات ! هذا ماحدث مع احمد على أى حال !

ان ماحدث معأحمد بعدذلك شبيه فى قصة سابقة بطلها مصطفى عزام ( تتذكره ؟ ) .. ولكن الفارق هنا بسيط : ان أحمد استطاع بمساعدة ادارة الهجرة فى مونتريال . . أن يجد عملا بعد ثلاثة ايام

فقط من وصوله .. مسألة شـــاذة لاتحـــدث الا نادرا ، ولكنها .. حدثت . .

الآن أصبح أحمد موظفا .. انهمن جديد رئيس وردية، ولكن في ادارة كهرباء كويبك انها ادارةحكومية .. والمرتب فيها ٧١٠٠ دولار في السنة . ولكن .. لكن .. أحمـــد يريد أن يعمل مدرسا . بالذات .. مدرس ! .. لمـــاذا يا أحمد تصر على التدريس بالذات انه وظيفة متعبة .. ؟

**« نعم .. متعبة .. ولكنها مضمونة .. فيها استقرار ، وفيها أمن . عندماتصبح مدرسا فأنت تصبح فعلا موظفحكومة . مرتبك غير قابل للخصم وانت غير قابل للفصل و .. انت تفهم طبعا » !!**

نعم .. أنا أفهم .. ألم أقل من قبل ان المصرى قد يطوف العالم كله ، قد يغيرعمله ومستقبله ، قد يسافر ، يهاجر . ولكنه فىالنهاية يريدان يكون موظفا !! انأحمد حصل على وظيفة التدريس بعد سنة ونصف من عمله فى ادارة الكهرباء . عنـــدما بداها اصبح مرتبه ٦٩٠٠ دولار في السنة ، مرتب أقل منمرتبه فىادارة الكهرباء .. ولكن هذا لايهم .. ان المهم فقط هو انها وظيفـــة حكومية .. وظيفة فىادارة المدارسالحكومية بمونتريال .. وظيفة تسمح لاحمد باعطاء ١٨ حصة فقط فى الاسبوع .. وثلاثة اشهر اجازة صـــغيرة كل سنة .

عند هذا الحد فقط ، بعد هذا الضمان فقط ، يستطيع أحمد أن يحس الاستقرار بالطمأنينة ، عند هذا الحد يستطيع أن يستدعى زوجته التى تركها خلفه فى القاهرة .

ان ماتوقعه أحمد أنيحدث معه ، ولم يحدث ، حدث معزوجته. لقد وصلت الى مونتريال . شهر . شهران .. ستة اشـــهر .. سنة و .. لا عمل ! انه هو الذى لايريدها أن تعمل . يكفى أنيعمل هو . ولكن .. ان الزوجة . ترى كل من حولها يعمل ، لا أحـــد حولها .. لازوجة .. ولا أم ولا فتاة .. تبقى فى المنزل طوالاليوم فى انتظار زوجها .. ان الحياة هنا تصبح كومة هائلة منالملل عندما يكون هنـــاك عمل ! . الطبيخ ليس عمـــلا ، الكنس ليس عملا ، الغسيل ليس عملا ، تنظيف البيت ليس عملا .. انها جميعا اعمال تنجزها الآلات فى ساعة واحدة .. ماذا تفعل الزوجة الآن فىال ٢٣ ساعة الباقية كل يوم ؟! لابد من عمل .. لابد من عمل ..

هكذا وافق أحمد أخيرا على أن تعمل زوجتـــه .. من الاسبوع التالى مباشرة كانت الزوجة تعملمضيفة فى فندق هيلتونمونتريال، اربعة آلاف دولار مرتب فى السنة .

نعم .. بدأ المجتمع هنا يفرض طابعه على الزوجين .. لا أحد هنا يتوقف ابدا على ماهو عليه . لابد ان تتعلم كل يوم شيئا جديدا ، تكسب مهارة جديدة . تحصل على خبرة جديدة هكذا التحقت الزوجه لمدة تسعة اشهر ببرنامج علاجي للامراض الجلدية والتحق الزوج ببرنامج تدريبي في التربية البدنية بجامعة مونتريال للحصول على شهادة تعادل البكالوريوس .النتيجة تغيرت الزوجة عملها لتصبح معالجة في مستشفى « جريجورى » بمونتريال . زاد المرتب الى ٥١٠٠ دولار في السنة .

**النتيجة الثانية** : زاد مرتب احمد في المدرسة الى ٧٩٠٠ دولار في السنة .

**النتيجة الثالثة** : حصل احمد على عمل اضافي بالمعرض الدولي في مونتريال .عمل يقوم به في غير وقت عمله الصباحي كمدرس . لقد عمل مشرفا على أجنحة عديدة . أجنحة من بينها : جناح بورما ، تايلاند ، الجزائر ، المغرب ، وجناح الجمهورية العربية المتحدة .

المرتب : ١١ الف دولار في السنة .

ثم .. عند هذه النقطة تذكر أحمد شيئا هاما . تذكر أنني صامت خلال الدقائق الخمس الاخيرة .

**ـ لماذا أنت صامت ؟**

هكذا سألني . ولكن لم أستطع أن أجيب على السؤال . قطعا كان هناك شيء ما يشغلني عن الكلام . لم يكن مرتب أحمد وزوجته هو ماشغلني . مرتب يدخل في مجموعة الى ٢٤ الف دولار في السنة . ولم تكن النتيجة التي حققها أحمد وزوجته هي التي شغلتني . نتيجة تستحق التقدير .

ان ماشغلني قبل هذا كله كان شخصية احمد نفسه وهو يتكلم انه يتكلم ، ويتكلم وجهه البرىء .. وشعره القصير .. وحاجباه الكثيفان .. ونظارته الطبية .. وجسمه الممتلىء .. انه جسم مصارع اكثر منه جسم مدرس . داخل هذا الجسم ، تحت هذا تستطيع أن تكتشف في أحمد انسانا آخر . انسانا طيبا . انسانا صريح الكلمات ، صافي القلب ، امين التعبير الى درجة مدهشة ، انه مصري . بالضبط ـ فلاح مصري . ليس هذا ذما . هذا منتهى المدح . فمع أن أحمد ـ من مواليد محافظة الشرقية بالذات من الابراهيمية في الشرقية ، الا انه تعبير حي عن الشخصية المصرية التقليدية التي تقابلها في الطريق كل يوم . انه بسيط ، ساخن الدماء ، بوجهه طفل فوق جسم شاب وعقل عجوز .

انه يقول لي : « تعرف انا تعبت هنا فى البداية من ايه ؟ كل واحد فى حاله .. فى مصر كنا غير كده . كنا شلة اصدقاء كأننا اخوات .. اللى فى جيبى فى جيبك . هنا مفيش كده . الصداقة هنا هى مجرد زمالة .

« .. انا أول عمارة سكنت فيها لم اسمع جارا يقول لى عندما اقابله . صباح الخير ! تسعة شهور مضت قبل أن اسمع هاتين الكلمتين : صباح الخير ..

« .. أنا يا أخى مش عارف ليه احنا وقفنا الاشتراك فى المعرض الدولى بمونتريال جناحنا كان شىء يفرح .. الواحد كان بيحس بالفخر كلما دخل رأى صورة عبدالناصر فى المدخل .. بينى وبينك ، انا اتعمدت اعلقها فى مدخل الجناح علشان تغيظ اليهود .. دلوقت مفيش جناح .. طيب ياناس ؟ الصورة ؟ احنا عاوزين الصورة ..

« تعرف .. ؟ اليهود هاجمونا فى الجناح المصرى مرة فى شهر يونيو سنة ١٩٦٧ . كان رابع يوم الحرب .. الساعة كانت سبعة مساء . وفجأة ١٢ واحد دخلوا يهاجمونا فى الجناح . كنا ثلاثة. صديق مدرس مغربى اسمه على حسين ، وصديق ثان وانا .. أول مادخلوا بدأوا يكسروا فى الجناح و .. نزلوا فينا ضرب .. لكن .. مع مين ياأخ ؟ وشرفك .. كلها ثلث ساعة كنا مشرحينهم ! ولما وصل البوليس شافهم مليانين جروح ونزيف والارض كلها دم .. دمهم طبعا

« .. انا صحيح اخذت الان الجنسية الكندية ، ولكن ما زلت مصريا ... »

هكذابدأ احمد حديثه عن شلة الاصدقاء ، وانتهى به الى الجنسية الكندية ؛ جنسية حصل عليها بعد خمس سنوات من عمله فى كندا ،

والواقع انه لم تكن هناك جنسية كندية منذ حوالى ربع قرن مضى .. فقبل ان تصدر كندا قانون الجنسية فى أول سنة ١٩٤٧ ، لم تكن كلمة « كندى » تعنى شيئا محددا ، أو واضحا . فى البداية كان المواطن الكندى يعتبر فى حكم الرعايا البريطانيين ، واحيانا لم يكن يعتبر كذلك .

ولكن ، منذ سنة ١٩٤٧ — اصبح الشخص الكندى « هو الشخص الذى يولد فى كندا ، او يولد فى الخارج لاب كندى ، أو يتجنس بالجنسية الكندية . لكى تحصل على الجنسية الكندية ، لابد أن تقيم فى كندا خمس سنوات على الاقل ، بشرط أن تكون مقيما فى كندا بصفة دائمة فى السنة الاخيرة .

ان هذا الوقت الذى استغرقه تنظيم الجنسية الكندية كان فى الواقع رمزا لمشكلة « تحقيق الشخصية » التى عاشتها كندا حتى

فترة قريبة فقط · فالدولة ـ أى دولة ـ لا يمكن أن تستحق هذه التسمية لمجرد أنها تجمع عددا من الافراد يعيشون داخل حدود سياسية · ان الشعور بالانتماء لجنسية دولة معينة ، ليس مجرد مفهوم قانونى · ان سكان الدولة يجب أن يكون لديهم شعور مشترك ، شعور بصفتهم المشتركة .. وتجربة تاريخية يحسون أنها تجربتهم ·· انهم يجب بكلمات أخرى ـ أن يكون لديهم تصور جماعى يفسرون به ماضيهم ويشكلون مستقبلهم .. اذا لم يوجد هذا الشعور فان الدولة تظل غير قائمة على أسس ثابتة راسخة ·

ان هذه الاسس الثابتة الراسخة لم يبدأ توافرها فى المجتمع الكندى الا قريبا فقط .. بسبب العوامل المتصارعة التى احاطت ـ وما زالت تحيط ـ بالمجتمع الكندى ·

ان عضوية كندا الطويلة فى الامبراطورية البريطانية ·· ان قربها من الولايات المتحدة ، ان الانتقال الدائم للناس والافكار عبر الحدود ·· أن التبعية الاقتصادية ـ لبريطانيا أولا ثم لأمريكا ـ ان تنوعها الثقافى الداخلى ·· ان حجمها الجغرافى الواسع والمتنوع ·· كل هذا أدى فى النهاية الى تأخر ظهور ما يمكن أن نسميه بـ « الشخصية الكندية » أو حتى « الجنسية الكندية » .. ان الثقافتين الرئيسيتين اللتين تتصارعان داخل المجتمع الكندى لا تشتركان حتى فى لغة واحدة احداهما فرنسية والاخرى انجليزية ·· ان أحسن جامعة فى كندا ـ جامعة ماكجيل ـ تقدم لك العلوم بأفكار كندية وخبرات دولية وأموال أمريكية · بل انه حتى الطعام الكندى .. هو عبارة عن مجموعة من أطعمة لجاليات وأذواق تجمعت فى كندا ·· هناك الطعام الفرنسى ، الصينى ، الهندى ، الايطالى ، الاسبانى ، و ·· الهامبيرجر ·· ان المهم أن كندا تقدم لك المادة الخام التى تريد أن تطبخ منها أى شىء ، انها تقدم لك الخوخ والفلفل والطيور والملوخية والبامية و ١٥٠ نوعا مختلفا من الاسماك !

لهذا السبب بالذات فان المطاعم فى المدن الكبرى بكندا هى محل مربح للغاية .. ومع ذلك .. فاننى لم أجد فى كندا سوى مصرى واحد صاحب مطعم .. انه مواطن مصرى هاجر الى كندا سنة ١٩٦٤ ·· بالتحديد فى شهر أغسطس · اسمه جورج سعد ·· ان كل ما حمله جورج من مصر هو ١٣٥ دولارا أمريكيا و٣٦٤ فرنكا سويسريا و٥٥٠ ماركا ألمانيا ( مجموع هذا كله لا يزيد عن مائة وخمسين جنيها مصريا ) ·

ويبدأ جورج حياته بافتتاح مطعم في مونتريال • في خلال سنة باع مطعمه بعشرة آلاف دولار ·· ثم قام بتأسيس مطعم آخر اسمه « علي بابا » يساوى الآن عشرين ألف دولار • ان جورج يقدم في هذا المطعم - مع مصرية أخرى اسمها اندريا - أي مأكولات مصرية تريدها • فول مدمس ، فلافل ، كشرى ، بصارة ، ملوخية ، بامية .. الخ . بعضها عبارة عن معلبات مستوردة من مصر - وبعضها خضراوات مزروعة في كندا ، وفي بعض الاحيان يقدم لك جورج كبيبة شامية ، أو هامبيرجر انجليزي أو سجق امريكي ، أو اسماكا كندية !

من أحد أنواع هذه الاسماك صنع لنا مضيفنا الليلة - صديقي اكرام عبد الحميد - وجبة خفيفة ·· في الواقع لم يكن اكرام هو الذي أعد الوجبة ·· فالانسان في سن الـ ٣٧ لا يستطيع أن يطبخ لنفسه شيئا ·· ولكن أعدتها زوجته وقدمتها والدته التي تعيش معهما •

ان اكرام - وزوجته المهذبة - يستطيع ان يأكل اى شيء بشرط أن يسمع أم كلثوم أولا • اننا الآن نأكل وجبة سمك ·· على صوت تسجيلات أم كلثوم ·· ديكور ·· لزوم القعدة ·· لزوم البقاء بأجسامنا في كندا والانتقال بعقولنا الى مصر ··

لقد كنت دائما أرى اكرام يأكل لحوما ويسمع (( **انت الحب** )) . يأكل فول مدمس ويسمع « **ألف ليلة وليلة** » • يأكل بصارة ويسمع « **انت عمرى** » ·· يأكل طعمية ويسمع « **اسأل روحك** » يأكل خوخ ويسمع « **الاطلال** » ·· يأكل بطيخ ويسمع « **مرت الايام** » ··

ان التسجيلات الحديثة لاغاني أم كلثوم لم تصل الا منذ يومين اثنين فقط ·· لقد وصلته مع صديق له يعمل في مؤسسة الطيران العربية ·· ان اكرام نفسه كان يعمل من قبل في الطيران العربية·· اكرام كان طيارا ·· ومع ذلك فان أول عمل بدأ به حياته في كندا منذ خمس سنوات هو مخزنجي ·· نعم مخزنجي ·· مجرد أمين مخازن في شركة للاسطوانات . ان أجره كان سبعين دولارا في الاسبوع ( وهو أجر متواضع جدا بمقاييس الاجور في كندا ) .. بعد شهرين اصبح رئيسا للمخزن .. شهرين آخرين .. ثم عمل كبائع في محل لبيع الموبيليات . برنامج تدريبي لمدة ستة أشهر في الازياء ثم انتقل اكرام الى العمل مديرا لقسم الازياء الحريمي في محل آخر ·· هل تعلم ماذا يعمل اكرام الآن ؟

سمسارا .. انه يعمل سمسارا فى بورصة مونتريال .. وعندما ذهبت اليه فى المرة الثانية كنت أريد أن أتأكد بعد أنه ما زال سمسارا ولم يصبح عالما فى الذرة مثلا !!

لقد تضاعف دخل اكرام مرات عديدة بعد عمله الجديد كسمسار ولكن الواقع أن تغيير العمل فى كندا هو أمر ضرورى • فالمجتمع يقنعك هنا بأن الهدوء بديل عن الموت ، وأن الحركة هى دليل الحياة •• ان الحركة تعنى أشياء كثيرة ، ولكن أهمها أن تتحرك دائما نحو خبرة جديدة ، أو عمل جديد ، ومسئولية جديدة •• وفى كل مرة لابد لك من أن تحصل على برنامج تدريبى •• ليس فقط لكى تترقى فى عملك الحالى .. وانما لكى تنقل الى عمل آخر مختلف. ان المجتمع يقول لك ان الاعمال التى تعطيك دخلا أكبر هى تلك التى تتطلب منك تعليما أكثر وتدريبا أطول ويقظة دائمة •

ان اكرام لم يكن يستطيع البقاء فى عمله — سمسارا — الا اذا جلس على مكتبه فى البورصة بعشرين عينا مفتوحة .. لا بعينين اثنتين فقط .. ان البورصة معناها الاسهم : معناها المضاربة معناها التجارة ، معناها الدقة ، معناها السرعة • ان لحظة واحدة قد تعنى عشرين الف دولار خسارة أو مكسبا لزبونة .. ان تحليل الاخبار الاقتصادية فى الصحف كل صباح قد يعنى فرصة ضخمة يلتقطها ، أو كارثة محققة تصيب استثماراته ، التى هى فى النهاية ، استثمارات من يتعاملون معه •

ولان الناس دائما يتأثرون فى حياتهم العادية بمهمتهم التى قضوا فيها يومهم فى المناقشة مع اكرام هى دائما مناقشة سريعة متلاحقة مفككة •• بكلمة واحدة نتكلم فى الاقتصاد •• وبكلمة واحدة أخرى نتكلم فى الهبوط على القمر • ان الطبيخ مثلا هو بالنسبة لاكرام اما ناقص بنط أو زائد بنط .. والصوت عنده عالى نقطة ، أو ناقص نقطة • والمناقشة عنده هى دائما كلمة تقولها فتكسب جدا ، أو جملة تنساها فتخسر تماما •• والسهرة عند اكرام هى واحد زائد واحد يساوى عشرة يتكلمون فى وقت واحد و •• يا خبر أبيض !!

تعرف الساعة كام يا اكرام ؟ الساعة كام يا أحمد ؟!!

— ايه يعنى •• احنا لسه بدرى •• الساعة أربعة صباحا يا أخى !!

انت مش رايح بأتوبيس السادسة صباحا الى شيربورج ؟ خليك بقى صاحى الساعتين دول ! !

**الفصل الخامس :**

# صبى بقال .. بالدكتوراه !



**هل سمعت عن أستاذ جامعة يعمل .. صبى بقال ؟! لا يوجد خطأ : أستاذ جامعة .. يتحول الى صبى بقال ! أستاذ جامعة ، بشهادة ابتدائية .. واعدادية .. وثانوية .. وبكالوريوس .. ودكتوراه .. و ٢٩ سنة عمرا .. يعمل صبى بقال !**

« أهو ده اللى موجود .. عاجبك والا لأ ؟ » .. عاجبنى طبعا

هكذا قال أستاذ الجامعة المصرى لنفسه عندماهاجر الى كندا . لابد أن يعجبه أن يعمل صبى بقال . لابد من ذلك والا .. مافائدة الدكتوراه التى يحملها معه اذن ؟ ان الدكتوراه أصبحت ـ فجأة ـ بلا قيمة . الدكتوراه فى يده لم يعد لها قيمة على الاطلاق ، سوى أن تقنعه بألا يدق رأسه فى الحائط ! الذين لا يحملون الدكتوراه

هم فقط الذين يدقون رءوسهم فى الحائط ، أما أصحاب الدكتوراه فانهم لا يفعلون !! فائدة معقولة بعد ٢٩ سنة ضاعت من العمر فى الدراسة !

لم تكن المشكلة في الدكتور المصرى أستاذ الجامعة • ولم تكن المشكلة فى المجتمع الذى هاجر اليه بكندا • ان كندا بلد كبير واسع بفرص كبيرة واسعة • وفى كندا ليس من المهم من أنت ، ولكن المهم فقط هو : ماذا تعمل •

ان كندا تحتاج الى عمال • وتحتاج الى أساتذة جامعة • ولكنها قبل هذا كله تحتاج أولا الى شخص مستعد أن يضع عقله فى عمله ، وقلبه فى جيبه • حينما تكون من هذا النوع ، فان المجتمع يعطيك كل شيء : الدفء ، الفرصة ، العمل ، النقود ، الامل فى حياة أحسن • ان المجتمع يعطيك الفرصة فى أن تبدأ من جديد دائما • أنت تشق طريقك بكفاءتك وأصابعك العشر •

**ولم تكن المشكلة اذن فى المجتمع الكندى نفسه •• ولا كانت المشكلة فى الدكتور المصرى أستاذ الجامعة • كانت المشكلة هى أن السوق ـ فى اللحظة التى هاجر هو فيها الى كندا ـ لا يحتاج الى مؤهله • انه يحمل الدكتوراه فى وراثة الحيوان من جامعة عين شمس بالقاهرة • لقد ظل أربعة أشهر يحاول أن يعمل بهذه الدكتوراه فى مجالين اثنين فقط بكندا : الزراعة ، أو تربية الحيوان •**

**ان الزراعة أو تربية الحيوان فى كندا ليست فى حاجة الى شخص يحمل دكتوراه • كل واحد عنده مزرعة وانتهى الامر • ماذا يفعلون بالدكتوراه فى •• الحيوان ؟ ان القمح سوف يصبح قمحا • من غير دكتوراه • ان البقرة سوف تصبح بقرة • من غير دكتوراه • ان على المهاجر المصرى اذن ـ هذا المهاجر بالذات ـ أن ينسى فورا حكاية الدكتوراه هذه ، ويبدأ فى البحث عن عمل آخر مؤقتا • عمل •• أى عمل والسلام !**

**وهذا بالضبط ما جعل الاستاذ المصرى يتحول الى شخص عمل جدا ، عندما التحق بمحل بقالة •• يعدل صبيا فيه • انه يبيع لك البطاطس على أنها بطاطس ، وليس على أنها مجموعة نشويات •**

**انه يبيع لك زجاجة اللبن باعتبارها لبنا •• وليس باعتبارها مجموعة فيتامينات •**

انك لا تعرف هذا الرجل ، ولا أنا أيضا كنت أعرفه • الى أن سمعت عنه ، قابلته ، جلست معه ناقشته •• ذات ليلة من ليالى مدينة شيربروج فى كندا •

ان شيربروج مدينة صغيرة جميلة هادئة ·· بجو ممطر قليــلا وشوارع نظيفه غالبا · من أحد هـذه الشوارع صحبنى صديقى الدكتور مصطفى الهــلالى الى منزله · انه هو نفســه · الدكتور الهلالى ـ أستاذ جامعة مصرى مقيم فىشيربورج ، ومنزله الهادىء يطل من الدور الثانى على أحد تلك الشوارع الملونة ·.. منزل أنيق يتكون من مطبخ وأربع حجرات و ·· صــالة · فى هذه الصــالة جلسنا جميعا · خمسة من الضيوف ·· كلهم مصريون ·· معظمهم أساتذة جامعات ـ والدكتورمصطفى ·· ووالدهالزائر ·· و ـ أنا

كنا على موعد لكى نتناقش · لم يكن واضحا بالضبط فى أى شىء سوف نتناقش ـ ولكن الشىء المتفق عليه فقط هو أننا سوف نجلس معا ·· ونتفق أو نختلف معا · المهم والسلام ·· أن نقضى المساء معا ·

لقد كانوا فى الواقع مجموعة من المثقفين المصريين ·· انالجلسة اتسعت بعد دقائق قليلة عندما انضم اليها ضيوف جدد · وخلال ربع ساعة فقط · أصبحنا نضم طالب الدراسة وطالب الزواج ، وطالب العمل وطالب قصص العمل انالشخص الاخير هو أنا بالطبع

وكان الدكتور محمــد فهمى ـ أحــد الضيوف ـ هو الشخص قبل الاول أحسن من الاول !

ان الدكتور فهمى هو المهاجر المصرى ـ صــاحب الدكتوراه ـ الذى عمل صبيا فى محل بقالة ان هــذا العمل كان بالطبع آخر شىء يتصوره عنــدما حصــل على الدكتوراه فى وراثة الحيوان من جامعة عين شمس بالقاهرة · انالدكتوراه فى مصر شىء هام جدا يسعى اليه الناس لكى يضعوا تلك الكلمة السحرية قبل أسمائهم ـ كلمــة « **دكتــور** » ! انهم حتى من غير دكتوراه ـ ينتحــلون الدكتوراه لأنفسهم فى كثير من الاحيان !

المهم ·· ان محمد فهمى كان واحدا من الذين تمنوا طول عمرهم أن يحصلوا على الدكتوراه · كان هذا منتهى أمله عندما حصل منذ عشر ســنوات على البــكالوريوس من كليــة زراعة عين شمس · البكالوريوس ، ثم الماجستير ، ثم ـ أخيرا ـ الدكتوراه ·

وعندما فكر محمــد ـ الآن الدكتور محمــد ـ فى الهجرة كان آخر مكان عمل به فى مصر هو معهد أبحاث الصحراء. لقد هاجر الى كندا بالذات ـ لا لسبب سوى أن أخته سبقته للعمل هنــاك ســكرتيرة فى احــدى الشركات · هاجر بلا عقد عمل ، ولا وعد

بعمل ، ولا شيء مطلقا سوى شهادة الدكتوراه التى ترجمها فى مصر ـ ترجم الشهادة ـ الى الانجليزية بسبعة جنيهات !

انأول شيء فعله الدكتور محمد بعد وصوله الىكندا هو ارسال صورة منشهادة الدكتوراه ـ معملخصبخبرته وأعماله السابقة ـ الى وزارات الزراعة فى جميع مقاطعات كندا العشر • انه ـ أليس هذا حقه ؟ ـ يريد عملا فى واحد من الميدانين اللذين تخصص فيهما : الزراعة •• أو تربية الحيوان • انالدكتوراه التى يحملها هى فى وراثة الحيوان ، ولكن لا يهم •

ثم شهر ، شهران ، أربعة أشهر •• ولم يصل رد • ولا رد • لم يصل اليه رد واحد ايجابى من الجهات التى أرسلاليها طلباته بالبريد ، أو التى ذهب اليها بنفسه • لا أحد هنا يحتاج الى الدكتوراه التى يحملها محمد • لا أحد يحتاجها ـ فىالوقت الذى وصل هو فيه على الاقل •• وبعدين ؟ لابد من التصرف •

ولكن التصرف لا يمكن أن يتم مادام محمد يتمسك بمسألة الدكتوراه هذه • هكذا نصحه بعض الاصدقاء المجدين فىكندا • ولم يكن الدكتور محمد ينظر الى هذه النصيحة • لقد اتفق مع نفسه على أن المشكلة المبدئية هىأولا كيف يضع قدمه فىمكان ما داخل هذا المجتمع الجديد الغريب عليه •

عند هذا الحد ـ هذا الحد فقط ـ تذكر أنه درس الاحصاء ـ ضمن المواد الكثيرة التى درسها ـ وأنهم هنا ربما يحتاجون اليه فى عمل احصائى •• أكثر من حاجتهم اليه فى تربية الحيوان • وبسرعة •• بدأ الدكتور محمد ـ **الأن محمد فقط** ـ يبحث عن عمل كخبير احصاء • وبسرعة •• جاءه العمل المطلوب • وظيفة حكومية • وظيفة كلمهمته فيها دراسة المعدل الاحصائىللحوادث التى تتسبب فيها الآلات الزراعية •

هكذا وضع الرجل الشاب ـ ٢٩ سنة ـ قدمه أخيرا على أولى درجات السلم • انه الآن ـ الآن فقط ـ يستطيع أن يبحث عن فرصته فى هذا المجتمع •• دون أن يكون مسدس البطالة فوق رأسه • وهذا ما حدث فعلا •

لقد رأى محمد أن العمل الذى يقوم به هو عمل اقتصادى أكثر منه زراعيا ، وأن عليه أن يجرب أعمالا أخرى كثيرة قبل أن يصل الى العمل الذى يناسبه •

**« •• ما رأيك فى العمل كبائع فى محل بقالة ؟ » هكذا ردد محمد لنفسه انه يسمى العمل «بائع» ولكنك تستطيع أن تسميه**

« صبى بقال » ‥ لان العمل هو كذلك فعلا ‥!

ولم يتردد !‥ لقد قرأ اعلانا عن حاجة أحد المحلات الكبرى لأشخاص يعملون بائعين فى المحل · بائعين فى أقسام الخضراوات ، الملابس ، الاحذية ، الكاميرات !

نعم · محمد يستطيع أن يحصل على هذه الوظيفة ـ لقد تذكر فجأة أن لديه خبرة ضخمة سابقة فى كاميرات التصوير · لقد كان لديه وهو صغير كاميرا اشتراها له والده · انها لم تكن تلتقط صورا على الاطلاق ، فقد كانت مجرد لعبة ‥ ولكنها كاميرا والسلام ! أحسن من مفيش !

بهذه الفكرة الضخمة عن التصوير والكاميرات ، ذهب محمد الى المحل و ‥ حصل على الوظيفة · وظيفة بائع وفى قسم الكاميرات بالمحل ، مع أنه فى بعض الايام كان ينقل للعمل فى قسم الخضراوات ليحل محل شخص آخر ·

وفى الصباح المبكر كل يوم ـ ولمدة شهر ـ كان محمد يذهب الى عمله مبكرا لكى « يذاكر » كتالوجات جميع آلات التصوير ‥ حتى لا يخطىء فى شرحها طوال اليوم لكل زبون راغب فى الشراء · بهذه الطريقة استطاع محمد أن يحصل من المحل على مرتب متواضع للغاية ـ ٢٥٠ دولارا فى الشهر ·

ان محمد يتوقف فجأة عن الكلام · انه يتذكر · انه يتذكر منظره عندما كان يقوم بهذا العمل · شقاء هناك ‥ لا ألم ‥ لا مرارة ‥ بل انها جميعا ذكريات يعتز بها · انه يقول مثلا وهو يضحك من أعماقه : « مرة ‥ جاءت الى المحل واحدة ست · انها ست شيك جدا · دخلت محل قسم الملابس واختارت ملابس بألف دولار · دخلت قسم الموبيليات واختارت أثاثا بألف دولار أخرى · قسم الاحذية ‥ قسم الكاميرات ···

« ‥ فى الحقيقة لم تشتر منى سوى قلم حبر وولاعة ، ثمنهما ثلاثون دولارا · ولكنها اشترت من المحل كله بضائع بخمسة آلاف دولار ـ انها لم تدفع شيئا ‥ فلقد طلبت ارسال هذه الاشياء الى منزلها فى عنوان كذا ‥ والدفع عند الاستلام · حاضر ·

« ‥ وقبل أن ينتهى نفس اليوم كانت السيدة قد توجهت الى محلات أخرى واشترت بضائع أخرى بنفس الطريقة · الدفع عند الاستلام ·

« ‥ ولكن ‥ قبل أن ينتهى اليوم كانوا قد اكتشفوا أن هذه السيدة الشيك جدا هى مجرد : نصابة ! لقد ارتاب مندوب

أحد المحـلات فى الامر عندما ذهب يوصل البضـاعة الى العنوان المذكور .. فوجد بضـائع أخرى ضخمة أرسلتها محـلات أخرى كثـيرة و .. لا أحد فى المنزل . وعندما أبلغ الشرطة استطاعوا بعـد فترة العثور على السيدة .. واستدعوا جميع البـاعة الذين اشترت منهم ـ وأنا من بينهم ـ كي يتعرف كل واحد على البضائع التى اشترتها منه السيدة الشيك جدا ! » .

هكذا يحكي لك محمد عشرين حكاية وحـكاية عن تجربتـه في العمل لمدة شهر بمحل البقالة هذا .

ان التجربة لم تستمر اكثر من شـهر واحد ، لانه بعـد هـذا الشهر فوجيء محمد بخطاب مغلق يصله بالبريد المسجل . ماذا فى الخطاب ؟ ورقة ماذا فى الورقة ؟ أستدعاء . ماذا يقول الاستدعاء؟ يقول : ان قسم الابحاث بوزارة الزراعة الفيدرالية يحتاج الآن الى باحث زراعى حاصل على الدكتوراه .. وأن مرتب هذه الوظيفة يبدأ من ١٠٥٠٠ دولار وينتهى بـ ٢٢ألف دولار فى السنة .. اذا كانت هذه الوظيفة تناسبك فتفضل بالحضور لاجراء حديث شفوى قصـير معك !

.. اذا كانت تناسبه ؟!

**طبعا هي وظيفة تناسبه جدا .. انها الوحيدة التى تناسـبه .. ان الوظيفة التى يريدها محمد قد جاءت اليه اخيرا .. الان فقط ـ يتحول محمد من جديد الى : الدكتور محمد !**

ولكن فى الحقيقة ـ لم يكن ممكنـا ان تأتى هـذه الوظيفة الى الدكتور محمد قبل الان . لم يكن ذلك ممكنا لانها لم تكن موجوده .. لم تكن شاغرة .. فى الوقت الاصلى الذى طلبها هو فيه . ولانه لم يتمسك بها .. لانه بحث عن العمل ولم يبحث عن الوجاهة .. لانه رأى فى الصـفر رقما والبـداية المتواضعة شرفا .. لانه رأى المشكلة تحديا .. والقصة امتحانا .. لانه لم يضع قدما على قدم ..لم يلعن حظه ولم يسخط على ظروفه .. لانه واجه المجتمع بتصميم لا يلين ورغبة لا تنهزم .. لهذا كله .. حصل محمد فى الشهر السادس على ما اراده فى الشهر الاول .

والواقع ان المسألة ليس فيها حظ بقدر ما فيها توقيت مناسب .. فقد تكون الوظيفـة المناسـبة موجودة أمس ، وغير موجـودة اليوم .. وقد يضطر حامل الدكتوراه الى العمل كبائع .. ولكنـه فى القاعدة العامة ـ سوف يحصل على عمل مناسب غدا .

وانا لا أريد أن اذكر هنا أمثلة لعشرات المصريين الذين استطاعوا العمل كأساتذة جامعات فى كندا ـ دون أن يمروا بهذه التجربة التى مـر بها منذ دقائق الدكتور محمد فهمى .

لا أريد ان اشير مثلا الى الدكتور فريد سليمان الاستاذ الحالى بكلية زراعة جامعة ساسكاتشوان .. أو الدكتـور عفيفى سليمان الاستاذ بهندسة جامعة ماكماستر .. أوالدكتور محمود علىالمنزلاوى استاذ اللغة الانجليزية فى كولومبيا البريطانية .. أو الدكتور لطفى فام استاذ الادب الفرنسى بجامعة كارلتون .

أو الدكتور حامد محمد نجم استاذ تغـذية الدواجن بجامعـة ماكدونالد .. أو الدكتور فوزى طه استاذ الكيمياء الصـناعيـة بجامعة فلوريدا .. أو الدكتور محمود عدوى الشرقاوى الاستاذ المساعد بطب جامعة مونتريال .. أو زميله الدكتور رشاد الطواشى الاستاذ بكلية الصيدلة فى نفس الجامعة .

لا أريد ان اذكر مثلا الدكتور مصطفى عارف الذى يعمل بالمزارع التجربة الكندية ، أو الدكتور نسيم عبـد الملك بمركز أبحـاث أوتاوا .. أو الدكتور فتحى سالم بمركز أبحـاث الشركات ، أو الدكتور السيد محمد حسنى الباحث فى ليفاكس .

لا أريد اذكر هذه الامثلة ـ وعشرات غيرها ـ للمصريين الذين وجدوا عملهم المناسب فى وقت أقصر بتضحيات أقل . ولكن ما أريد ان أقواله هو أن البحث عن عمل جديد فى مجتمع جديد .. هو أمر يتطلب صبرا .. مع توقع التضحية المؤقتة باشياء كثيرة .. لولا هذا الاستعداد السابقللتضحية ـ لما استطاع الدكتور محمدفهمى أن يكون مثلا كقصة كفاح وتصميم وقوة ارادة . فمادمت لم تتفق مقدما ـ قبل وصولك ـ على العمل المناسب لك فى كنـدا .. فان المهاجر سوف يحتاج الى وقت ـ قصير أو طويل للعثور على هـذا العمل الذى يريده .

اما اذا كنت قد حصلت على عملك المناسب قبل وصولك .. فهذا بالطبع افضل .. مع انه ليس ممكنا فى معظم الاحوال اننا ربما نجد أمثلة كثيرة على ذلك بين المهاجرين المصريين فىكندا .. عندك الدكتور مصطفى الدمرداش مثلا ... انهم يشيرون اليه فى كندا باعتباره من أبرز المصريينالذين يحتلون الآن وظيفةكبرى ـ تعادل وكيل الوزارة أو المدير العام على الاقل ـ فيما يساوى عندنا وزارة الخزانة أو التخطيط .

**ان الدكتور الدمرداش هو واحد من اثنين فى حكومة كندا ، اللذين يحملان الدكتوراه فى الرياضة البحتة فرع علمى صعب ومعقد .. ولهذا لم يتجه اليه أو ينجح فيه عدد كبير .. ولان خبرة** الدمرداش ليست متوافرة بكثرة .. فقد طلبته حكومة كندا من حكومة بريطانيا رسميا منذ خمس سنوات .. انه فى الاصل كان مديرا عاما لشركة سيبا للادوية فى مصر .. ثم اتجه الى سويسرا وبريطانيا منذ تسع سنوات العمل كمستشار فى التخطيط لبعض شركات الادوية . وظل هذا هو عمله فى لندن الى ان احتاجت حكومة كندا الى شخص فى مثل كفاءته .. فارسلت تطلبه رسميا من الحكومة الانجليزية ..

لقد سافر الدمرداش الى كندا منذ أربع سنوات لكى يعمل مديرا للتخطيط المالى بالادارة العامة للحكومة . ادارة تعادل خليطا من وزارتى الخزانة والتخطيط بمصر .. المرتب ٢٠ الف دولار سنويا . العمل هو التنظيم الرياضى بأجهزة الادارة بالحكومة الفيدرالية بكندا .. أجهزة يعمل بها أكثر من ٢٣٠ الف موظف .

ولماذا نذهب الى أوتاوا ؟ نحن الآن فى شيربروج .

ان معنا الان .. فى جلستنا هذه بمنزل الدكتور الهلالى بمدينة شيربروج ــ مصرى آخر ذهب الى كندا منذ سنتين فقط .. انه الدكتور منير فؤاد سعد ــ أستاذ سابق بالمعهد العالى الفنى بشبرا ــ القاهرة .. لقد سافر الدكتور منير الى النرويج أولا لعمل أبحاث فى تخصصه .. التصميم الهندسى .. ثم سافر الى كندا عندما تعاقدت معه جامعة شيربروج على مواصلة نفس الابحاث بها .

ان الدكتور منير له آراؤه الخاصة بالهجرة الى كندا . انه يقول مثلا : « .. انا أرى ان من يحضر الى هنا لابد ان يكون فقط واحد من اثنين : اما شاب متخرج حديثا .. أو رجل كبير فى السن ولكن خبرته معترف بها فى أحد الفروع العلمية المطلوبة .. أما الشخص الاول فيستطيع التكيف مع أى عمل لأن الخبرة لم تتكيف لديه بعد .

والثانى سيجد العمل لان المجتمع يحتاج الى خبرته ..

اما لو كان المهاجر شخصا آخر غير هذين الاثنين ، فيجب أن يتوقع مرور وقت طويل قبل ان يستطيع العمل .. ثم يستطيع العمل فى الميدان الذى يرغبه ..

ولاول مرة يدخل مضيفنا - الدكتور مصطفى الهلالى - طرفا فى المناقشة تعليقا على كلمات الدكتور منير .. ان الهلالى يقول « اننى اتفق معك فعلا فى ان المهاجر لابد ان يكون محترفا خبيرا .. فى فرع تخصصه .. هذا اذا لم يكن شابا .. ولكنه فى جميع الاحوال يستحسن أن يكون صغير السن .. يجيد الفرنسية والانجليزية .. وكفئا ..

ان الكفاءة هنا هى شرط ضرورى .. لانه لو تساوت كفاءته وخبرته مع مواطن كندى فمن الطبيعى جدا انهم سيفضلون المواطن الكندى فى الوظيفة .. وبالاضافة الى ذلك فان الاستعداد لمواجهة المشاكل - خصوصا فى الفترة الاولى - هو أمر هام جدا - ان الفترة الاولى لاى مهاجر جديد هنا هى التى يعتمد عليها مستقبله بعد ذلك .. اذا مرت هذه الفترة بنجاح فان المهاجر سوف يصل غالبا الى مايصبو اليه .. اننى أقصد بالنجاح هنا قدرة المهاجر على تحمل اية مسئولية وقبوله لاى عمل موجود .. اما اذا تكبر على العمل .. أو اعطى الاحساس بانه غير مسئول أو غير كفء .. فان هذا سوف يظل يطارده بعد ذلك فى جميع أعماله التالية .. ان العمل هنا لايعتمد على المؤهلات والخبرة والتدريب والكفاءة فقط .. ولكنه يعتمد أيضا على آراء الجهات السابقة .. التى عمل بها - فى كفاءته وقدرته وحرصه على العمل . ثم قبل هذا كله . يعتمد على شخصيته .. أن التمتع بشخصية ناضجة هو دائما شرط من شروط العمل هنا .. مثلما هى شرط من شروط النجاح فى أى مكان آخر » .

والواقع أن الدكتور الهلالى معه الحق خصوصا بالنسبة للنقطة الاخيرة التى أثارها هى نضج الشخصية .. ان المهاجر هنا ليس مجرد شخص يبيع كفاءته .. ولكنه ايضا يبيع شخصيته لصاحب العمل .. ان هذا يبدو واضحا فى كل مرة .. يختارون فيها شخصا جديدا لشغل وظيفة ما .. ان أهمية الشخصية تتزايد كلما كانت الوظيفة التى يريدها المهاجر هامة بالنسبة للمؤسسة أو الشركة ..

اننى أتذكر الآن مثلا لذلك . صاحبه هو هذا الشخص: عادل فهمى المنياوى . ان عادل هو مجرد شاب فى الثانية والثلاثين من عمره .. مجرد شاب كان يعمل فى القاهرة موظفا بشركة الكرنك للنقل والسياحة .. ثم بمكتب شركة « ايرفرانس » بالقاهرة ..

عندما هاجر عادل الى كندا منذ ست سنوات فقط عمل أولا فى مكتب شركة « سابينا » للطيران بمدينة مونتريال بكندا . ولكن

عادل يريد العمل فى شركة « ايرفرانس » بالذات ايرفرانس · لهذا ظل ينتظر الى أن تخلو عندهم وظيفة تتناسب مع مؤهلاته ( ثانوية عامة فرنسى ) وخبرته تسع سنوات كمندوب مبيعات .

وعندما خلت هذه الوظيفة بمكتب ايرفرانس فى مونتريال تقدم هو ـ مع اخرين لشغلها . لقد سألوه فى الاختبار الشفوى عن موضوعات كثيرة لمدة ساعتين ونصف . لقد كان يتوقع طبعا أن تدور الاسئلة حول عمل مندوب المبيعات .. ولكنه لم يتوقع الجزء الاخر من الاسئلة التى واجهوه بها . اسئلة مثل : تصور انك سوف تجلس فى هذا المكتب .. كيف تصمم الديكور فى داخله ؟ .. اين تضع مكتبك داخل الحجرة .. ولماذا ؟ . هل لديك فكرة عن أحدث الاتجاهات فى الهندسة المعمارية ؟ .. لماذا ترتدى كرافتة حمراء اللون ·· أليس اللون الأزرق أفضل ؟

انها اسئلة عديدة ـ من هذا الطراز ـ ليس الهدف منها ان تعرف لجنة الاختبار رأيه فى اللون الاحمر والازرق حقا .. ولكنها تريد ان تعرف أولا : هل له رأى اصلا .. أم لا ؟ هل لديه معلومات عامة عن الدنيا التى يعيش فيها ؟ هل له ذوق خاص يصمم به حياته ؟

انها أسئلة قد لاتبدو لها أية علاقة بالعمل الذى سيقوم به عادل ـ مندوب مبيعات فى شركة طيران .. لكنها أحد المقاييس الكثيرة اللازمة لقياس شخصيته ومدى انفعاله فى المناقشه ، بعد قياس خبرته الاساسية وتعليمه ·

لهذا حصل عادل على الوظيفة بمرتب ٨٠٠ دولار فى الشهر .. لهذا أيضا ترقى بسرعة فيها . الان هو أحد الممثلين الرئيسيين لمكتب تنشيط مبيعات شركة « ايرفرانس» بمدينة مونتريال . لقد ترقى لانه يحاول أن يعطى العمل حقه ـ اكثر من حقه ـ هذا شرط ضرورى سمعته من كل مهاجر مصرى ناجح فى كندا ·

ان أهمية هذا الشرط تزداد عندما نعلم أن مغريات الاستهتار فى كندا كثيرة ، مثلما مغريات العمل كثيرة أيضا · وعلى رأى طبيب مصرى بارز قابلته فى مدينة اوتاوا العاصمة: « أن من يعطى للعمل حقه هنا لابد ان ينجح .. ان لم يكن اليوم فغدا .. أما من يريد مثلا أن يتعرف على أكبر عدد من الفتيات ليقضى وقته معهن .. من يريد أن يأخذ الحياة بغير جدية ·· فانه سيفشل قطعا · ان العمل هنا .. عمل . واللهو .. لهو . ولايمكن الخلط بين الاثنين .

ثم ان هناك نقطة اخرى : ان الاخلاص فى العمل لايتم مـرة .. والى الابد • مستحيل الحديث في العمـل هو شيء مطلوب منك فى كل دقيقة . كل يوم . لايكفى أن تكون متفوقا فى عملك أمس .. لابد أن تكون متفوقا اليوم وغدا وبعد غد » •

ان صاحب هذه الكلمات هو فى الواقع نموذج على تطبيقها .. انه **الدكتور امير حماية** . طبيب مصرى مهاجر فى مدينـة اوتاوا عاصمة كندا .. ان عمره لايزيد على ٣٦ سنة ــ أعزب ــ وهجرته الى كندا عمرها اربع سنوات . وعلى ذلك فانه الان يملك عيادته الخاصة لامراض النساء فى أوتاوا . عيادة تدر عليه مكسبا شهريا يصل الى ثلاثة آلاف دولار .. الصافى الف دولار. وبالاضافة الى ذلك فانهم اعتمدوا فى جامعة أوتاوا مبلغ عشرين الف دولار بصفة مبدئية لتمويل أبحاثه العلمية فى أمراض النساء •• ان اعتماد مثل هذا المبلغ لطبيب مازال اجنبيا بالنسبة لهم فى كندا ليس مسألة سهلة ولا حتى هى مسألة متكررة . ولكن الكفاءة عندهم لا جنسية لها .. هـذه مصلحتهم أولا .. قبـل أن تكون مصلحة الشخص الكفء نفسه .. مصلحتهم فى جذبه ، وجذب غيره من بعده .

x x x

اننى ربما لم أسمع فى كنـدا عن طبيب آخـر أعطوه نفس التسهيلات ــ واكثر ــ سوى الدكتور مصطفى الهلالى ــ مضيفنا الذى أعود اليه الآن ــ فى جلستنا عنده بمدينة شيربوروج .

ان الدكتور مصطفى مايزال فى الرابعة والثلاثين من عمره . متخرج من طب القـاهرة سنة ١٩٥٩ بتقدير جيـد جدا مع الامتياز فى الجراحة • وبعد أن حصل على الماجستير بدرجة الامتياز فى جراحة المسالك البولية سافر الى كندا منذ خمس سنوات . هناك حصل على الدكتوراه من جامعة ماكجيل .. ليس هذا هو المهم . ولكن المهم هو أن أبحاثه أصبحت تتمتع هناك بوزن دولى كبـير • لقـد منحته جمعية جراحى المسالك البولية الامريكية جائزتها الاولى منذ سنوات عندما قدم لها أحد ابحاثه . بل ان احد مساعدية فاز منذ سنتين بجائزة مماثلة بسبب مساعدة الدكتور مصطفى له .

وقبل ان يحصل مصطفى على الدكتوراه من جامعة ماكجيل .. كانت الجامعة قد قررت أن تعفيه من دفع رسوم التسجيل تقديرا

لجهوده الطبية فى المستشفى الذى كان يعمل به ثم قررت الجامعة بعد حصوله على الدكتوراه أن تقوم هى بطبع الرسالة وتوزيعها على الدوائر الطبية على نفقتها الخاصة تقديرا لامتياز الرسالة وتفوقها ..

والدكتور مصطفى يذهب الى عمله الان فى الثامنة صباحا ويعود فى الثامنة مساء .. أحيانا تفاجئه عمليات جراحية فيعود بعد منتصف الليل .

**وفى مرة سألته : الا تستطيع أن تعمل اقل ؟**

ـ استطيع ..

**ـ اذن لماذا تجهد نفسك بهذا الشكل ؟**

ـ لان الطب عندى هواية وليس وظيفة . ولان امامى نتائج لابد ان احققها . ولاننى أكون سعيدا عندما أعطى صورة عملية لدقة الطبيب المصرى ومهارته .

**ـ هل أفادك التعليم الطبى الذى تلقيته فى كلية طب القاهرة .. هل أفادك فى كندا ؟**

ـ أفادنى جدا .. فى الواقع اننى مازلت اشعر بالفضل فى تقدمى الى الاساتذة الذين تعلمت على أيديهم فى مصر : **محمد بدر .. محمد صفوت .. رياض فوزى** .. أن تعليمنا الطبى فى مصر مازال من الطراز الاول .

**ـ اذن .. ماهى : المشكلة ؟**

ـ المشكلة هى أن هذا التقدم يتم بفضل أفراد ، وليس بفضل أسلوب فى التعليم . فما زال الطب يدرس عندنا كما كان يدرس منذ ثلاثين سنة ..

× × ×

ان الدكتور مصطفى هو الان استاذ مساعد بجامعة شيربروج ، فضلا عن عمله طبيبا بالمستشفى الحديث التابع للجامعة فى مدينة شيربروج . مستشفى افتتح منذ سنة واحدة .. بعد ان تكلف

سبعين مليون دولار ، انه الآن أحدث مستشفى فى أمريكا الشمالية كلهـــا ..

ان الدكتور مصطفى يقدم الآن ابحاثه فيهذا المستشفى نفسه. ان لديه منحا من ثلاث جهات مختلفة لتمويل هذه الابحاث . ثلاث منح تصل فى مجموعها الى اربعين ألف دولار . انه لم يحصل على هذه المنح الا بعـد أن اكتشف طريقة جديدة لتشخيص سرطان البروستاتا فى أول مراحله . هذا هو الشيء الذى حصل بسببه على الدكتوراه فى جامعة ماكجيل فى مونتريال . فالدراسة فى جامعة ماكجيل بالذات أصعب من غيرها .. لهذا أصبحت واحـــدة من أحسن الجامعات فى أمريكا الشمالية .

ولكن الدكتور منير مسعود ــ الموجود معنا الان فى السهرة ــ يتدخل فى المناقشة قائلا : ان الدراسة هنا ليست صعبة . انهـا فقط .. مجرد دراسة ؛ انهم هنا يهتمون بالمستوى أكثـــر من اهتمامهم بالعدد . لهذا يتكلف الطـالب مصروفات ضخمة خـلال سنوات دراسته الجامعية . ان متوسط تكاليف الطالب الواحد فى الجامعة هى ثلاثون ألف دولار . الطالب يدفع مايعـادل الثلث .. والباقى تتحمله الجامعة .. ان هذا المبلغ الضخم يذهب أولا الى تجهيز الكلية بأحدث الاجهزة العلمية ، ويذهب ثانيا الى تمويل النشاط العلمى للاساتذة ، ان نسبة عدد الاساتذة الى عدد الطلبة هنـا تصل الى ثلاثة لواحد . نعم ثلاثة أساتذة لكل طالب واحد . ان دفعة البكالوريوس التى ستتخرج هذا العام من كلية الطب التى يعمل بها الدكتور الهلالى هى مثلا لاتزيد على ٢٤ طالبا فقط ٢٤ طالبا يخدمهم ، يعلمهم ، مائة وعشرون أستاذا ! .. وبالاضافة الى ذلك فان الجامعة هنا تحرص على الا تتخلف عن عصرها ، بل تحرص على أن تسبق عصرها . ان كل طالب جامعى هنا مثلا لا بد أن يدرس طريقة عمل واستخدام العقل الالكترونى مثلا فى فــرع تخصصه ، ابتداء من السنة الثانية . »

× × ×

والواقع ان استخدام العقل الالكترونى فى الجامعة ــ كما أشار منير مسعود حالا ــ لم يبـــدأ الا مع استخدامه فى النشـــاط الاقتصادى بالمجتمع كله فى كنـدا ، وهذه احدى النقـــاط التى ينتبه اليها المهاجر المصرى عند وصوله الى هناك . ان برنامجا واحدا

يحضره المصرى فى القاهرة لدراسة العقل الالكترونى قد يؤدى الى زيادة مرتبه عند هجرته الى كندا بنسبة الربع على الاقل . ان هذا الفارق الضخم يترتب على التنبه مقدما لمثل هذه المسألة الصغيرة .

وهى ليست هذه المسألة فقط ، فى الواقع ان هناك مسائل أخرى كثيرة ، وصغيرة أيضا ، تستطيع أن تحقق نتـائج كبيرة للمصرى المهاجر الى كندا . نتائج تضاعف من قدرته على التكيف مع الحياة الجديدة والمجتمع الجديد هناك .

ما هذه المسائل الصغيرة .. ؟ ما هى العقبات التى تحد من قدرة بعض المهـاجرين المصريين على التكيف مع حياتهم الجديدة بعد الهجرة ؟

اننا سنتناول هذه العقبات بالتفصيل فى الفصل التـالى . ولكن قبل أن نتناولها .. دعنا نبدأها من النقطة التى لا يتنبه اليها أحد .

دعنا نبدأها من : العلاقة الزوجية !

الفصل السادس :

# عروس .. لكل عشرة رجال !



واقعة صغيرة حدثت فى كندا منذ شهر ولم ينتبه اليها احد : ان الجالية المصرية سجلت أول حالة طلاق بين زوجين مهاجرين من مصر ! طلاق تم فى مونتريال ـ بعد ان فشلت كل محاولة ممكنة لاعادة التفاهم بين الزوجين الغاضبين المصممين على الطلاق .

ان الزوج يعمل مدرسا . أما الزوجة فتعمل سكرتيرة فى احدى الشركات الكندية بمونتريال . وقبل أن تتهدد العلاقة بين الزوجين المصريين بالطلاق .. كانت المشاكل قد بدأت تتراكم ، مشاكل ناشئة كلها من محاولة التكيف مع الاوضاع الجديدة .. والاخلاقيات الجديدة التى انتقلا اليها فى كندا ..

ان الزوج يصل الى منزله كل مساء ليجد ان زوجته قد جاءت فى سيارة رجل غريب ؟.

**ـ .. من هذا الرجل ؟**
**وترد الزوجة : هذا زميل لى فى الشركة .**
**ـ لماذا أوصلك بسيارته حتى هنا ؟**
**ـ لماذا ؟ .. انه يسكن فى شارع مجاور .. وانت تعلم صعوبة المواصلات العامة فى هذه الساعة المزدحمة .. وتعلم اننى لا أستطيع أن أستعمل تاكسيا كل يوم من الشركة حتى المنزل .. حتى هنا .**
**ـ أنا لا أسمح لك بركوب السيارة مع رجل غريب .. هذه آخر مرة ترتكبين فيها هذا الخطأ ..**
وترد الزوجة باستغراب شديد : « ان ما أفعله ليس خطأ .. وبالاضافه الى ذلك فان هذا الرجل ليس غريبا .. انه زميل لى فى العمل . وأنا لا أجد مطلقا أى معنى سيىء فى أن يوصلنى زميلى الى هنا .. مادام هذا طريقه الاصلى . وما دام هو الأخر متزوج » .

ويرد الزوج المصرى الغاضب .. متزوج أو غير متزوج .. لا يهم .. المهم . لن أسمح لك بالركوب معه مرة أخرى مفهوم ؟
**ـ حاضر ؟ ...**
ولكن الواقعة تكررت فى اليوم الثانى ، والثالث ، والرابع و . فى كل مرة تتجدد نفس المناقشة .. وفى كل مرة تنتهى بنفس الاحتجاج من الزوج المصرى على زوجته :

**.. « ألم أقل لك أمس إلا تأتى فى سيارة هذا الرجل مرة أخرى ؟!**
**وترد الزوجة** : نعم . ولكن شعرت بالحرج الشديد وهو يعرض على اليوم توصيلى الى المنزل . لقد بدا عرضه عاديا جدا ، والمسألة كلها عادية جدا وتحدث كثيرا بين الزملاء عندنا .. وتصور انت ماذا يمكن أن يحدث لو قلت له : آسفة .. لن اذهب فى سيارتك .. وسأفضل عليها ركوب المترو المزدحم ..! ولو قلت له السبب الحقيقى .. وهو انك باعتبارك زوجى ـ لا تريد منى الا أركب فى سيارته .. فان الامر سوف يبدو غريبا جدا .. انه امر غريب لانه ينظر الى كزميلة ، وليس كامرأة ! نحن هنا فى كندا .. ولسنا فى مصر » !.

**ولكن الزوج لا يقتنع بحكاية كندا ومصر هذه ، ان هذا العذر من زوجته غير مقبول . لقد تربى فى مصر على أن المرأة هى أولا امرأة ، وليست زميلة . لقد اعتاد على ان الرجل عندما يعرض**

**توصيل زميلته فى العمل الى مكان ما .. فلا بد أن يهدف الى شيء أكثر من مجرد التوصيل .. لقد اعتاد على ان همسات الناس تبدأ فى التردد منطقة دائما من مثل هذه الوقائع الصغيرة .. ان الناس هنا لا يهمسون بشيء .. ولكن هذا لا يهم . ان المهم فقط هو ان زوجته تخالف أوامره ! المهم فقط هو ان زوجته لا تطيعه . معنى ذلك أن الامر لابد أن يكون فيه .. « شيء ما » . نعم هناك شيء ما بين زوجته وبين هذا الرجل الغريب .. من المؤكد ان حكاية التوصيل هذه ، والزمالة هذه هى مجرد عذر لشيء ما تخفيه زوجته !**

و .. عندما يشك الزوج دائما فى وجود **شيء ما** .. فان كل شيء فى الحياة الزوجية يتحول دائما الى ظل لهذا **الـ « شيء ما »** .. من الان سوف تصبح الدقائق الخمس التى تتاخرها زوجته فى الخارج هى ساعة كاملة .. من الان سوف يصبح الطعام الذى تعده باردا سيئا .. من الان سوف يصبح كل شيء خطأ فى المنزل هو بسبب خطأ ما .. ارتكبته زوجته .. اذا تعطل التليفزيون ... فلان زوجته أهملت فى تشغيله .. اذا تعطل التليفون .. فلان زوجته تتحدث فيه كثيرا .. اذا ضاع زرار واحد من أحد القمصان .. فلان زوجته لا تقوم بواجبها فى المنزل . اذا نزلت زوجته لشراء شيء ما .. فانها قطعا ــ قطعا ــ ذاهبة لارتكاب خطأ ما .. !

لقد تسممت العلاقة بين الزوجين عندما دخل فيها **«شيء ما»**. من الان سوف يتحول كل خلاف بسيط بينهما الى .. خناقة .. كل ذرة تراب فى المنزل سوف تصبح .. مشكلة .. كل صباح جديد سوف يصبح بداية جديدة ليوم من المتاعب .. ان الزوج يعتقد ان زوجته لم تعد ــ منذ الان تقول الحق . والزوجة تعتقد أن شك زوجها فى تصرفاتها هو اهانة لها ولسلوكها .. اذن .. اذن .. اذن .. لا حل سوى الانفصال .. لا حل سوى الطلاق !.

× × ×

هكذا تم الطلاق الاول فى مدينة مونتريال . أول طلاق يقع بين زوجين من الجالية المصرية هناك . طلاق تم أولا بين هذين الزوجين ، ثم تبعه طلاق ثان بين زوجين مصريين . هذه المرة كان الزوج والزوجة مدرسين .

و .. حتى الآن لم يقع الطلاق داخل الجالية المصرية سوى فى هاتين الحالتين فقط : فى حالتين سمعتهما من الأب روفائيل .. ممثل الكنيسة المصرية فى كندا والولايات المتحدة .

ولكن الواقع أن هناك مشاكل أخرى خلقها التكيف مع الاخلاقيات الجديدة والحياة الجديدة .. بكندا ، انها مشاكل لم تصل الى درجة الطلاق . ولكنها مشاكل على أية حال .

ان الموظف الذى كان يذهب الى مكتبه فى مصر من الثامنة صباحا حتى الثانية ظهرا ، يذهب هنا من الثامنة والنصف صباحا الى الرابعة والنصف عصرا ، أو من التاسعة صباحا الى الخامسة مساء .. والموظف الذى كان يجلس فى مكتبه بمصر ست ساعات ويعمل ساعة واحدة .. يأتى هنا ليجد نفسه مرغما على البقاء فى المكتب ثمانى ساعات .. والعمل ثمانى ساعات .. لا تزويغ لا رغى فى التليفون .. لا زيارات من الاصدقاء . لا اعذار .. لهذا يعود الى منزله فى المساء متعبا ، منهكا ، متوتر الاعصاب .. خصوصا فى الشهور الاولى لعمله .. قبل أن يتكيف مع هذه العادات الجديدة .

وعندما يكون هذا المصرى المهاجر زوجا .. فانه لا يستطيع أن ينسى انه اعتاد فى مصر على زوجة تنتظره فى المنزل حتى عودته من العمل . تفتح له الباب ، تخلع له الجاكتة ، تقدم له الطعام الساخن انه لم يتكيف بعد ، خصوصا فى اسابيعه الاولى — على زوجة تعود من العمل متعبة مثقلة . لم يتعود على أن يمد يده الى الثلاجة ليتناول طعاما باردا .

ان عليه — على هذا الزوج المصرى المهاجر — أن يعتاد هنا على حقائق جديدة . يعتاد أولا على أن زوجته لا بد أن تعمل واذا لم تعمل فانها سوف تجد نفسها وحيدة .. غريبة .. وسط مجتمع كل من فيه يعمل ..

واذا عملت الزوجة .. فمعنى ذلك انها قد بدات تتقاسم مع زوجها مصروفات البيت . وحينما يحدث ذلك فلا بد أن تترتب عليه — أتوماتيكيا — نتائج أخرى كثيرة . فمن الان أصبحت الزوجة تتوقع من زوجها أن يعاملها كشخصية مستقلة محترمة يؤخذ رايها فى معظم المسائل الاساسية — من الان أصبحت الزوجة تريد أن تشترك فى اختيار أدوات المطبخ ولون السجادة وحجم

الثلاجة ، وشكل السرير ومكان الراديو وطراز البوتاجاز وماركة السيارة وموقع الشقة .

ثم .. عندما يكون هذا الزوج المصرى المهاجر أبا .. عندما يكون لديه أولاد وبنات .. فان حجم الوقائع الجديدة التى لا بد أن يتكيف معها .. يكبر ويتضاعف . انه لن يصبح هنا المصدر الوحيد لتربية أولاده وبناته . انه سيكتشف ان الاطفال والاولاد هنا يتعلمون من التليفزيون وأفلام السينما اكثر ما يتعلمون من آبائهم .. انه سيكتشف كثيراً من الموضوعات المحرمة فى مصر قد أصبحت هنا شيئًا مباحا .. تجرى المناقشة فيه علنا .. خذ الجنس مثلا .. ان الاطفال يقرأون عنه ، يشاهدونه يتعلمونه ، يناقشونه . بشكل لم يكن هو شخصيا يجرؤ عليه فى أيام شبابه .. أو بيت أسرته .. ان ما كان عيبا خطيرا فى مجتمعه أصبح هنا شيئا ممكنا أن يقع من أولاده .. شيئا ممكنا ومتوقعا وجائزا أيضا

ان هذا المجتمع الجديد على الرجل المصرى المهاجر .. وهذه الاخلاقيات الجديدة التى يجب أن يتكيف عليها .. تمتد أيضا لكى تؤثر على المراة المصرية المهاجرة سواء كانت فتاة أو زوجة أو أما .

ان المراة المصرية سوف تأتى الى هنا ــ الى كندا ــ لتجد انها وحدها فى مجتمع غريب انها لن تجد هنا جارات يتكلمن معها ساعة على باب الشقة ، ولا صديقة تستعير منها مصفاة أو حتى ابرة خياطة . ولا زميلة ترغى معها ساعة فى التليفون . لن تجد زائرة تتبادل معها آخر الاشاعات عن فلانة وعلانة . انها لن تجد شارع سليمان باشا هنا تتمخطر فيها ، ولا نادى جزيرة تستعرض فيه ، ولا رجلا يبحلق فيها ولا غريبا يعاكسها ، ولا خياطة تقضى عندها يوما بأكمله لتفصيل فستان . فى الواقع ان تفصيل الفستان هنا يتكلف خمسة وعشرين دولارا على الاقل .. الجاهز أرخص !

**اقول** : ان المراة المصرية التى شاهدتها هنا هى التى تتعرض فى اسابيعها الاولى ــ اكثر من الرجل ــ لحالة عميقة من الحنين الى الوطن ، والاسرة والصديقات ، والزميلات .. انها ــ حتى ــ لاتستطيع فى اسابيعها الاولى الاعتياد على انواع الطعام وطريقة اعداده هنا . لقد اعتادت فى مصر على ان اعداد الطعام يستغرق ثلاث ساعات ، وطبخه يستغرق ساعتين ، وتسخينه يستغرق ساعة . ولكنها هنا فى كندا ــ يجب أن تعتاد على الخضراوات

المسلوقة ، وتعتاد على الزبد بدلا من السمن ، وتعتاد على المعلبات الجاهزة بدلا من تقشير البطاطس ، وتخريط البامية ، وتنظيف الدجاجة .. ان كل شيء هنا جاهز . كل شيء معد مقدما .. ان الوجبة التى كانت المرأة تعدها فى مصر فى ست ساعات سوف تعدها هنا فى ست دقائق وانتهى الامر !..

× × ×

ولاينتهى الامر عند هذا الحد بالنسبة للمصريين المهاجرين عندما يتعرضون لتجربة التكيف على هذا المجتمع الجديد الذى هاجر اليه .. فى الواقع انهناك مشاكل اهم تتعرض لها الجاليات المصرية هنا ـ فى كندا .

فلو فحصنا انواع المشاكل التى يتعرض لها المهاجر المصرى فى هذه التجربة الجديدة عليه ـ تجربة الهجرة ـ فسوف نكتشف أن هذه المشاكل يمكن وضعها تحت ثلاثة تقسيمات عريضة .

**فهناك أولا** . مشاكل يواجهها المصريون المهاجرون فى مواجهة هذا المجتمع الجديد الذى هاجروا اليه .

**وهناك ثانيا** : مشاكل يواجهها المصريون المهاجرون فى مواجهة مستقبلهم .

**وثالثا** : مشاكل يواجهها المصريون المهاجرون بالنسبة لانفسهم .

× × ×

ولو أخذنا النوع الاول من المشاكل فسنعرف أنه مشكلة تكيفهم الاخلاقى مع هذا المجتمع الجديد . فالرجل هنا يجب أن ينظر الى المرأة بمنطق الزميل ، الصديق ، وليس بمنطق الصائد الذى يطارد فريسة امامه .

والرجل هنا يجب أن ينظر الى رئيسه فى العمل على أنه صاحب العمل ، وليس مجرد رئيس للعمل . انه ـ فى حالة وقوع خطأ كبير منك ـ لايعاقبك ـ انه ببساطة يفصلك !

والصديق هنا يجب أن ينظر الى صديقه على انه مجرد شخص له : صباح الخير وانتهى الامر : لا عواطف لا علاقات شخصية .. لا شلل . ان المصرى اعتاد فى بلده على ان وجود شلة من الاصدقاء هو شكل من اشكال الاحساس بالامن الاجتماعى لا شلل هنا .

والمصرى اعتاد على أن الصديق هو الشخص الذى يلجأ اليه وقت الشدة . يقترض منه مثلا . لا قروض شخصية هنا .

والمصرى اعتاد على أن الزميل والصديق والقريب هم أشخاص يجاملونه فى كل مناسبة . لا مجاملات هنا . فى الواقع ان اى انسان يذهب الى المستشفى مثلا لاجراء عملية جراحية لا يتلقى سوى بطاقة تمنيات بالشفاء تصله من أصدقائه بالبريد .. بالكثير .. باقة ورد .. لا زيارات ، لاسلامات ، لاتليفونات .. وحتى الشخص الكندى عندما يدخل مستشفى فان زوجته لاتجلس حتى تجرى العملية . انها تدق من عملها تليفونا للطبيب لتطمئن منه : هل نجحت العملية ؟! بعدها فقط ــ بعد ان تخرج من عملها ــ ربما تذهب الى زوجها لتزوره فى المستشفى .

والمصرى الذى اعتاد فى مصر على ان « الاولاد زينة الحياة » .. سوف يكتشف هنا ان الاولاد هم « عبء الحياة » .. انه لن يجد هنا ابا له سبعة أولاد ، أو ستة أو حتى اربعة .. بالكثير اثنين، أو ثلاثة . بل أن المصرى الذى عاش فى بلده يسمع شعارات تحديد النسل باعتبارها مجرد شعارات ، سوف يكتشف ان تحديد النسل هنا ليس شعارا وانما ضرورة .. ان انجاب طفل جديد هنا معناه ان الزوجة يجب أن تتوقف عن العمل . وتوقف الزوجة عن العمل معناه اهتزاز ضخم يصيب دخل الزوجين .. وحتى اذا تحمل الزوجان هذا الاهتزاز فان مصروفات هذا الطفل الجديد لابد من حسابها مقدما .. وعلى راى احد المصريين المهاجرين بمونتريال واسمه عادل فهمى :

« انا فى الحقيقة متزوج منذ ست سنوات .. زوجتى كمصرية طبعا .. انها تعمل موظفه فى رويال بنك بمونتريال .. موظفة تحصل على مرتب ٥٥٠ دولارا فى الشهر ومع ذلك فاننا بعد ست سنوات من الزواج لم ننجب طفلا واحدا .. اننا نحن الذين نريد ذلك . فاننا لو انجبنا فيجب أن تخسر زوجتى الـ ٥٥٠ دولارا التى تحصل عليها كل شهر .. اننا سوف ننجب طبعا أطفالا فى المستقبل ، ولكن .. ليس قبل ان نبنى الاساس اللازم لتربية طفل جديد فى مستوى معقول من المعيشة » .

وحتى اذا لم يكن المصرى المهاجر راغبا فى انجاب أطفال جدد ، وحتى اذا لم يكن متزوجا أصلا ، فان مشكلة اخرى سوف تواجهه : **مشكلة البحث عن زوجة ..**

**ان بعضهم يتزوج طبعا بفتاة كندية ، أو امريكية ، أو اية فتاة اخرى .. ولكن معظمهم يفضل ـ فى الواقع الفتاة المصرية . هنا نجد اكبر مشكلة اجتماعية تواجهها الجاليات المصرية .. فى كندا .. وفى امريكا ايضا .. فالمصريون الشـبان ـ غـير المتزوجين ـ الموجودين هنا فى كندا ـ تزيد نسبتهم عن المصريات الشابات غير المتزوجات بحيث تصل الى عشرة شبان مقابل كل فتاة واحدة !**

نعم .. عروس واحدة مقابل كل عشرة رجال . هذه حقيقة . هذه فى الواقع مشكلة .

فلأن الذين يهاجرون هم غالبـا شـبان ! ولان هؤلاء الشبان يفضلون البقاء سنة أو سنتين أو خمسا قبل الاستعداد للزواج .. فانهم حينما يسـتديرون حولهم للبحث عن عروس مصرية يجدون أن عدد الفتيات اللاتى فى سن الزواج هم قليلات نادرات. ان العائلات المصرية موجودة طبعا ، والفتيـات فى هذه العائلات موجودات طبعا ، ولكنهن غالبا صغيرات السن .. صغيرات جدا على الزواج .

واقد قال لى **الاب روفائيل** ممثل الكنيسة المصرية فى كنـدا وامريكا . **« اننى فى كل مكان اذهب اليـه .. فى كل مدينـة اذهب اليها بحكم عملى .. فى مونتريال أو تورنتو او اوتاوا .. وحتى فى نيـويورك أو بوسطن .. أجد دائما نفس السـؤال : الا تعرف لنا عروسا مصرية مناسبة ؟.. انها فى الواقع مشكلة كبيرة يواجهها الشباب المصرى المهاجر هنا فى كندا وامريكا على السـواء » ..**

ان هذه المشكلة ـ مشكلة البحث عن عروس ـ يواجهها الاب روفائيل منذ بدأ عمله فى كندا ، أى منذ اكثر من ثلاث سنوات .

ولقد واجهت انا نفس هذه المشكلة مرة منذ شهور قليلة . . كانت المشكلة هى مشكلة صديق مصرى يعمـل معيدا فى احدى الجامعات بأمريكا . انه معيد .. ويعـد رسـالة الدكتوراه لكى يقدمها الى الجامعة الامريكية التى يعمل بها .

**وفوجئت ذات يوم بهذا الصديق فى مصر وهو يقول لى : لقد جئت فى اجازة لمدة اسبوعين .. انها اجازة مفاجئـة اننى اريد الزواج !** نعم انا الان فى سن مناسبة (٣٥) ودخلى مناسب ( ٨٠٠ دولار شهريا ) .. وأرجو أن أتمكن فى اختيار عروس لى خلال هذين الاسبوعين اللذين سأقضيهما فى مصر. أسبوعين لا عمل لى خلالهما سوى : البحث عن عروس !

**وأبديت للصديق شكى الشديد فى امكانية عثوره على عروس مناسبة خلال اسبوعين ان المسالة هى بحث عن زوجة .. وليست بحثا عن زوج من الاحذية !! وقلت له من الافضل ان تلجا الى اسرتك لعلها تجد حلا لهذه المشكلة .**

**ولكن الصديق المصرى لم يكن يثق فى رأى اسرته . انهم ــ بالكثير ــ سوف يختارون له عروسا من البيت المجاور فى قريته بينما هو يريد عروســا متعلمة ، مثقفة ، تستطيع الحيــاة معــه فى امريــكا ..**

وبالطبع ظل صديقى هذا يؤجل عودته الى أمريكا أسبوعا ثالثا ورابعا ، وخامسا ، وعاشرا .. الى أن عاد من جديد الى أمريكا بعــد شهرين ونصف شهر دون العثور على العروس المطلوبة .

انها بالحق مشكلة .. وهى مشكلة يواجهها كثير من الشــبان المصريين المهاجرين فى أمريكا وكندا .

× × ×

ومع صعوبة هذه المشكلة ، فانها فى الواقع ليست أهم مشكلة يواجهها المصريون المهاجرون فى كندا . انها ــ حتى ــ ليست أخطر مشكلة ، ولا هى أكثر المشاكل الحاحا ..

ان أخطر مشكلة هى ــ فى الحقيقة ــ قدرة المصرى المهاجر على مواجهة مستقبله فى هذا البلد الجديد الذى يهاجر اليه .. كندا . فى حالته هذه .

**ان المصرى عندما يهاجر يجب أن يفرق بين شيئين مختلفين :**

**أولا : البحث عن العمل ..**

**ثانيا : البحث عن العمل .. المناسب .**

**هناك فارق كبير بين الاثنين . فالعثور على عمل ــ أى عمل ــ ليس هو المشكلة . ولكن المشكلة هى العثور على العمل المناسب . ان الخطوة الاولى قد تستغرق اسبوعا أو شهرا . ولكن الخطوة الثانية قد تستغرق سنة .. أو حتى خمس سنوات ..**

ان عدم الاستعداد النفسى السابق لمواجهة هذه المشكلة .. قد كان سببا ــ مع اسباب اخرى طبعا ــ فى حالات الفشل القليلة التى واجهها مصريون هاجروا الى كندا ، وسمعت بقصصهم هنا ، فى مونتريال .

مثلا .. مهندس معمارى ، كان يعمل ، مدير ادارة احــدى المؤســسات العامة الكبرى فى القاهرة .. عندما هاجر هذا الرجل الى كندا حاول أن يعمل مهندسا معماريا . ففشل . لقد فوجىء

بانهم لايعترفون بشهادته .. وان كل ماهو ممكن بالنسبة له ان يعمل كرسام معمارى .. وليس كمهندس معمارى .

ولانه اعتاد فى مصر على أن يكون مديرا ، وليس حتى مجرد مهندس .. فلقد كانت هذه الحقيقة جديدة بالنسبة له .. حقيقة مؤلمة . انه الان لن يجد ساعيا يقف له بسبب وبغير سبب، لن يجد مرءوسا ينحنى له باعتباره « سعادة البيه » انه هو نفسه يجب ان يبدأ حياته كمرءوس جديد .

لقد ظل هذا المصرى المهاجر فى اضطراب نفسى شديد لمدة اربعة اشهر . اضطراب لم يستطيع بعده أن يقنع نفسه بأن العمل المناسب لخبرته سوف يتأخر قليلا .. وان عليه أولا أن يحصل على عمل .. أى عمل .. كخطوة اولى .. وحينما لم يستطع التغلب على هذه المشكلة النفسية .. جمع حقائبة وعاد الى مصر من جديد .. عاد الى فنجال القهوة والساعى وسعادة البيه دخل .. وسعادة البيه خرج !

واذا كان هذا النموذج المصرى لم يستطع التفرقة بين العمل .. والعمل المناسب ، فان مصريين آخرين كثيرين قد ارغموا انفسهم على الاقتناع بهذه التفرقة .

**خذ مثلا هذا النموذج :** المهندس سعد فهمى حنا . انه مهندس مصرى ، متخرج من هندسة القاهرة منذ ١٨ سنة . مهندس معمارى . مهندس كان آخر عمل له فى مصر هو المتابعة والتخطيط بالمؤسسة المصرية العامة للاسكان والتعمير .

وعندما هاجر سعد الى كندا منذ ثلاث سنوات اكتشف حقائق كثيرة لم يكن يعلمها من قبل .. اكتشف مثلا انه لكى يعمل مهندسا فلابد أن يحصل على عضوية نقابة المهندسين المعماريين . ونقابة المهندسين .. مثل اى نقابة اخرى فى كندا — تضع شروطا قاسية لمنح العضوية .. لان من مصلحة اعضاء النقابة ان يقللوا على قدر الامكان من دخول اعضاء جدد فى المهنة ، ليس أمامه الآن سوى واحد من حلين .

**الحل الاول تنفيذ شروط النقابة :** ثلاث سنوات خبرة فى الاعمال المعمارية . بكندا ، بالاضافة الى النجاح فى اختبار — خاص يعقدونه فى المحاسبة وادارة الاعمال لتثمين الاراضى . وهذا كله يأتى بالطبع بعد الحصول على بكالوريوس فى الهندسة المعمارية ، من احدى الجامعات التى تعترف بها النقابة ، وليس فيها بالطبع جامعة مصرية ..

**والحل الثانى** : هو العمل مؤقتا كرسام معمارى .. وليس كمهندس معمارى حل مؤقت الى ان يستطيع سعد ان يحل مشكلته الرئيسية فى العمل كمهندس معمارى .

و .. بالطبع قبل سعد الحل الثانى . حل عملى . لهذا عمل كرسام معمارى ( بـ ٦٠٠ دولار مرتبا فى الشهر ) . لمدة ستة اشهر ولان المكاتب المعمارية هنا — فى كندا ... تقوم وتنتهى على اساس مهمة محددة ، فان المكتب صفى بعد ستة أشهر حينما انتهى العمل المسند اليه . بعدها عمل سعد بمكتب آخر لمدة سنة هذه المرة .. بعدها عمل فى مكتب ثالث ، بـ ٨٠٠ دولار كمرتب شهرى هذه المرة . وهو العمل الذى يقوم به حاليا .

اما لو كان سعد قد حصل على عضوية نقابة المهندسين المعماريين فان الوضع كان سيختلف معه جدا . فمرتب المهندس المبتدىء هنا — فى كندا — يبدأ بثمانمائة دولار فى الشهر .. بالاضافة الى انه يعتبر شريكا فى المكتب الذى يعمل به . شريكا بغير مساهمة فى رأس المال .. وهذا معناه أن دخل المهندس المبتدىء لا يقل عن ١٠٠٠ دولار فى الشهر .

ولكن .. لان سعد وجد مشكلة لم يتنبأ بها عند طلب عضوية نقابة المهندسين .. فانه لم يقف عاجزا .. ولم يشعر بالفشل . أو يحس بالهزيمة .. لقد استطاع أن يفرق بين ضرورة البحث عن اى عمل فى البداية .. الى ان يتمكن من العثور على العمل المناسب فى النهاية ..

واذا كان سعد قد اختار العمل كرسام معمارى بدلا من مهندس معمارى ، فان مهندسا آخر — مهندس كهرباء هذه المرة — قد اتجه الى التدريس .. انه الآن يعمل مدرسا للطبيعة باحدى المدارس الثانوية فى مدينة اوتاوا عاصمة كندا .. بمرتب سنوى يبلغ ١١ الف دولار .

والواقع انك ستجد فى كندا أن حوالى نصف المصريين المهاجرين يعملون بالبداية اعمالا غير التى تخصصوا فيها فى مصر أو غير التى توقعوها فى كندا .. سوف تجد مثلا خريج حقوق أو تجارة يعمل بائعا فى محل بقالة او طبيبا يعمل تحت التمرين أو مهندسا يعمل مدرسا ..

× × ×

**ان احد الاسباب** الرئيسية فى ذلك هو — كما اشرت من قبل —

تحكم النقابات المهنية هنا فى كل مهنة فكل الناس هنا لهم نقابات، حتى موظفو الحكومة لهم نقابات فرعية ثم نقابة عامة . ولان النقابة هى بطبيعتها تنظيم لحماية مصالح الاعضاء الموجودين فعلا ـ فانها غالبا تضع شروطا قاسية أمام الاعضاء الجدد . شروطا هدفها أولا المحافظة على المهنة نفسها ، ثم بعد ذلك تخفيض فرص انضمام اعضاء جدد الى أقل قدر ممكن .

**والسبب الثانى** لمعظم حالات الفشل هنا هو عدم اهتمام المهاجر بكتابته الملخص المطلوب منه عن خبرته .. عندما يقدمه الى الشركة أو المؤسسة التى يطلب العمل بها . مهندس معمارى مثلا كتب فى ملخص خبرته انه كان فى مصر يشرف على بناء العمارات والمبانى السكنية . انه لم يكن يعلم أن المهندس فى كندا مهمته أن . . يهندس . ان الوقوف على ايدى عمال البناء للاشراف على اقامة عمارة هو عمل يسندونه فى كندا الى رجل غير مؤهل مطلقا .

اما المهندس المعمارى فان مهنته أولا أن يضع الرسوم المطلوبة منه .. ثم يمر على المبنى مرة واحدة ـ مجرد مرور . لهذا عندما كتب المهندس المصرى أن خبرته التطبيقية بعد البكالوريوس هى الاشراف شخصيا على بناء كذا مبنى فى القاهرة .. رفضوه .

**والواقع أن قصص الفشل ـ أو عدم التكيف ـ بين المصريين المهاجرين فى كندا تمثل أقلية ضمن أغلبية عامة من الناجحين ومع ان الفاشلين أقلية الا أنه يظل من المفيد أن نعرف بالضبط أسباب فشلهم .**

فبعض الذين يهاجرون يعتبرون أن الهجرة بديلا عن السياحة.. « .. حنخسر ايه يعنى .. أهو الواحد يتفرج الدنيا عايشة ازاى » .. ان من يخرج من مطار القاهرة أو ميناء الاسكندرية بهذا الاحساس سيفشل قطعا. انه سائح أكثر منه مهاجرا .أن تصرفاته التالية كلها لن تكون أبدا تصرفات مهاجر .

**وبعض الذين يهاجرون يعتبرون ان عدم الحصول على وظيفة حكومية مماثلة لوظيفته فى مصر .. هو الفشل . ولست أدرى ما هو السحر الذى يوجد فى الوظيفة الحكومية بحيث يظل المصرى مشدودا اليها هكذا حتى فى آخر الدنيا . ان الوظيفة الحكومية هى وظيفة المرتب المضمون ، ولكنها أيضا وظيفة الدخل الثابت . انها وظيفة آمنة .. ولكنها ليست عملا مثيرا للطموح .**

ان عدد أفراد الجالية المصرية فى مدينة تورنتو بكندا مثلا يتراوح تقديره بين ٦ و ٨ آلاف . ومع ذلك فان شخصا طبيبا

واحدا فقط ـ الدكتور سعيد طلعت ـ هو الذى فتح عيادة خاصة ، وشخصا واحدا فقط هو الذى أقام ورشة لتصليح السيارات ، وشخصا واحدا فقط هو الذى أقام مصنعا للكريستال وشخصا واحدا فقط هو الذى فتح محطة بنزين . الباقون أغلبيتهم الكبرى موظفون . وحتى عندما تسمع عن فنان مصرى اسمه منير حسنى .. استطاع أن يفوز بتصميم جميع الديكورات لمبنى برلمان أونتاريو الجديد ـ فانك تسمع أيضا أنه حقق هذا العمل من خلال وظيفته كرئيس لقسم الديكور فى حكومة مقاطعة أونتاريو

**ان الاصرار دائما على الوظيفة الحكومية ـ وبغير بديل عنها حتى مؤقتا ـ يمثل واحدا من الاسباب التى تجعل بعض المهاجرين يحس مبكرا بالفشل ، بينما هو فى الحقيقة لم يفشل .. ولكنه لم يخاطر ، لم يغامر .**

**وهناك عامل جديد يضاف الى مجموعة العوامل النفسية السابقة وهو التوقعات المرتفعة التى تسافر فى عقل المصرى مع هجرته . انه يسافر متوقعا أن يجد كل التسهيلات من ادارة الهجرة اليوم ، ويحصل على العمل المناسب غدا ، ويصبح مليونيرا بعد غد . من الجائز أن يحدث هذا كله . ممكن . ولكنه اذا حدث فهو استثناء وليس قاعدة عامة . القاعدة العامة أن المهاجر يجب أن يسافر بروح المحارب ، وليس بروح الباحث عن الثروة السهلة السريعة . انه يستطيع ان يكون ثريا ، ربما يستطيع أن يكون مليونيرا ، ولكن ليس قبل أن يفشل مرة ، ويضيع مرة ، ويفصل مرة ، ويتعب كل يوم ! انه يجب أن يكون محاربا .. قادرا على التمييز الدقيق بين الهزيمة فى معركة .. والهزيمة فى حرب وبين الفشل المؤقت والعجز الدائم .**

ان العوامل السابقة تتعلق بالحالة النفسية للمهاجر يوم هجرته . ولكن هناك عوامل أخرى تتعلق بكفاءته الشخصية ، أو بقدرته على التنبه مقدما لعدد من المشاكل .. مشاكل قد تبدو له بسيطة قبل هجرته ، ولكنها لن تصبح كذلك بعد هجرته .

مثلا .. لو افترضنا ان المهاجر يحمل بكالوريوس الطب أو العلوم أو ليسانس الحقوق مثلا .. فانه يجب ان يتنبه الى ضرورة معادلة شهادته قبل سفره . هذا والا .. فلن يعترف أحد بشهادته بعد هجرته .. نظرا للقوة التى تتمتع بها النقابات ، والتى أخذنا فكرة عنها من قبل . وفى حالة عدم الاعتراف بشهادته بعد هجرته فانه سيضطر اما للاشتغال بعمل آخر غير تخصصه ، أو

الدراسة من جديد .. دراسة الطب مثلا مع أنه طبيب !. واما أن يعمل ويدرس فى وقت واحد .

والمشكلة التالية فى الاهمية هى اللغـة . ان الأكتفـــاء بتعلم اللغات الاجنبية على مستوى الجامعة فى مصر ليس معناه مطلقا أنك تجيد الانجليزية أو الفرنسية . فى الواقع أن مستوى تعـليم اللغات الاجنبية عندنا قد هبط الى درجة لا تصدق . ونتيجةلذلك فان البرامج التعليمية التى كان المهاجر يستطيع أن يأخذها قبل سفره من مصر .. سوف يضطر الى دخولها فى كندا ـ أو أى بلد آخر يهاجر اليه ـ والا فانه سوف يظل يتخبط عدة أشهر عاجزاً عن التفاهم بدقة مع المجتمع المحيط به .

x x x

**واذا كنا قد تناولنا حتى الآن مشاكل المصريين المهاجرين مع مســتقبلهم فى كندا ، ومشـاكلهم مع القيم الاخلاقية المختلفة فى كندا ، فسوف يظل أمامنا الآن نوع آخر من المشــاكل . انها ـ هذه المرة مشاكل المصريين مع أنفسهم !**

فأولا ـ ابتداء من مطارالقاهرة ـ نحن نعامل المصرى المهاجر كما لو كان فارا من الخدمة العسكرية (مع أنه أدى الخدمة العسكرية !) نعامله كما لو كان قراره بالهجرة هو جريمة يجب أن يعاقب عليها حتى آخر لحظة . ان بقايا هذه النظرية تمتد لتلاحـــق المصرى المهاجر .. حتى خارج حدود بلده .

اننى أتصفح الآن ـ وأنا أكتب هـــذه الكلمـــات ـ منشوراً بالاجراءات والرسوم المطلوبة من المصرى المهاجر . منشورا طبعته ووزعته سفارتنا فى كندا . فى هذا المنشور تستطيع أن تقـرأ أن الرسوم التى يجب أن يدفعها المصرى لاعادة قيـــده فى سجلات القنصلية هى خمسة دولارات . رسوم استخراج شهادة ميلاد هى ثمانية دولارات ونصف ، ١٨ دولارا ، أصدار جواز سفر ٢٣ دولارا ، بدل فاقد لجواز ســفر ٢٣ دولاراً و .. و .. و .. معنى ذلك أن الاسرة الواحدة المكونة من خمسة أفـــراد يجب أن تدفع ٢٢٥ دولارا لو تصادف أن احتاج كل فرد فيها الى القيد فى القنصلية واستخراج شـهادة ميلاد والتصـديق على شهادة وتجديد جواز سفره تصور ؟ ٢٥٥ دولارا تطلبها من مهاجر لايملك فى شهوره الاولى أى رصيد يواجه به مستقبلا ما زال مجهولا .

ونتيجة ذلك هى أننا السفارة العربية الوحيدة فى الخارج التى تحمل مواطنيها هذه الاعباء .. بينما السفارات العربية الاخـرى

تطلب رسوما ايضا ، ولكنها تعفى مواطنيها من الدفــع اذا كتب اقرارا بأنه لا يستطيع .

ونتيجة ذلك ايضا ان نسبة ضئيلة جدا من المصريين المهاجرين فى كندا هى التى تقيد نفسها فى سجلات قنصليتنا بالعاصمة الكندية.

**أولا** بسبب ارتفاع الرسوم ، **وثانيا** بسبب وجــود القنصلية الوحيدة بكندا فى اوتاوا العاصمة . ونظرا لان العاصمة هى مجرد قرية كبيرة ، فان المهاجرين غالبا ما يتركزون فى المدن الكبرى بين مونتريال شرقا وفانكوفر غربا . هذا معناه انه اذا أراد اى منهم التصديق على شهادته أو تجديد جواز سفره فلابد أن يضيع يوما كاملا فى السفر الى العاصمة والعودة منها . وهو لا يستطيع أن يفعل ذلك فى يومى اجازته ـ السبت والاحد ـ لان القنصلية تكون هى الاخرى فى اجازة . يجب عليه اذن أن يخسر أجــر يوم من أيام عمله بالاضافة الى تكاليف السفر ذهابا وايابا .. مع افتراض ان اجراءاته ستنتهى فى نفس اليوم ، وهو افتراض غير صحيح غالبا ، نظرا للزحام المستمر على الموظفين المحدودين بالقنصلية .

والواقع أن السفير المصرى الحالى فى كندا ـ السيد/ **محمد شكرى** ـ قد حاول منذ وصوله اتخاذ الاجراءات الممكنة لتذليل بعض هذه الصعوبات أمام المهاجرين المصريين . ففى يوم محــدد فى بداية كل شهر مثلا .. كنت أرى القنصـــل المصرى فى أوتاوا ـ عبد الفتاح زكى ـ يسافر الى مدينــــة مونتريال لقضاء يوم بأكمله فى فندق محدد مقدما بمدينة مونتريال ، لكى يمارس من هنــاك الاجراءات القنصلية المطلوبة . هذا حل معقول ، ولكنــه مازال حلا مؤقتا أو غير شامل .

والمسألة فى النهاية ليست مجرد اجراءات ، وانما هى أساسا أسلوب معاملة . أسلوب نعامل به مواطنينا المهاجرين فى الخارج . ان المصرى المهاجر قد يتقبل كل هذا التعنت فى معاملته .. لو تمت هذه المعاملة بأسلوب مقبول . لقد سمعت مثلا مئات من المصريين يمتدحون كفاءة قنصــل مصرى سابق يعمل حاليا دبلوماســيا بالسفارة المصرية بكندا . انه شاب اسمه : عادل الخضرى . ماذا يستحق المدح فى عادل ؟ لا شىء أكثر من انه كان يعطيهم الاحساس بأن القنصلية فى خدمتهم وتتمنى مساعدتهم .

**ان المسألة فى النهاية هى « لاقينى .. ولا تغدينى » ! وهــذا بالضبط ما تنبه اليه سفيرنا النشط الحالى فى كندا ، لقد تنبه**

**الى أن حالة القطيعة القائمة بين بعثتنا الدبلوماسية والقنصلية.. وبين المصريين المهاجرين .. يجب أن تنتهى .**

× × ×

ومع ذلك .. فهذه (القطيعة ) لم تنته بعد .. لماذا ؟ انها لم تنته لان المصريين المهاجرين فى كندا لم يقوموا هم أيضا بواجبهم. وعلى رأى الدكتور مصطفى الهلالى فى شيربروج : **(( اننا حتى الآن مازلنا أضعف الجاليات المهاجرة هنا .. رغم اننا من أحسنهم تعليما وأكثرهم كفاءة . ليس هذا بسبب تفككنا فقط ولكن لانه حتى الآن لا توجد لنا رابطة ، ولا حتى ناد ، فى أى مدينة أو قرية فى كندا )) .**

**وفعلا تستطيع أن تجد صحفا ونوادى وروابط وجمعيات للجاليات الايطالية ، اليونانية ، اللبنانية ، السورية .. لكل جالية .. ماعدا الجالية المصرية فى كندا !**

ان المنظمات الدينية هى فقط التى تنظم بعضا من النشاط الاجتماعى للمصريين المهاجرين فى كندا . وحتى فى هذا المجال .. لو تركنا جانبا المساجد الاسلامية الموجودة فى ادمنتون ، ولندن أو نتاريو ، وتورنتو ، فاننا سوف نجد امامنا فقط الجمعية الاسلامية فى مدينة تورنتو .

**ان هذه الجمعية تتكون أساسا من اعضاء باكستانيين وهنود والبانيين ، مسلمين نعم ولكن الاقلية منهم فقط مصريون . ليس هذا فقط ، ولكن الجمعية هى أيضا ــ بحكم اعتمادها الاساسى على تبرعات الاعضاء ــ محدودة الامكانيات . لقد بدأوا نشاطهم مثلا منذ عدة سنوات بتاجير صالة فى مبنى صغير غرب مدينة تورنتو ، لكى يمارسوا فيه شعائر الصلاة ويعقدوا الاجتماعات .**

وحينما راودهم حلم بناء مسجد ، لم يجدوا امكانيات تسمح بذلك البداية ، فاشتروا كنيسة بسبعين الف دولار لكى يحولوها الى مسجد . ولا أنهم اتفقوا على دفع الثمن بالتقسيط فقد بدأوا يجمعون التبرعات لدفع أقساط مسجدهم الذى كان فى الاصل كنيسة . وفى احدى المرات قام مليونير مسلم البانى مهاجر بدفع خمسة آلاف دولار . فى مرة أخرى قامت مليونيرة مسلمة باكستانية الاصل بدفع سبعة الاف دولار . المصريون الموجودون أيضا ساهموا بتبرعات تتراوح بين خمسين ومائة دولار لكل شخص .

وبهذه الامكانيات المحدودة تمارس الجمعية الان نشاطها فى مدينة

تورنتو . ان رئيسها الحالى اسمه الدكتور على .. مسلم من اصل باكستانى يعمل أستاذا للعلوم الاسلامية فى جامعة تورنتـو ويؤم الصلاة كل يوم أحد . طبعا الصلاة هى كل أحد لان الجمعة ليست يوم اجازة فى كندا .

**فى يوم الاحد يجتمع المسلمون فى ذلك المسجد بتورنتو ــ رجالا وسيدات ــ لاقامة الصلاة اولا ، ثم النزول الى الدور الارضى بعد ذلك لعقد ندوات لتفسير القـــرآن ، أو شراء ماكولات صنعتها العضوات المسلمات فى منازلهن ويتبرعن بحصـيلة بيعها لصالح المسجد .**

واذا ابتعدنا عن تورنتو لكى نتجه الى مدينة مونتريال فسوف نجد ان المنظمة الدينية الاخرى التى تمارس نشاطا اجتماعيا هى الكنيسة الارثوذكسية المصرية . ان ممثل هذه الكنيسة فى كنـدا والولايات المتحدة هو القس روفائيـل . انه فى الواقـع شخصية ممتازة تحدثت عنها فى فصل سابق . ولكن المهم هنـــا ان الاب روفائيل استطاع فى خلال فترة وجوده القصيرة بكندا أن يجتذب عددا كبيرا من المصريين المقيمين فى نيويورك ، شيربروج ، أوتاوا، بنويورك ، بوسطن ، ومدن أخرى كثيرة فى امريكا وكندا .

وبالنسبة لكندا ، فان الكنيسة الارثوذكســـية المصرية تمارس شعائرها هناك عن طريق كنيسة تستأجرها فى مدينة مونتريال بمائة دولار شهريا ، كحل مؤقت الى أن تقيم الكنيسة الخاصة بها . وفى تلك الكنيسة المستأجرة يقوم المسيحيون من المهاجرين المصريين بعقد الاجتماعات وممارسة شعائرهم أيام الجمعـــــة والسبت والاحد كل أسبوع . وفى تلك الكنيسة يقيم الاب روفائيل القداس ويلقى المحاضرات المتتابعة . محاضرات تعالج المشاكل النفســية المعاصرة التى يعيشها الشبان المصريون المهاجرون . مشاكل مثلا ظاهرة الخنافس ، العلاقة بالجنس الآخر ، العـلاقة بالاب والام داخل البيت .. الخ .

ومع أنه نشاط واسع ، ذلك الذى يمارسه الاب روفائيل فى كندا كممثل للكنيسة المصرية ، الا أن ضعف الامكانيات المادية مازال فى الواقع حاجزا يمنع مضاعفة هذا النشاط . صحيح أن الاب روفائيل أخبرنى أنهم يرسلون سيارة تنتظر كل مهاجر مصرى جـديد فى المطار أو الميناء ثم يوفرون له بعـد ذلك مسكنا رخيصـا .. اذا أخطرهم بوصوله مقدما .. وصحيح ان الاب روفائيل يقوم بعقد

القران للمصريين واحيانا تقديم الهدايا لهم مجانا .. ولكن الاب روفائيل نفسه له عدة شكاوى .. هذه بعضها :

« انجريدة وطنى تأتى لنا من القاهرة مجانا . ولكننا فى الواقع نحتاج الى نسخ من كل الصحف المصرية ارجوك أن تعبر عن حاجتنا الشديدة الى نسخ — ولو محدودة — من هذه الصحف .. حتى ولو أرسلت لنا الاعداد الاسبوعية فقط .. فنحن لا نعرف هنا أخبار الوطن سوى من الصحف الاجنبية .. « لا توجد لدينا كتب أو أية مطبوعات سياحية عن مصر . نحن نريد مطبوعات سياحية بالانجليزية والفرنسية . مطبوعات مختصرة ولكن ملونة . ان لدينا عددا كبيرا من المصريين الذين يعملون مدرسين هنا .. وكثيرا ما يسألهم الطلبة عن اية معلومات مطبوعة عن مصر .

**« .. نحن نريد من اذاعة القاهرة أن تساعدنا هنا — على الأقل بالمواد الاذاعية . ان كل جالية هنا لها برنامج اذاعى تعده لكى يتابع أعضاؤها نشاطهم وأخبار وطنهم . اننا لم نتدبر بعد الـ١٥٠ دولارا اللازمة لاستئجار ساعة اذاعيـة من أى اذاعة محلية هنا .. ولكن وصول المواد الاذاعية الينا من القاهرة سوف يسهل المهمة الى حد كبير » .**

« .. اننا نريد برامج عديدة ولكن اهمها فى رأيى برامج لتعليم اللغة العربية للصغار . اننا اذا لم تتنبه الى هذه المشكلة فان الجيل الثانى من المصريين هنا سوف ينشأ وهو حتى لا يتكلم لغة وطنه الأصلى .. »

x x x

ان نفس المشكلة عبرت لى عنها فتاة مصرية هاجرت مع اسرتها الى مونتريال . اسمها **سونيا هنرى حشيمة**. طالبة بكلية الآداب فى جامعة ماكجيل بمونتريال . عمرها ٢٠ سنة . تخصصت فى الأدب الفرنسى . تحلم بالعمل بعد التخرج فى قسم الترجمة بهيئة الأمم المتحدة .

**تقول سونيا** : أما عن نفسى فاننى أتكلم العربية بطلاقة كما ترى . كذلك أخى اكرام . ولكننا بدأنا نواجه هذه المشكلة بالنسبة لأختى الصغرى ماجده — ١٢ سنة . ان ماجده تفهم اللغة العربية ولكنها لا تستطيع التحدث بها . وما يضاعف المشكلة أن الصحف المصرية لا تصلنا هنا ، ولا الاذاعة المصرية مسموعة هنا . وهذه مجرد صورة متكررة من مشكلة واحدة تواجهها العائلات المصرية فى مونتريال .. بل فى كندا كلها .

و ... ما هى نتيجة هذا كله ؟

ان تكيف المصرى المهاجر مع المجتمع الجديد عليه فى كندا هو غالبا مشكلة فردية . ونجاح المصرى المهاجر فى صنع مستقبله فى المجتمع الجديد هو غالبا مشكلة أكثر من فردية واقل من أن تكون عامة . اما نجاح المصرى المهاجر فى الارتباط بوطنه فانه فى الواقع عمل يجب أن يبدأ فى القاهرة .. وليس فى كندا .

ان اقلية محدودة فقط هى التى تعانى من النوعين الأولين من المشاكل . ولكن الأغلبية المطلقة تعانى من النوع الثالث . تعانى من حالة الانفصال والقطيعة القائمة حاليا بين المصريين داخل الحدود .. وهؤلاء المصريين خارج الحدود .

ان المصريين المهاجرين فى كندا يمثلون أول تجربة واسعة لنا فى الهجرة . أول جالية مصرية ضخمة خارج الحدود . ان ارتباطهم بنا يجب ألا يتعارض مع اندماجهم فى المجتمع الكندى . اننا نمثل ماضيهم .. ولكن كندا تمثل مستقبلهم . و .. الى أن يتم اندماجهم فى المجتمع الكندى ، فلا بد أن تظل نظرتنا اليهم على أنهم مصريون . انهم كانوا كذلك ، وسوف يظلون كذلك .. الى وقت طويل قادم .

× × ×

هذا هو آخر سطر أسجله قبل الانتقال الى جالية مصرية ضخمة أخرى . انها الجالية المصرية التى هاجرت الى الولايات المتحدة الأمريكية .

ومع أن المجتمع الكندى هو صورة مخففة من المجتمع الأمريكى ، الا انه تبقى فى النهاية عدة فروق أساسية تميز الحياة فى أمريكا — والهجرة الى أمريكا — عن الحياة فى — والهجرة الى — كندا . لماذا اذن نبدأ من البداية . لماذا لا نبدأ مع مهاجر مصرى الى أمريكا ، منذ تهبط طائرته لأول مرة فى مطار نيويورك ؟ انها فى الواقع تجربة ممتعة .. دعنا نجربها اذن .

الفصل السابع :

# صبح الخير .. في أمريكا !



نيـويورك .

مطار كينيـدى .

أنت الآن في أول مدينة امريكية على المحيط الاطلنطى . في الواقع هي أكبر مدينـة أمريكية . أنت الآن تهبط في واحد من مطاراتها الثلاثة . تهبط وفى رأسك ايريال يلتقط الانطباعات الطازجة في هذا البلد الجديد والمجتمع الجديد . عيناك في حالة تقسيم وظائف : عين ترى .. وعين تتسـاءل . اذن تسمع .. واذن تتلهف .. يداك في حالة حمـل . من المؤكد أنك الآن تحمـل في يدك شـيئا ما — ربما عنوانا أو عنوانين . ربما نصيحة من صديق . ربما حقيبة يد .

**ربما بضع علب من السجاير أو المشروبات اشتريتها من الطائرة . حسنا فعلت . فبعد قليل سوف ترى ان علبة السجاير فى أمريكا ثمنها نصف دولار ، احيانا ستون سنتا ــ الدولار مائة سنت ، وبحسبة بسيطة سوف نستنتج ان ثمن علبة السجاير يعادل خمسين قرشا مصريا ، احيانا ستين ، هذا اذا كنت قد حصلت على دولاراتك بغير السعر الرسمى . انك لن تتخلص من هـذه العادة قبل وقت طويل قادم . عادة تقييم كل شيء على اساس نسبته الى السعر فى مصر . عادة سوف تضايقك نتيجتها كثيرا ، الى ان تبدأ فى العمل فى امريكا . وقتها سوف تكتشف ان هذه الأسعار معقولة بالنسبة لمستويات الدخل فى أمريكا نفسها ، وغير معقولة بالمرة بالنسبة لمستويات الدخل خارج أمريكا . اصبر ...**

انك لم تعمل بعد . فى الواقع انت تفكر الآن فى وسيلة مواصلات تنقلك من مطار نيويورك الى نيويورك نفسها . هذا تفكير عملى . ليس امامك سوى وسيلتين : تاكسى الى المدينة ، أو اوتوبيس الى محطة شركات الطيران بالجانب الشرقى أو الغربى من المدينة أيضا . لا تركب التاكسى ، ليس بعد أنت محتاج الى الدولارات السبعة أو الثمانية التى سيحسبها عليك العداد . انك الآن لست فى القاهرة . لقد ودعت أسعار القاهرة .. ولن تجد بلدا فى رخص أسعارها قبل وقت طويل .. طويل !

ان الأوتوبيس اذن هو الوسيلة العملية . وسيلة يستعملها من هو أغنى منك عشرين مرة . ليست هذه هى المشكلة . ولكن المشكلة هى : اى أوتوبيس تركبه ؟ . انك فى مطار نيويورك . مطار كينيدى فى نيويورك . ان كل شركة طيران لها قسمها الخاص من هذا المطار ، أو مطارها الخاص داخل هـذا المطار . وانت الآن فى الجناح الخاص بالشركة التى حملتك طائرتها . لقد خرجت بحقائبك ــ أعانك الله ــ تريد الاوتوبيس . امامك أوتوبيسات كثيرة . كل اتوبيس يقف فى جزء خاص به من الرصيف . اتوبيسات تنقلك الى أجنحة شركات الطيران الأخرى فى نفس المطار . أوتوبيسات تنقلك الى المطارين الآخرين فى نيويورك . أوتوبيسات تنقلك الى محطة شركات الطيران بالجانب الشرقى من نيويورك . و .. اتوبيسات تنقلك الى الجانب الغربى من نيويورك . الحكاية كبيرة ؟ معلهش ! حاول ان تسأل واحدا من العاملين فى المطار : **لو سمحت .. اين يقف الأوتوبيس الذاهب الى محطة الجانب الشرقى ؟ لو سمحت .. لو سمحت ...**

انه لا يسمعك . حاول من جديد . مازال لا يسمعك . حاول للمرة الثالثة .. ربما .

انه لن يرد عليك . واذا أعطاك ردا فهو رد مقتضب . رد يقذفه فى أذنك وينصرف قبـل أن تتأكد تماما : ماذا قال لك بالضبط ! لا تندهش . لا وقت عنده لك ولا لغيرك قلت لك لابد أن تنسى ما تعودت عليه فى مصر . الناس هنا يبدون لك متعبين مشغولين بأشياء كثيرة فى أيديهم وعقولهم . وما لم يكن الشخص الذى تسأله مخصصا للاجابة على السـؤال الذى تريده ، فانك سـوف تجده مشغولا . هذا الشخص المناسب لاستفساراتك ربما يكون مضيفة فى مكتب شركة الطيران التى أتت بك الى نيـويورك . ربما يكون موظفة أخرى فى مكتب الاستعلامات بالمطار . وربما يكون امريكيا آخر جاء معك فى الطائرة .

المهم .. انك فى النهاية سوف تدبر أمرك بشكل ما . وها أنت أمام الأوتوبيس الصحيح . ناول الحقائب للسائق . اعطه دولارين ونصف دولار . هذا سعر التذكرة . ثم . . أصبحت الآن فى مقعدك ، والأوتوبيس فى طريقه ، الجو بارد ممطر اذا كنا شتاء ، حار مشمس اذا كنا صيفا .

انك الآن فى الأوتوبيس . من المؤكد أنك اخترت مقعدا بجوار النافذة . هذا شىء طبيعى من غريب فى بلد غريب . انك تحاول أن ترى من النافذة أكثر ما تستطيع على جانبى الطريق . مقدما لن ترى سوى منازل .. واعلانات . سـيارات .. واعلانات . ناطحات سـحاب .. واعلانات . آه .. قبـل أن ترى ناطحات السحاب سوف تلاحظ أن الأوتوبيس قد وقف مرة أو مرتين عند بدايات على الطريق . بدايات على الجانبين . كل سيارة تمر من هنا تدفع رسوما للعبور . أحيانا ربع دولار ، أحيانا نصف دولار .. يقذفه سائق السيارة فى السلة الميكانيكية فيضىء له النور الاخضر أمامه أوتوماتيكيا .. الا اذا كان معه دفتر اشتراك . ان كل ولاية تقيم أضخم الطرق وأوسـعها .. ثم تجمع التكاليف — تكاليف الانشاء والصيانة — من الرسوم التى تدفعها السيارات عند بداية كل طريق ونهايته . هكذا تمول بلدية كل ولاية عملية انشاء الطرق الخاصة بها . لهذا نجد الطرق نظيفة ، مجهزة ، واسـعة ، عريضة ، سريعة . الطرق .. والاشارات .. والأنفاق .

انك الآن سـوف تجد الأوتوبيس قد دخل فى نفق طويل تحت الارض . هذا نفق لنكولن فى نيويورك . بعد هذا النفق تستطيع

**ان تقول أنك فى نيويورك ، أو — على الأصح — فى جزيرة مانهاتن فى نيويورك . ان هذه الجزيرة — بكل هـذه المساحة ، كل ناطحات السحاب المرتفعة ، كل الشوارع الضخمة اشتراها الرجل الأبيض الأمريكى من الهنود الحمر بخمسة وعشرين دولارا !**

وربما تسير فى هذه الجزيرة طولا بعرض ، دون أن ترى من نافذة الاوتوبيس جندى مرور واحدا . انطباعك صحيح . فاشارات المرور كلها أوتوماتيكية . ان اصـول التنظيم والادارة مطبقة هنا — كما هى مطبقة فى أشياء أخرى كثيرة — بكل دقة . جندى المرور يحتاج الى مرتب ، ويحتاج الى جاويش برأسه ، وضابط برأس الاثنين ، ومبنى للجميع ، وربما يحتاجون فى النهـاية الى وزارة ووزير و . . لن يسمح دافع الضرائب بهذا كله . انه سوف يسمح فقط بالحد الأدنى الضرورى لحفظ النظام والمرور .

ان الاشـارات هنا أوتوماتيكية . اذا اضاء النـور الأخضر فى اشارة ، فانه سوف يضىء فى الاشارات الثلاثين أو الأربعين التالية . واذا اضاء النور الاحمر مرة ، وهربت منه ، فانك ستجده أمامك فى جميع الاشارات التالية ، لا فائدة اذن فى مخالفة النظام . ثم ان من يخالف اشارة المرور هنا يدفع غرامة مرتفعة للغاية . واذا تكررت الغـرامات والمخالفات فانهم يسـحبون منه رخصـة القيـادة فى الولاية كلها .

ولكنك لم تصبح بعد صاحب سيارة . انت مازلت فى الأوتوبيس . والاوتوبيس قد عبر لتوه نفق لنكولن . خمس دقائق أو ست ، ثم . . أصبحت فى محطة الجانب الشرقى من نيـويورك . ها أنت قد اصبحت من جديد — مع حقائبك — على الرصيف . كلهم بدأوا من هذا الرصيف . انك ربما تزيد عنهم فى أشياء قليلة . ربما تحمل فى جيبك مثلا عنوان صديق أو قريب . ربما تحمل اسم فنـدق . و . . ربما لا تحمل شيئا على الاطلاق .

**فى هـذه الحالة سوف تضطر الى السؤال فى المحطة عن ارخص فندق ممكن . ان الحجرة فى أرخص فندق هنا لن يقل سعرها عن ١٥ دولارا فى الليلة الواحدة ، اى اغلى من الحجرة فى فندق هيلتون بالقـاهرة . ولكن . . الم نتفق من قبل على أن اسـعار القاهرة لا تقارن ؟ اذن لا داعى للمقارنات ، وفكر فى طريقة أخرى .**

انا شـخصيا — رغم أننى مجرد زائر — وجدت هـذه الطريقة الاخرى . انه ليس فندقا بالمعنى التجارى الدقيق . ولكنه فندق على اى حال ؛ مقبول على اى حال . الحجرة فيه ضيقة — نعم —

ولكنها نظيفة . وبها جهاز تليفزيون ومكتب وسرير و — الأهم من هذا كله — أنها بخمسة دولارات فقط فى الليلة الواحدة .. واقل من ذلك اذا أعددت بطاقة عضوية فى القاهرة . انني أتكلم الآن عن جمعية الشبان المسيحيين ، التى تجد لها فروعا فى كل مكان بأمريكا ، وفروعا اخرى فى معظم بلاد العالم .. ومن بينها مصر . ان المشكلة هنا هى انك لا تستطيع أن تحجز حجرة مقدما . انت وحظك ..

انك الآن فى محطة الجانب الشرقى ، واقرب فرع لهذا الفندق الرخيص المقبول يقع فى شارع ٤٧ . **بالمناسبة** : شوارع نيويورك منظمة بطريقة مستقيمة للغاية . الشارع الطولى يسمى أفينيو ، الأول ، الأفينيو التانى ، التالت ، ليكسنجتون ، بارك .. الخ . الشارع العرضى يسمى شارع : شارع رقم ١ ، رقم ٢ ، ٧ ، ١٢ ، ١١٢ ، وهكذا ..

لهذا لن تجد صعوبة فى الوصول الى اى عنوان فى نيويورك . وما دامت معك حقائب الآن ، فمن الافضل أن تستقل تاكسيا ، خصوصا أنه فى هذه الحالة سيكلفك أقل من دولار واحد من شارع ٣٩ ، الى شارع ٤٧

لقد أوصلك التاكسى — لاتنس البقشيش — ثم دخلت من الباب الزجاجى الى موظف الاستقبال .

**وها انت تسأله : اريد حجرة لو سمحت !**

**انه يرد عليك : ممكن ... لثلا .. أيا .. فق ..**

**— ماذا ؟**

**ان الموظف قد رد عليك بكلمات غير مفهومة ، او مفهومة ولكنك لم تلتقطها جيدا ، أو التقطتها جيدا ، ولكنك لم تفهمها .**

**دعنى أفسر لك ما قاله الموظف .**

**لقد قال لك : ممكن لثلاثة أيام فقط !**

**ولكنه نطقها باللهجة الأمريكية ، لهجة لا تعطيك مخارج واضحة للكلمات . ليس دائما ، ولكن احيانا . أنها مشكلة لغة اذن . وربما تكون هذه أول مشكلة لك فى أمريكا . انك لأول وهلة ستتصور انك لا تتكلم بالانجليزى ، ولكن بالصعيدى .. أو تتصور ان اللهجة الأمريكية ليست انجليزية تماما . اطمئن .. كلا العيبين موجود ، فيك وفيهم . اطمئن ايضا على انك حصلت على الغرفة يوما أو يومين الى ان تتصرف ، أو تتجه الى مدينة اخرى فى أمريكا .**

لقد صعدت — مع حقائبك — الى الحجرة . انك الآن تحاول

أن تستريح ، أن تنام ، ولكن ، مع أن عينيك حمراوين قليلا ، مع أن جسمك مرهق كثيرا ، فانك لا تنام . ان فرق التوقيت هو السبب . لقد غادرت الطائرة لندن أو باريس في الثامنة صباحا .. ثم وصلت الى نيويورك لتجد أن الساعة ماتزال الثامنة صباحا . انها ليست ساعتك فساعتك تشير الى ان الوقت هو الثالثة عصرا ، ولكنه التوقيت المحلي . عندما تصل الى نيويورك أخر ساعتك سبع ساعات – في الصيف ستا . انك ربما تظل أول ليلة أو ليلتين غير قادر على تكييف جسمك مع هذا التوقيت الجديد ؛ ولكنك ستفعل في النهاية على أي حال .

وما دمت أنك الآن لاتستطيع أن تنام ، فان أمامك عدة مشاكل لابد أن تفكر فيها ، النقود مثلا ، كم تكفيك . الطعام .. وكم يكلفك . لاشك أنك جائع وتعد نفسك للنزول الى أقرب مطعم في الشارع .

**وقبل أن تفعل ذلك فان مشكلة النقود سوف تفرض نفسها عليك مرة أخرى . انك ربما – تملك حلا احتياطيا معك في حقائبك . ربما تحمل ذهبا مثلا . نعم .. ذهب . الكثيرون من المهاجرين يفعلون ذلك عندما يهاجرون ، يأخذون بعض الذهب أو المجوهرات معهم الى مكان هجرتهم . ماذا في ذلك ؟ أليس الذهب عملة دولية ؟ أليست أسعاره ثابتة ومضمونة في أي مكان في العالم ؟ أليس .. ؟**

**لا . ليس الذهب كذلك . ان سعر الذهب في مصر من أعلى الاسعار في العالم . الذهب هنا – في أمريكا – سعره أرخص جدا جدا ، ان الذهب الذي يساوي مائتي جنيه في مصر ، يساوي هنا في أمريكا سبعين جنيها فقط . هذا ما حدث فعلا مع مصري أعرفه في نيويورك . لقد اكتشف – بعد فوات الأوان – أنه خسر ٦٥ جنيها في كل مائة جنيه ذهبا حملها من مصر . ثم أنه لم يأخذ الـ ٣٥ جنيها الباقية فورا . لابد أن ينتظر الى ان يرسل الجواهرجي عينة من الذهب لتحليلها في المعمل . فعيارات الذهب الموجود في مصر غير معروفة في بلاد كثيرة في العالم . انت لا تصدق ؟ تريد التأكد بنفسك ؟ تفضل ...**

انت الآن في الشارع . وقبل أن تنزل لا تنس أن تأخذ مفتاح حجرتك معك . كان مفروضا أن تسلمه للفندق ، ولكن ليس هذا الفندق . انك سوف تلاحظ أن كل فندق في نيويورك قد وضع لك داخل الحجرة عدة أقفال داخل الباب ، وعدة تنبيهات مكتوبة على باب حجرتك من الداخل : « تأكد من انك اغلقت حجرتك

جيدا ، نحن غير مسـئولين عن الحجرة اذا لم تفعل ذلك ، وحتى اذا فعلت ذلك فنحن غير مسئولين عن اية نقود أو أشياء ثمينة تتركها فى الحجرة ، ما لم تسلمها الى الفندق » .

ان هذا صحيح فى امريكا ، وصحيح جدا فى نيويورك . ربما تسكن فى نيويورك سنة دون أن تتعرض للسرقة . ولكنك عندما تتعرض لها .. فسوف يسرق منك كل شىء .

أنا شخصيا سرقت منى حقيبة كتب مرة .. كتب استغرقت أسبوعا كاملا فى اختيارها وشرائها ، وكلفتنى مائة وخمسين دولارا ، كانت الغلطة غلطتى .. لقد صعدت الى شقة صديقى فى الدور التاسع من احدى عمارات شارع ٤٤ . كنت أحمل له حقائبى لاتركها وديعة عنده قبل سفرى الى كندا . ان الحقائب تتضمن شحنة الكتب الضخمة ، التى كنت على وشك شحنها بالبريد الى القاهرة . كتب معبأة فى حقيبة ورقية كبيرة و .. مفتوحة .

كنت أعلم أن احتمالات السرقة فى نيـــويورك موجودة فى أى وقت . الوقت كان التاسعة صباحا . ولكنى لم أتصور أن لصا سوف يفكر فى سرقة كتب . لهذا تركت الحقيبة بجوار المصـعد فى الدور الأرضى ، بدلا من أخذها معى الى الدور التاسع والعودة بها مرة أخرى . و ... يا دوب ـ ثلاث أو أربع ثوان قبل أن أعود الى الدور الأرضى لأجد أن الحقيبة المفتـوحة ـ حقيبة الكتب ـ قد طارت ، اختفت ، سرقت !! حتى تلك اللحظة لم اكن أعلم ان هناك لصوصا مثقفين فى امريكا ! ! الآن علمت .. ! لو كان اللص قد سرق نقـــودى ، أو ملابسى ، أو اى شىء آخر ، أى شىء الا الكتب ، لمـا كنت شـعرت بمثـل ذلك الحزن . ولكنها كانت غلطتى على أى حال ..

واذا كانت تلك غلطتى ، فماذا تقول فى هذه الحالة : كارول فتاة امريكية مهذبة أعرفها . انها تعمل رسامة . انها تسكن بمفردها فى شقة بالدور العلوى من أحد مبانى نيويورك . وفى مرة عادت الى المنزل فى الواحدة صباحا لتجد أن كل محتويات الشقة قد سرقت . كل المحتويات . ما عدا الكراسى والسرير طبعا . وعندما ذهبت الى كارول بعد اسبوع ظلت حتى دقائق تفتح لى باب الشـــقة .. خمسة اقفال معها ركبتها فى الباب بعد السرقة. أقفال من كل نوع. أقفال لم تصبح هذه بعدها شقة . لقد اصبحت قلعة عسكرية !

**أنا لا اقول ان هذا سيحدث قطعا معك . ولكنى اقول فقط : ممكن ان يحـدث . اقول : احترس ، خصوصـا اذا كنت تسكن**

**او تقيم فى الدور العلوى . احترس .. واعلم أنك الآن فى واحدة من أسوأ مدينتين فى أمريكا : هوليود : ونيويورك .**

ان نيويوك هى غابة . أكثر منها مدينة . منذ سبعة آلاف سنة بالضبط ــ هكذا قدر العلماء ــ كان عدد سكان العالم كله اقل من عدد سكان مدينة نيويورك الآن. انها الآن من اضخم مدن العالم وأكثرها ازدحاما بالسكان ــ ٨ ملايين . وفى نيويورك ــ حتى ولو لم تكن تدخن سجاير ــ فانك تدخن عشرين سيجارة يوميا ، بسبب دخان السجاير فى الجو .

ان نيويورك مزدحمة ككوبرى أبو العلا بالقاهرة فى عز الظهر . انها واسعة كالمحيط الأطلنطى الذى تطل عليه . واسعة ، مزدحمة ، شرهة ، بغير حدود .. انها تغذيك وتخرب جيبك . ان نيويورك هى الضباب ، الثلج ، المطر ، الحرارة ، القهوة البيضاء . الخبز الاسود ، الجنس ، هى هارلم ، اللحم الاناناس ان اى شيء تتصوره ، أو لا تتصوره ، سوف تجده هنا فى نيويورك .

**الغرض .. !**

أنت الآن فى الشارع ، بمفتاح فى جيبك ، وعينين فى راسك ، وكاميرا فى عينيك ، ودولارات قليلة فى جيبك ــ من المؤكد انك الآن مبهور بكل هذه النظافة فى المحلات .. مبهور بكل هذه الأناقة فى الملابس ، بكل هذه السيارات فى الشوارع . أن ٥٠٪ من ضوء الشمس فىنيويورك يحجبه الكربون الناتج من احتراق بنزين هذه السيارات . هل لديك فكرة الآن عن ضخامة عدد السيارات ؟ حسنا ولكن .. ليس هذا هو الشيء الذى يستحق انبهارك فىأمريكا او فى نيويورك ان أسهل شيء فى أمريكا هو أن تشترى اى شيء ، اقصد تشترى بالتقسيط .

انك تستطيع أن تقترض من بنك ، تسافر فى رحلة ، تشترى اثاثا لشقة ، تبنى بيتا ، دون ان تدفع مليما واحدا ! اشتر الآن وادفع مؤخرا . سافر الان .. وسدد فيما بعد . استلم الان .. وسدد فيما بعد . استلم الان .. والحساب من الشهر القادم . انه اذن نظام التقسيط .

**ان كمية الديون التى يتحملها المواطنون فى امريكا بسبب نظام التقسيط وصلت الى أكثر من مائة الف مليون دولار . أكرر : مائة الف مليون دولار . ان متوسط نصيب الفرد الواحد من مجموع هذه الديون هو اربعون الف دولار . هذا نتيجة للمشتريات المؤجلة الدفع ، من المنازل والسيارات والملابس .. زائد ديون الشركات**

**وقروض المؤسسات الكبرى . لولا نظام التقسيط هـذا . لاضطر المستهلك الى التخلى عن فكرة شراء منـزل أو سـيارة أو موقد كهربائى .. الى أن يدخر نقودا كافية ، الامر الذى لا يحدث أبدا .**

انك ربما تتصور الان أن نتيجة هذا النظام هو أن الافراد الذين تراهم أمامك فى الشارع يعيشون فوقمستوى دخلهم . غير صحيح طبعا . كل المسألة ان نظام التقسيط زائد الاعلانات ، يقنعانك فى امريكا بضرورة أشياء كثيرة .. هى أصلا من دلائل الرفاهية . ان أوربا لديها أشياء أخرى تجعل هذه الدلائل غـير هامة . ولكن فى امريكا .. فى أمريكا .. حسنا .. ليست امريكا فقط ، انه العالم كله ـ فى العالم كله يوجد اناس لا يدخرون الا وهم تحت ضغط المسئولية التى يتحملونها بسبب وجود دين عليهم . أنت تعرفطبعا

أنت تعرف الان لماذا ترى امامك كل هذه السيارات الضخمة ، كل هذه المحلات الكبيرة ، كل هؤلاء الفتيا تالآنيقات اللاتى تراهن امامك مسرعات فى الشارع .

هذه الفتاة مثلا .. أنت تراها تسـير أمامك . تسير انيقـة ، مسرعة . انها تلفت نظرك . ايه رأيك ؟ تحب تعاكسها ؟ جرب .

انها لن تصفعك بالقلم . لن ترد عليك . لن تقول : يا سم ! لن تجعلك فرجة فى الشارع . لن تستدعى جندى البوليس . فقط ، كل ما سترد عليك به هو: التجاهل.. الاستغراب فى البـداية ، ثم التجاهل لابوقت عندها حتى لتقول لك : ياسم .

انها قادمة من عمل ، او ذاهبة الى عمل . انها تحترم نفسها . وعليك أنت ايضا أن تحترمها ، وتعجب بهـا ، ثم .. ثم .. ان الاعجاب من أول نظرة ، أو الحب من أول نظرة ، لا يوجـد مطلقا فى المجتمع المفتوح . انه يوجد فقط حيث يكونالمجتمع مغلقا ، حيث الحواجز بين الفتى والفتاة مرتفعة ، حيث كل من فى المجتمع : الاب الام ، الاخ ، الجيران ، الاصدقاء ، يقيمون من انفسهم حراسا على سلوك الفتاة .

ان الفتاة التى تراها فى الشارع امامك الان هى فتاة مختلفة . فى الواقع انه لم يحدث فى التاريخ من قبل أن تمتعت فتاة بحرية كاملة كما تتمتع هذه الفتاة أمامك . انها تسحرك ، وأنت مندهش لها . ان الثوب القصير الذى تراه على جسمها أمامك هو رمز لتحررها الكامل . انها تكسب من النقود ما يكفى ليجعلها تعيش مستقلة عن اسرتها لو أرادت .. دون ان يقال أن هذا عمل فيـه شجاعة ، أو فجور . واذا فضلت أن تعمـل على ان تتـزوج ، فان المجتمع

يسميها فتاة عاملة ، ولا يسميها عانسا أو مستهترة . ان والديها ينصحانها ، ولكنهما لا يمليان أرادتهما عليها . ان الحياة والزواج لم يصبحا بالنسبة لها مسألة يقرر الوالدأن تدبيرها لها بين اربعة جدران بعيدا عنها . هذه حياتها هى ، هذه مسئوليتها هى ، هذه حريتها هى ..

x x x

و .. انت وحدك ، فى شوارع نيويورك .

انت وحدك ، فى يومك الاول هذا . انك فجأة تحس بهذه الوحدة هذا الضياع ، هذا الانعزال . تحس انه لا احد يلتفت اليك ، مع انك تلتفت الى كل الناس فى الطريق . انك الان تحس بانك طفل يتعلم المشى لاول مرة . كل شىء حـــولك جديد كل حقيقة امامك صعبة الفهم . انك لم تحس فى اى وقت ـ كما تحس الان ـ بانك فى حاجة الى صديق ـ الى أذن تسمعك وكتف تتقاسم معك الهموم والله زمان يا مصر !

مصر ..؟ ان بينك وبينها الآن اراضي وبحارا ومحيطات ولكنك الان ـ فى هذه الدقيقة ، هذه اللحظـــة بالذات ـ تحس أن مصر ليست فى الحقيقة بعيـــدة عنك بهذه الدرجة . ليست كذلك .. لانها فى داخلك . اذا كانت المانيا جنسا ، وايطاليا لغة ، واليونان تاريخا ، وفرنسا تقاليد ، وبريطانيا جزيرة ، فان مصر هى .. نهر انت واحد من ابناء هذا النهر . هذا النيل .

ان ابناء الانهار لهم جذور لهم حضارة ، لهم تاريخ .

ان كل هذا التاريخ محشــــو فى داخلك . انه فى داخلك ، حتى بغير وعى . لهذا سوف تسير مصر معك اينما ذهبت . انها الان فى داخلك ، فى أعماقك . انها تنبض داخل شرايينك . تدق داخل قلبك . انها شىء تحت الجلد . شىء يجرى فى الدم . انها لن تخرج من عقلك الا اذا خرجت الدماء من شرايينك . من قلبك .

ان اشياء كثيرة فى مصر لم يكن لها معنى فى حياتك من قبل .. بدأت الآن تصبح ذات معنى . الشمس ، الدفء ، الحرارة العواطف الاهرام ، ميدان التحرير ، العجـوزة ركوب الاتوبيس ، اقراص الطعمية ، الفول المدمس . انك ـ حتى ـ ربما تحس الآن بأن الحياة سوف تموت فى داخلك بغير طبق فول مدمس !

انك عندما ركبت الطائرة من القـــاهرة تصورت أنك تركت فى المطار كل حمولاتك الزائدة : المنزل ، الاسرة الاصدقاء ، الاقرباء ، الوظيفة ، قسط التليفزيون !

ولكن هذا كله في الواقع مازال معك فى نيويورك . ان مصر التى تتابع صورها المختلطة فى رأسك الان كشريط سينمائى هى صوت أم كلثوم ، عينى على العاشــقين ، الموسكى ، القلعــة الحسين الفيشاوى ، رمضان ، الفوازير ، وتفكير فى حل الفوازير !

مصر هى أهل الهوى ، قصر النيل ، النيل، شط اسكندرية . خايف أقول اللى فى قلبى ، وبقايا المرتب فى آخر الشهر .

مصر هى التراب ، الارض ، أنا وهو وهى ، شــارع سـليمان ، الطاولة ، المقهى ، مايطلبه المستمعون ، أن شاء الله ، السيدة زينب الفاتحة لام هاشم !

مصر هى ألف ليلة وليلة ، الكلمات المتقاطعة ، الناس مقامات ، بات مغلوب ولا تبات غالب ، سلام عليكم ، الادب فضـــلوه عن العلم ، الشهادات ، أمين ..

مصر هى هذا كله . حيث أيام الاسـبوع كلها نســخة كربونية متماثلة ، السبت مثل الاحد مثل الجمعة. لا. ليس مثل الجمعة. يوم الجمعة كان هو اليوم الذى تنام فيه حتى الظهر ، وتترك ذقنك ، وتلبس البيجاما ، وتسمع على الناصية وتشاهد فيلما فى التليفزيون . حيث الحياة تسير على مهل شــديد ، حيث المجاملة ، والتسـامح ، ومعلهش ، وربنا يسـامح ، وان شاء الله ، وان فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه .

مصر هى هذا كله . مصر هى بائع اللبن فى الصباح ( لن نرى فى نيويورك بائع لبن ) . حيث البائع يدق بابك فى الفجر « صباح الخير يا أحمــد أفندى ! يا على أفنــدى ! يا ماهـر بك ! » . ان اللبن مغشوش ، مغشوش ، ولكن لا يهم ، المسامح كريم ، بكلمة صباح الخير أزال لك البائع كل أفكارك عن الغش . اعتمادنا عليك يا رب !

مصر هى هذا كله . أكثر من هذا كله . انها لم تعد الآن مجرد ماض تتركه خلفك وتنصرف . مصر الان هى ذكرى . حنين . شوق . رغبة. أمل. انها لم تكن ابدا مجرد فصل انتهى من حياتك، مجرد جملة اعتراضية من حياتك . انها .. حياتك حيث يكون لديك الاحساس بأن العبقرية هى التوسط ، هى الاعتدال ، هى الصمت ، هى عدم الخطأ ، هى التسامح ، هى منتصف الطريق ، هى راحة البال. لن تجد فى نيويورك راحة البال !

انت هنا قطعة فوق سطح من الصفيح الساخن . النار فى جيبك فى رأسك ، فى معدتك .

ان معدتك تطلب طعاما . وأنت الآن تريد طعاما .
تذهب الى مطعم ؟

هذا مطعم قريب أنت تدخل ، تجلس ، تمسك بالقائمة ، ثم تجد الجرسونة على رأسك .

ان القائمة فى يدك ، ولكنك قد تسألها : فيه أكل ايه النهاردة ؟! ممكن آخذ فراخ ؟ أو · قطعة لحم مع طبق أرز ، أو · اقول لك ·· بلاش الارز . آخذ عيش .. آخذ .. آخذ ..

انك الان تكلم نفسك · لقد انصرفت الجرسونة · لا وقت عندها لهذه الاسئلة · ان القائمة أمامك اختر ما تريد على مهلك ، وعندما تنتهى الى قرار · نادها ·

المهم ··· انت طلبت ما تريد فى النهاية · لست واثقا بالضبط مما طلبته . ولكن · لا بأس عليك من التجربة · والان ، لعلك لاحظت ان الجرسونة بعد أن سجلت طلبك سألتك : تشرب ايه ؟ شاى ؟ قهوة ؟ بيرة ؟

دعك من حكاية البيرة هذه ، وفكر فى الشاى أو القهوة · اذا طلبت شايا أحسنت . فقط تذكر هنا شاى كشرى . شـــاى فريسكا · شاى وصلحه ! ان الشاى هو شاى فقط ، القهوة · قهوة ! كل ما هنالك ان الجرسونة تتأكد من أنك تريد قهوة عادية ، أم لا · ان القهوة العادية هى بن مذاب مع لبن ، القهوة السوداء مجرد بن مذاب · طبعا لا توجد قهوة تركى كالتى تشربها فى مصر ، وداعا للقهوة التركى !

ومن الان فصاعدا ، من الان الى أن ينتهى طعامك ، سوف تلاحظ أشياء كثيرة ·

فسواء كنت تتناول طعامك فى مطعم ، أو محل قهوة أو محل بقالة ، فانك لا تجد طاولة ، دومينو ، نوتشينة ، راديو عالى الصوت . خسارة · لا شىء من هذا أمامك · ولا حتى كوب المياه ــ أو جردل المياه الذى تعودنا أن نشربه مع الاكل فى القاهرة · ان الامريكيين والاوروبيين لا يشربون ربع المياه التى نشربهـــا نحن · حرارة الجو عندنا هى السبب ·

وستلاحظ ان معظمهم لا يأكل الخبز · لقد كتبت الصحف فى « جرسى سيتى » مرة ان استهلاك الخبز ارتفع فجأة بسبب قدوم عدد كبير من المصريين الى المدينة !

وسوف تلاحظ أيضا ان الجرسونة قد أحضرت لك القهوة أو الشاى مع الاكل ، وليس بعد الاكل · هكذا يشربها الامريكى ·

وسوف تلاحظ فى البداية أيضا ان الذوق الامريكى فى الاكل ربما لا يتفق معك · ليس ربما ، بل من المؤكد · فالامريكى ــ اذا لم يقدم لك سجق أو هامبيرجن ــ فانه يقدم لك مثلا سمكا وعليه كمثرى ، أو قطعة لحم وعليها أناناس !

وسوف تلاحظ ان بعض الجالسين أمامك أو بجانبك يرتدون أحيانا ملابس غريبة ، أو ألوانها غير متناسقة ·

مثلا : قميص أزرق وكرافتة خضراء وبدلة صفراء ! ومع ذلك فلا أحــــد يتطــــلع لاحــــد · من كل حسب دولاراته ، والى كل حسب ذوقه يحيا الذوق !

وسوف تلاحظ أيضـــا أن كل واحد فى حاله . وربما يدخل رجل ، فيكتشف صديقا له جالسا أمامك · لحظتها يحييه بكلمة واحــــدة . هاى ! هى كلمــــة هاى من الاول ، وهاى من الثانى ·· وخلاص ! لا قيام ، ولا أحضان ، ولا ــ حتى ــ سلامات ! هاى ··

ومن الممكن أن يكون حظك طيبا ويجلس بجوارك واحد من هؤلاء الامريكيين الظرفاء · واحد يبدو عليه مقدما الاستعداد لتبادل كلمة أو كلمتين معك . اذا كلمك كلمتين احمد ربنا . ان الانجليزى مؤدب جدا ولكنه بارد · الفرنسى يرفض التحدث معك الا اذا كلمته بلغة فرنسية صحيحة · الالمانى ايدك والارض · أما الامريكى ــ الشخص الامريكى العادى ــ فانه يكون ظريفا جدا معك مادام الوقت ليس وقت عمل . انه يستطيع أن يكون صديقك بعد دقيقة واحدة ، وان كان سينسى هذه الصداقة بعد انصرافك بخمس دقائق · المهم ·· انه شخص ودود ، ظريف ، بســيط ، يناقشك بعد خمس ثوان فى موضوعات لا تناقشها انت مع أصدقائك بعد خمس سنين .

واحد من هؤلاء دخل معى مرة فى مناقشة · لم تكن المناقشة فى مطعم ــ ولكنها كانت فى طائرة ·

كانت الطائرة تحملنا من لنــدن الى نيــويورك . لقد قطعت الطائرة نصف المسافة تقريبا · الشمس فوقنا والسحب البيضاء تحتنا. وبدأ الرجل الامريكى المجاور لى فى مقعد الطائرة يتململ ثم بدأ يسألنى :

**ــ هل أنت مصرى ؟ غــــريب ! ·· قل لى لو ســـمحت ، كيف تركبون الجمال فى تنقلاتكم بمصر ؟**

وقلت : نحن يا سيدى لا نركب الجمال • فعندنا قطارات غالبا وأوتوبيسات قليلا وسيارات أحيانا وطائرات نادرا •

قال الرجل : مدهش : ولكن ، طبعا عنـــدكم طائرات للرجال وطائرات للنساء .. هيه ؟

قلت : لا يا سيدى • عندنا نساء كالرجال : عاملات • وطائرات كالرجال : لا تتنبأ بتصرفاتها !

قال الامريكى ضاحكا : وهل أنت متزوج من أربع ؟

قلت : ياسيدى ، ولا حتى واحدة ! ولن أستطيع الزواج بأربع .. لاننى لا أريد ، ولان زوجتى ساعتها لن توافق •

قال : وهل تستطيع المرأة عندكم ألا توافق ؟

قلت : نعم تستطيع ، على الاقل اذا كانت متعلمة •

سأل الرجل : وهل عندكم امرأة متعلمة ؟

أجبت : عندنا ستون ألف طالبة بالمعاهد والجامعات .

قال الامريكى : غريب •• وهل عندكم جامعات ؟

قلت : عندنا جامعات ومستشفيات ومصانع. عندنا سد عال . عندنا أرض وبحر وسماء • عندنا ناس • ناس أساتذة فى الجامعات عندكم • ناس يقدروا يقولوا ان حضرتك تعرف القليل جدا عن الدنيا التى تعيش فيها !

ولم يكن هذا ذنب الامريكى الجالس بجوارى فى الطـــائرة • فى الواقع ان الامريكيين كانوا – الى وقت قريب – من أقل الشعوب اهتماما ودراية بما يحدث خارج حدودهم • والى وقت قريب فقط كان من التقاليد الامريكية ان السياسة تنتهى عند حافة المياه • تنتهى عند حافة الاطلنطى • ان العالم بعد هذا الشاطىء ، كان عالما غير موجود بالنسبة لهم • انه غير موجود •• أو غير مهم •

طبعا الان تغيرت الحالة جوهريا بعد التـــوازن الذرى والطائرات الاسرع من الصوت والاقمار الصناعية • ولكن •• مع هذا •• ما زال ممكنا جدا أن تجد أناسا كثيرين – بل حتى أغلبية – فى امريكا • ما زالوا يتصـــورون ان مصر هى الاهرام والصـــحراء والجمال التى تركبها فى الصحراء • لا تبتئس ربما تواجه بعد قليل ما هو أسوأ من هذا •

نهايته ••• ! انت الان تناولت طعامك • دفعت الحساب • لا تنس البقشيش • ان البقشيش شىء هام فى أمريكا • شىء أساسى ، مرة لم أدفعه فى تاكسى فطلبه منى السائق بغيظ شديد • مرة أخرى لم

أدفعه في مطعم ٠٠ فرمتني الجرسونة بنظرة كادت تصيبني بمرض الحصبة ! وأنا لا أتمنى لك أي مرض في امريكا ٠ فالادوية اسعارها نار ٠ والاطباء أجورهم نارين ٠ ان أجـــر الطبيب عن تركيب طاقم أسنان مثلا قد يساوي مرتب رئيس مجلس ادارة شركة في القهرة عن شهر كامل ! انك محتاج لكل مليم ــ أقصد كل سنت ــ في جيبك الان ٠ ولعلك لم تنس بعد الدولارات الثلاثة أو الاربعة التي دفعتها حالا في وجبة الغداء ٠

ان هذه الاسعار الجنونية كانت تدفعني في كل مرة أسافر فيها الى أمريكا الى تفادي ارتياد المطاعم نهائيا ٠ حينما يجيء وقت الغداء ، ومهما كنت في أي مكان في نيويورك ، فانني أستقل الاوتوبيس الى مبنى هيئة الامم المتحدة ٠

على فكرة : لاتدخين في الاوتوبيس ، رغم أنك تدفع ثلاثين سنتا كسعر موحد لاي مسافة تركبها ٠ ان الاوتوبيس قد يستغرق ربع ساعة ، نصف ساعة ، وأحيانا أكثر من هذا ٠٠ لكي أذهب في النهاية الى الامم المتحدة ٠ ولماذا لا؟! ، فيها كافتيريا ظريفة جدا ، نظيفة جدا ، رخيصة جدا ، وهذا هو المهم ٠ ان أحسن وجبة تناولتها هناك في أي مرة كلفتني أقل من دولارين ، مع مراعاة أنه لا يوجد بقشيش تدفعه في هذه الكافيتريا لانها تعمل بنظام اخدم نفسك بنفسك ٠

ولكنك للاسف ، لن تستطيع تناول طعامك في هذه الكافيتريا ٠ فدخول الامم المتحدة يحتاج الى تصريح أو بطاقة خاصة ٠ ومع أنني في كل مرة كنت أحمل تصريحا دائما ٠ الا أن الامم المتحدة تعمل خمسة أيام في الاسبوع فقط ٠ أمريكا كلها تعمل خمسة أيام فقط ٠ ماذا أفعل في يومي الاجازة : السبت والاحد ؟

لقد حسبتها مرة فوجدت أنني سأدفع عشرين دولارا على الاقل في وجبات الطعام الست فقط خلال هذين اليومين ٠

وبعد تفكير ٠٠ اهتديت الى حل ٠ لماذا لا أشترى معلبات وأشياء جاهزة ، وأتناولها بحجرتي في مواعيــــد الطعام ؟ هل يــكون هذا أرخص ؟ هل يكون أغلى ؟ لست متأكدا بعد ٠

وفعلا . دخلت محل بقالة واشتريت : فرخة محمرة ، علبتي لبن كبيرتين ، ثلاثة باكوات فستق ، أربع تفاحات ، أربع أصابع موز ، برتقالتين ، طماطم ، ربع كيلو جبن سويسري ، صابونة وجه ، علبة أناناس ، زجاجتي بيرة ، باكو عيش ٠٠

ان هذه « الحمولة » كلفتني تســعة دولارات ، من بينهـا ثلاثة دولارات ثمن الدجاجة وحدها . دجاجة كبيرة .

و .. بهذه الدولارات التسعة لم أقض يومين فقط ، ولكن أربعة ، بغير الذهاب الى مطعم ، أو حتى الى كافيتريا الامم المتحدة .

ان جوهر المسألة هنـا هو أن الحياة المنزلية ، الحياة بعيدا عن المطاعم ، بعيدا عن المحـلات العامة ، تســتطيع أن توفر لك نصف التكاليف على الاقل في أى مكان في العالم ، فما بالك بأمريكا ؟

ان أي سلعة تصنعها الآلات في أمريكا هي سلعة رخيصة . وأى سلعة يدخل فيها مجهود بشرى يدوى سوف تصبح فورا سلعة غالية . قاعدة عامة .

ان مسح الحذاء مثلا يكلفك - بالبقشيش - حوالى نصف دولار . بينما لو اشتريت علبة ورنيش وفرشـاة وفوطة ( كلها في علبـة خاصة ) فانها ستكلفك دولارين وتكفى حذاءك لمدة شهرين على الاقل . لقد حدث مرة أن تآكل كعب حذائي . لقد استهلك من كثرة السير على الاقدام طبعا . وعندما دخلت محلا لتركيب كعب جديد للحذاء لم تستغرق العملية كلها أكثر من دقيقة واحدة . ولكنى عندما دفعت الحساب اكتشفت أن هذه العملية البسيطة قد دفعت فيهـا ثلاثة دولارات ، أي أكثر من ثمن الحذاء نفسه الذى اشتريته من القاهرة . ولمدة دقيقة أو دقيقتين . فكرت في أن اتوقف من الآن فصاعدا عن استعمال الحذاء حتى لا يحتاج لكعب جديد لماذا لا ؟ لماذا لا أسير حافى القدمين ؟ ان أحدا لن يستغرب هذا في نيويورك . انهم - حتى - قد يتصورونها مودة جديدة !!

ولكنى بسرعة طردت هذه الفكرة الجنونية من رأسى !

ان أفكارا جنونية - كهذه وغيرها - تستطيع أن تراها في أكثر من مكان في نيويورك شارع برودواى مثلا !

ان شارع برودواى هو شارع الليل في نيويورك . في الواقع انه شارع الليل والصباح والظهر والعصر .. وأى وقت ! في هذا الشارع تستطيع أن تقابل عربا ، يهودا ، صهيونيين ، فرنسيين ، انجليزا ، ألمانا ، كنديين ، وأمريكان طبعا . ان كل نوع من الناس موجود هنا : اللصوص قطاع الطرق ، النصـابون ، المومسات ، والمحترمون جدا !

كل شيء هنـا موجود : المسرح ، السينمـا ، الكباريهـات ،

الليل ، محلات القمـار ، مكتبات ، وخنافس . فى هذا الشارع تجد الجنس بمقـابل ، والجنس بلا مقـابل • الجنس فى الـكتب والمجلات ، والجنس فى الشارع ، والجنس على الشاشة ، ان كل شىء هنا مقبول • كل شىء جائز • كل شىء ممكن •

ان الوقت الآن هو الثانية صباحا ••

كنت عائدا الى الفندق بعد سهرة عند صديق • لم تكن لى رغبة فى النوم بعد ، فظللت أتجول في هذا الشـارع ، مجرد تجول • ربما للمرة المـائة .. ثم قررت أن أدخل سـينما . ان السينما هنا تعمل ٢٤ سـاعة فى اليوم • معظمهـا عرض مستمر • قيمة التذكرة تتراوح بين دولارين ونصف دولار الى ثلاثة دولارات •

ان أقرب سينما أمامى تعرض فيلما اسمه « مونيكا » • لست أتذكر الآن أسماء أبطاله • ولكننى أتذكر أن اعلانات الفيلم تحمل صورة نصف عارية لامرأتين ورجل ، مع هذه الكلمات : « **أخيرا •• وجدت مونيكا شيئا مشتركا تحبه مع زوجهـا** » ! انه اذن فيلم يدور حول الجنس • لماذا لا أجرب ؟ أهى مرة ••!

ودخلت السينما ••

لم يكن فى الصالة سوى عشرين أو ثلاثين شخصا متنـاثرين فى أماكن متفرقة . كل اثنين منهم يشـكلان فيلما فى حد ذاته ! لقـد اخترت آخر صف ، وجلست على أحـد كراسـيه ، وبدأت أتابع الفيلم •

**ان « مونيكا » زوجة شابة تعيش مع زوجهـا الشـاب وطفلين لهما فى سن الخامسـة أو السـادسة • انهما متزوجان منذ فترة قريبة اذن ، ومع ذلك •• فان الملل بدأ يحكم حياتهما بشكل ما • طبعا لابد من الملل بعد ست أو سبع سنوات أشغال شاقة !**

ان هذا الملل يبدو واضحا كل ليلة عندما ينام الزوجان معا • عواطف آلية ميكانيكية ، تفضل الزوجة عندها قراءة صحيفـة أو مجلة •• كلما بدأ زوجها يعبر لها عن حبه •

ثم •• حدث أن هذه الاسرة الصغيرة استضافت فتاة فرنسية جاءت لتقضى بعض الوقت مقابل خدمتهـا للاسرة • ومن اللحظة التى دخلت فيهـا الفتـاة الى المنزل •• لم يعـد أى شىء أبدا الى ما كان عليه • لا الزوج ، ولا الزوجة ، ولا الفتـاة نفسهـا •• أصبحوا شيئا عاديا منذ هذه اللحظة •

ان الزوج يغازل الفتـاة بعيدا عن مرأى زوجته •• بعد قليل

يمارس معها الحب فعلا • ولكن الفتـاة نفسهـا تبدأ في مغـازلة الزوجة •• التى تحس فى هذه اللحظة أن أشياء كثيرة فيهـا قد استيقظت فجأة ، بعد أن نامت منذ وقت طويل •

ثم يحـدث فى يوم أن يعود الزوج الى منزله فجأة ، ليكتشف أن زوجتـه تمارس الحب مع الفتـاة •• مع عشيقته • ان المنظر يفـاجئه ويربكه ، فيخرج سريعا من المنزل لا يدرى أين يذهب • وتظل حيرته ودهشته مسيطرة عليه •• الى أن يبحث عن النسيان فى أحضـان بائعة هوى • ولكنه لا يستطيع أن يفعل أى شىء مع بائعة الهوى هذه • انه يقص عليها ما حدث ويتساءل مندهشا : « هـذا غريب •• غريب •• اننى لم أقصر فى شىء •• لماذا أجد مونيكا فى هذا الوضع الشاذ ؟•• لماذا لم أجدها مع رجل مثلا ؟ ولكن لا •• لو كان الامر مع رجل لأصبحت خيـانة • ان مونيكا قطعا ما زالت تحبنى ، ربما كان هـذا الوضع أفضل •• أفضل كثيرا •• » !

ويعود الزوج الى منزله • ما زالت الدهشـة تغطى وجهـه ، والارتبـاك يسـيطر على عقـله • ان الثـلاثة يجلسون على مائدة العشاء صامتين : الزوج ، الزوجة ، وعشيقة الاثنين . ان أحدا فى الثـلاثة لا يكلم الآخـر .. فالزوجان مرتبكان ، لا يدرى كل منهما كيف يفسر الامر للآخر • ثم •• تتدخل الفتـاة ، العشيقة المشتركة • انهـا تقبل الزوج أمام زوجتـه • قبلة غرامية • ثم تقبل الزوجة أيضا قبلة مماثلة ، قبل أن تصحبهـا ـ على مشهد من زوجهـا المرتبك ـ الى حجرة النـوم ، الآن واجه الزوجان بعضهما • الآن أصبح كلاهما يفهم تماما علاقة الآخر بالفتاة •

**بعد قليل يلحق الزوج بالاثنين ويتساءل : هل ألحق بكما ••؟**

**وتكون الاجابة المشتركة من كلتيهما : طبعا .• هذا افضل كثيرا**

**و •• هـذا ما يقصـده الفيلم من أن « مونيكا » وزوجهـا قد وجدا أخيرا شيئا مشتركا يحبانه معا !**

**ما هى دلالات هذه القصة ••؟**

انها تعبير واضح عن الملل الذى يحكم الانسان الحديث بشكل عام • ان هـذا الانسـان ، فى بحثه عن مخرج من الملل والسأم الذى أصابه فى العصر الحديث ، قد أصبح مستعدا لقبول الحلول الشاذة التى رفضها المجتمع الانسـانى طويلا لاعتبـارات أخلاقية جوهرية • وحينما تتسرب هذه الحلول الشاذة الى الخلية الاساسية

فيالمجتمع ، الى الاسرة ، فلا ضمان بعد هذا لأيشيء ٠٠ أيشيء !

لقد خرجت من السينما في الرابعة صباحا لأجد أن بعضا مما رأيته حالا على الشاشة يجرى ـ بشكل مخفف ـ في الواقع ٠ نماذج غريبة وعديدة من الناس موجودة فيهذا الشارع ـ شارع برودواى ـ في هذا الوقت ٠

ان كل مدينة كبيرة فيالعالم لها شارع برودواى الخاص بها : في هامبورج تجد سان باولو ٠ في باريس تجد بيجال ٠ في لندن تجد حى سوهو ٠ في طوكيو تجد هي الجينزا ٠ فىنيويورك تجد شارع برودواى ٠٠

ان كل شارع من هذه الشوارع هو شارع الليل ٠ كل هنا ـ في هذه الشوارع والاحياء ـ يغمض المجتمع احدى عينيه ٠ هنا يوارب المجتمع بابه الاخلاقي قليلا ٠ هنا تجد الباب نصف مفتوح ٠٠ نصف مغلق ٠ هنا تستطيع أحيانا أن ترى كيف يتصرف المجتمع بعد منتصف الليل ٠ ان الرتوش تختفى من شارع الليل ، من هنا ٠ لا أحد هنا يدعى الفضيلة ، يدعى الاحترام ، يدعى الاخلاق ٠ لا أحد هنا منافق ، أو مزدوج الشخصية ٠ كل واحد على طبيعته : النصاب ٠٠ نصاب ٠ المحترم ٠٠ محترم ٠ العاهرة ٠٠ عاهرة ٠

**حسنا ٠٠**

لقد وقع صديق لى مرة فيأيدى عاهرة ٠ فتاة منفتيات الليل هؤلاء اللاتى أراهن في شارع برودواى ٠

اننا نستطيع من الآن أن نفترض أن صديقى اسمه فخرى ٠ انه ليس الاسم الحقيقى طبعا ٠

ان فخرى خفيف الدم ٠ فخرى فيأواخر الثلاثينات منعمره ، نحيل القوام ، خفيف الشعر ، بنظارة طبية على عينيه ، ونظرة استهتار دائمة في عقله ٠ نظرة صحبها معه الى نيويورك عندما هاجر اليها منذ سنوات ٠ طبعا ٠٠ فالناس لا تتغير طبيعتهم من اليمين الى اليسار في سن الاربعين !

**لقد سألنى فخرى قبل سفره الى أمريكا : ما رايك ؟**

**وقلت له وقتها :** تستطيع أن تهاجر ٠٠ ولكن ليس الى أمريكا ٠ هذه نقلة كبيرة عليك في هذه السن المتأخرة ، وهذه الامكانيات المحدودة ٠

ولكنه لم يقتنع ٠ لقد كان قراره بالهجرة الى أمريكا بالذات

قرارا غير قابل للتغيير • لهـذا عاد يسألنى من جـديد : ما هو أرخص فنـدق تنصحني بالنزول فيه فى نيويورك ؟ وقلت له : جمعية الشبان المسيحيين •

ثم •• سافر صديقى منذ سنة ، ونزل فى هذا الفندق •

ولكنه ــ كما هى العـادة غالبا ــ لم يتمكن من النوم فى أول ليـلة بسبب فرق التوقيت ، فترك حقـائبه فى الحجرة ونزل فى أمسيته الاولى يتجول فى شـوارع نيويورك ، الى أن وصـل الى شارع برودواى • ان هذا الشـارع ــ كجزء من نيويورك كلها ــ هو غابة • اذا تصرفت فى الغابة بحكمة أصبح برودواى بالنسبة لك مجرد شارع • اذا لم تتصرف بحكمة تحول كل ركن فى هذا الشارع الى غابة ضخمة ••

و ••• هـذا ما حدث مع صديقى فى ليلته الاولى فى شـارع برودواى •

**لقد فوجىء أثنـاء سيره فى شـارع الليل هذا بفتـاة وسيمة واقفة تقول له : هاى ••**

ورد عليها فخرى بابتسامة عريضة : هاى ••

**انها تسأله : ممكن تقول لى الساعة كام لو سمحت ••؟**

ورد عليها فخرى : الساعة العاشرة مساء •

الى هنا والامر عادى جدا • بعد لحظة لم يعد أمرا عاديا ••

**قالت الفتاة بابتسامة تتسع شيئا فشيئا : يظهر انك غريب هنا**

ورد فخرى بانجليزية خجول ولهجة تأمل متعة : آه .. فعلا .

**ــ يا ترى وصلت امتى ؟**

ــ لسه واصل النهارده ••

**ــ وياترى نازل فين ••؟**

ــ أبدا •• نزلت فى جمعيـة الشبـان المسيحيين ، بخمسـة دولارات فى الليلة •

قالت الفتاة الوسيمة بلهجة مستنكرة : ياه ..! خمسة دولار ؟! يعنى مائه وخمسين دولارا فى الشهر •• فى مكان بهذه القذارة ؟

واحتـار فخرى بماذا يرد • وأنقذته الفتـاة نفسها حينما بدأ الاستنكار فى لهجتها يتجه تدريجا نحو الرقة : اسمع •• انت باين عليك ابن حـلال •• أنا مستعـدة أفرجك على شقـة أنظف وأرخص بكثير جدا ، وهى هنا •• فى وسط نيويورك •

وتساءل فخرى : أرخص ؟•• يعنى بكام ؟

ردت الفتاة ـ وما زالت الرقة تتزايد فى صوتهـا ـ وقالت : بمائة دولار فى الشهر فقط .. شقة كاملة تستطيع أن تفعل فيها أى شىء ..

بعد قليل غمزت الفتاة لفخرى بعينيها ، وتحولت الرقة الزائدة فى صوتها الى اغراء .. قالت الفتـاة : فى هذه الشقة تستطيع أن تفعل أى شىء ، تنام .. تطبخ .. تغسل .. و .. تحب !

يا نهار أبيض ..!

كل هذه التسهيلات والاغراءات والخدمات من فتاة ترى فخرى لأول مرة فى نيويورك ؟.. ياسـلام .. ظريفـة هـذه المدينـة نيويورك .. ان الناس فيها ينجذبون لفخرى من أول نظرة ، بينما لم يكونوا يفعلون ذلك فى القاهرة . طبعا .. فرق كبير .. آدى الناس .. آدى البنـات .. والا بلاش ! تاكسى .. تاكسى .. الى .. الى .. الى أين ؟

ومدت الفتاة يدها بالعنوان مكتوبا الى سائق التاكسى .. خمس دقائق ، عشر دقائق .. ثم أصبح الاثنان فى داخل الشقة ..

ما هذه الشقة .. ما هذا الجمال .. ما هذا الصالون الفاخر ؟ ما هذا الذى .. الذى تفعله الفتاة مع فخرى ؟

انها تحتضنه ، تقبله ، تقول له « كم أنت لطيف يا حبيبى ! »

يا ساتر ! « حبيبى » مرة واحدة .. لا .. لا .. هذه المدينة نيويورك هى قطعا أحسن مدينة فى العالم ! هذه الليلة هى قطعا ليلة مفترجة ..

كانت البشائر كلها تدل على أن الليلة سوف تكون «مفترجة» حقا ان الفتـاة لا تنتظر . ان سحر فخرى هو قطعـا الذى جعلها تزيل كل الحواجز فى خمس دقائق . انهـا كانت تحتضنه منـذ دقيقة . انهـا الآن تحتضنه بقوة أكثر ، بغرام أكبر ، ولكنهـا تتذكر فجأة أن فخرى غريب ، وأنه ربما يكون مسلما . ممكن .

« هل أنت مسلح يا حبيبى ؟ » ، هكذا تسـاءلت الفتـاة من مقرها فى أحضان فخرى . تساءلت .. وهى تتلمس مسدسا أو سكينا فى جيوبه ..!

وابتسم فخرى سـاخرا من حذر الفتـاة . ان شخصا وسيما مثله لا يحتاج لأية احتياطات .. خصوصا فى مثل هذه المواقف الملتهبة .

ولكن ابتسامة فخرى لم تدم طويلا ..

فبعد ثانية أو ثانيتين ، انفتح الباب فجأة ، ودخل رجل . رجل عملاق — ان الرجل مندهش من وجود فخرى .. طبعا من المؤكد أن هذا الرجل يحب الفتاة ، وأنه مندهش الآن لانها تخونه مع رجل آخر ..

ان شيئا من هذا القبيل دار فى رأس فخرى قبل أن يصيح الرجل فى وجهه :

— بتعمل ايه هنا يا مجرم ؟!

مجرم ..؟ ان فخرى ليس مجرما بعد .. انه .. انه ماذا ؟ احتار فخرى فى رده على الرجل . أما الفتاة .. فقد بدا عليها هى الاخرى أنها لا تدرى أيضا كيف تتصرف ..

ولكن الرجل العملاق تصرف . لقد أخرج سكينا وضغط عليها فكادت تلامس وجه فخرى .. بهذا السكين قال الرجل لفخرى آمرا : اطلع بره .. بره .. لو شفتك معاها تانى هاقتلك .. فاهم يعنى ايه ؟.. هاقتلك ..!

وفى أقل من ثانية واحدة كان فخرى فى الشارع .. الحمد لله .. الحمد لله .. لقد أنقذ حياته من سكين هذا الرجل المجنون . المجنون حبا بفتاته .

وبحركة تلقائية من فخرى — فهو الآن فى الشارع — أخرج منديلا يمسح به كل هذا العرق الذى تصبب من وجهه . مع المنديل أخرج سيجارة يخفى بها توتره . هذه آخر سيجارة فى العلبة .. لا بأس . فليشتر علبة سجائر ، لعلها تكفى لنسيان هذه الدراما الغرامية ..

وعندما مد فخرى يده الى الدولارات فى جيبه ليشترى سجاير اكتشف أنه لا توجد دولارات ، لا فى هذا الجيب ولا فى أى جيب آخر . لقد سرقت الدولارات من فخرى فى ليلته الأولى . سرقتها الفتاة عندما تلمست جيوبه بحثا عن مسدس أو سكين . يا نهار أسود .. الدولارات ؟ كيف ذهبت الدولارات ؟ لقد اختفت . طارت الثلاثمائة دولار التى خرج بها فخرى من مصر . طارت الثروة . طار رأس المال . طار المال . وطار الرأس أيضا مع المال ! ملعونة نيويورك ، والناس فى نيويورك .. والبنات فى نيويورك ..

× × ×

ولكن المسألة فى الواقع لم تكن فى نيويورك ، ولا فى بنات

نيويورك • فهذه الحكاية نفسهـا يمكن أن تحدث فى نيويورك أو في غير نيويورك • وهـذا النوع من النـاس يمكن أن يوجد فى القاهرة مثلما يمكن وجوده في نيويورك .

هـكذا قلت لفخرى عنـدما قص على الحـكاية • قلت له : ان الانسـان ليس محتـاجا للقـدوم الى نيويورك لكى يقع له هـذا الحـادث • تعـال معى الى أى مكان فى العـالم ، وتصرف بنفس الاسلوب ، وسوف يحدث لك أسوأ من هذا ••

ان هذه الحكاية لها عندى دلالات كثيرة •

فرغم أن فخرى استدعى الشرطة بعد ذلك ، ورغم أن الشرطة حاولت مسـاعدته في الحـدود التى تستطيعهـا ، الا أن الدرس ما يزال قائما عند فخرى حتى الآن • انفخرى الآن أصبحيتعرف كمهـاجر ، وليس كطالب متعة • ان الزوارق الصغيرة يجب ألا تبتعد عن الشاطىء •

و •• أنت لم تبتعد عن الشاطىء ! فى الواقع أننى أكاد أراك « تبحلق » مثلى فى فاترينـات المحلات يمينا ويسارا • معقول • أنت ما زلت فى شارع برودواى • ناطحـات السحاب أمامك • دور السينما على يمينك ويسارك • المحلات أمام عينيك •

سوف تلاحظ أن هـذه المحـلات تعلق لافتـات ضخمة تقول « أوكازيون •• هـــذه هى الايام الاخـــيرة للأوكازيون » • ان الاوكازيون فى أمريكا معناه أن السلعة التى تسـاوى مائة دولار تباع بثلاثين دولارا فقط • هـذا هو الاوكازيون كما يتم فى كل المحلات الكبرى فى أمريكا • كل المحلات ، ولكن ليس فى هـذه المحلات الصغيرة بشارع برودواى • هذه المحـلات بالذات • ان أى سلعة تشتريهـا من أى محل كبير فى أمريكا تستطيع – اذا لم تعجبك – أنتعيدها للمحل خلال أسبوع من شرائها وتستعيد كل نقودك •• مالمتكن ملابس داخلية • الملابسالداخلية ممنوع اعادتها بحكم القانون •

كل هذا ممكن فى أى محل . . ولكن ليس فى هذه المحلات الصغيرة المتجاورة فى شـارع برودواى. فلافتة الاوكازيون معلقة علىهذه المحـلات فى مكانها هذا دائما . ربمالانهم يعرفون أن القادمين الى برودواى هم كالقادمين من الارياف الى شارع الموسكى بالقاهرة . ربما لانهم يعلمون أن المستهلك الغريب لايعرف بعد أن هذهالبضائع التى يبيعونها فى برودواى قديمة . ربما لان كلمة « أوكازيون »

سـوف تجعلك تشترى ما لم تكن تنوى شراءه . او ربما لان اصحاب معظم هذه المحلات فى برودواى هم .. يهود !

x x x

هذا هو المكان المناسب لمقابلة اليهود فى امريكا ! انهم هنا منتشرون فى شارع برودواى — ثم فى نيـويورك كلها — يملكون المحلات ، الكباريهات ، يعملون فى التجارة ، يضاربون فى البورصة ، يساهمون فى الصحف ، يديرون الشركات . انك تحس أن اليهود ليسـوا جنسا ، ولا كان لهم دين . تحس فقط انهم مجموعة اقتصادية . تحس ان المساومة هى تخصصهم ، والتجـارة عملهم ، والسمسرة صناعتهم ، والنقود آلهتهم .

هنا بالضبط ، فى برودواى ، فى نيويورك ، ثم فى امريكا كلها .. تستطيع أن تتأكد ان اسرائيل هى هذا : عقل صهيـونى ، وجيب يهودى ، واسنان أمريكية !.. ان العقل الصهيونى يفكر للعدوان ، والاموال اليهودية تسـدد فاتورة الحساب ، والاسلحة الامريكية تكفل الحمـاية .

هنـا يوجد ستة ملايين يهودى — أى أكثر من سكان اسرائيل نفسها . انهم أقلية فى أمريكا .. ولكنهم يتركزون فى مدن مثـل نيويورك ، شيكاغو ، فيلادلفيا ، لوس انجلوس .. وكلها مدن تمثل مفاتيح لولايات كبرى فى أمريكا واقتصادها . انهم — منذ سنة ١٩٤٨ — هم البنك الذى يسدد معظم فواتير اسرائيل . لقد اعطوا لاسرائيل فى سنتها الاولى مسـاعدات نقدية ونوعية زادت قيمتها على مائتى مليـون دولار . مبلغ ضخم من راس المال لايساوى الا الحصة التى تسلمتهـا الحكومة الامريكية الفيدرالية نفسها فى تلك السنة .

وفى السنوات الآثنتى عشرة التالية اعطى يهود امريكا لاسرائيل مليون دولار . واشتروا سـندات اسرائيليـة بأكثر من نصف مليون دولار .

انهم يستقبلون كل سنة مئات من المبعوثين والرسميين القادمين من اسرائيل . لقد جاءوا الى امريكا لكى يجمعوا ، يجمعوا ، يجمعوا التبرعات . تبرعات معفاة تماما من الضرائب .

انهم — خلال اهتمامهم الخاص باسرائيل — وخلال قانون العرض والطلب فى السياسة الامريكية والاعلام الامريكى ، خلقوا مناخا ادى الى ارتفاع ثمن العواطف الامريكيـة نحو اسرائيل الى الحد الاقصى ، وارتفاع قيمة النتائج العملية لهذا المنـاخ الى الحد الاقصى ايضا .

فبالقياس النسبي للمساعدات الامريكية التي اعطيت لاسرائيل منذ قيامها .. نجد أنه أعلى معدل مساعدات اعطتها أمريكا لاى دولة فى العالم ، وان اسرائيل تحصل الآن ، دائما على مركز الدولة الاكثر تفضيلا فى مجلات عديدة . وبدون هذه المساعدات ، لم تكن اسرائيل تستطيع امتصاص اى مهاجرين جدد أو خوض ثلاث حروب فى الشرق الاوسط .

وليس من الضرورى أبدا أن يكون كل يهودى امريكى هو - أوتوماتيكيا - شخصا صهيونيا مؤيدا لاسرائيل . انك فى الواقع سوف تجد يهودا امريكيين يعارضون الصهيونية والنشاط الصهيونى فى أمريكا نفسها . أشخاصا مثل : الفريد ليلنتال ، ايلمار بيرجر ، موريس كوهين ، موشي مينوهين .. وغيرهم . لهذا يجب أن تكون التفرقة فى كلماتك واضحة بين اليهودى والصهيونى .

ان اليهودى ليس هو الشخص الذى نعاديه هنا فى الشرق الاوسط ، فى الواقع اننا لم نعاده فى اى وقت . وحتى فى الوقت الذى اضطهدته أوربا كنا نحن نسمح لليهود بأن يصبحوا وزراء - رينيه قطاوى مثلا وزير المالية فى أوائل العشرينات . وسمحت لهم بأن يمتلكوا الشركات والمحلات التجارية : محلات داود عدس وبنزايون مثلا . وسمحنا لهم بتأسيس البنوك : بنك الرهونات وشركة سوارس مثلا » سمحنا لهم بعضوية مجلس الشيوخ - رينيه قطاوى باشا مثلا - وبالعمل فى الاذاعة المصرية - ميشيل برايت داى مثلا ، وبالسيطرة على الصحف قبل حرب فلسطين عن طريق شركة الاعلانات الشرقية مثلا .

ليس لدينا اذن اى شىء ضد اليهودى كيهودى ولكن لدينا كل العداء فى العالم ضد الصهيونى .

ونحن نستطيع أن نفرق بين اليهودى والصهيونى ببساطة شديدة : فاليهودى هو مجرد فرد ينتمى الى دين معين . بينما الصهيونى هو نفس هذا الشخص حينما ينتمى الى حركة سياسية ذات أهداف توسعية استعمارية فى الشرق الاوسط - هى الحركة الصهيونية .

× × ×

هذه الحركة الصهيونية هى التى ستواجه نشاطها فى امريكا كل يوم : فى الصحف ، فى الاذاعة ، فى التليفزيون ، فى الجامعات ، فى دار سينما ، فى بار ، فى كباريه ، فى منزل صديق امريكى ، فى الشارع الخامس بنيويورك يوم ١٥ مايو كل سنة .

انك سوف تسمع عنها من خلال منظمات صهيونية كثيرة -

منظمات مثل « اللجنة اليهودية الامريكية » أو « اللجنة الاسرائيلية الامريكية للشئون العامة » أو « لجنة الدفاع اليهودى » أو « المنظمة الصهيونية الامريكية » أو .. أو ..

انها منظمات تقيم شبكة عنكبوت ثقافية ونفسية حول المواطن الامريكى .

حسنا .. هذا هو ماسوف تواجهه فى امريكا : المواطن الامريكى نفسه . انك سوف تجد مواطنا أمريكيا يسألك ــ بمنتهى حسن النية : لماذا ترفضون السلام .. ؟ لماذا تريدون ازالة اسرائيل ؟ لماذا تريدون القاء اليهود فى البحر ؟

وسوف تبتسم ــ مثلما فعلت أنا مرات عديدة ــ وأنت ترد : حسنا ، نحن نريد السلام . ليس هذا هو السؤال .. ولكن السؤال هو : السلام .. ابتداء من متى ؟ ابتداء من سنة ١٩١٧ ؟ من سنة ١٩٤٨ ؟ من ١٩٥٦ ؟ من ١٩٧٦ ؟ من الآن ؟ السلام .. كلمة ساحرة يرددها الجانى والمجنى عليه ، مع اختلاف كبير فى النتيجة . تخيل لصا طردك من منزلك بالقوة ، واحتله بالقوة ، ثم جاء يقول لك مقسما : تعال ننسى الماضى . لقد احتللت أنا المنزل وانتهى الامر .. تعال نتصافح ونصبح أصدقاء من الآن .. مارأيك ؟ هل يلومك الناس لانك ترفض مصافحته ومسالمته قبل اعادة المنزل اليك . . . ؟

فى هذه اللحظة ربما يبدو على الامريكى لاول مرة بعض التردد وهو يقول لك : لا .. طبعا ، ولكن .. انتم ترفضون أشياء كثيرة . ترفضون حتى «الاعتراف بدولة اسرائيل .. ترفضون حرية الملاحة » ترفضون «المفاوضات المباشرة » ، ترفضون «انهاء حالة الحرب» ..

مرة أخرى ربما يكون ردك شيئا مثل هذا : سيدى .. كل ماتقوله الآن هو وجوه مختلفة لمشكلة واحدة . كلها نتائج فرعية لمشكلة واحدة أساسية . ان اسرائيل ــ والصهيونية ــ تريد من العالم أن يقرأ الكتاب من صفحته الاخيرة ، ونحن نريد من العالم ــ فقط ــ أن يقرأ الكتاب من صفحته الاولى قبل أن يحكم عليه . هناك مليونان من الفلسطينيين مطرودون الآن من منازلهم ، مشردون خارج ديارهم . الى أن يستعيد هؤلاء حقوقهم ، فلن يحدث اعتراف أو مفاوضات أو انهاء لحالة الحرب .

ــ اذن .. هل ستحاربون من جديد .. ؟

ــ مؤكد . . .

ـ ولكن اسرائيـل هزمتكم فى ستة ايام سنة ١٩٦٧ .. فلماذا لاتعترفون بالواقع وتسالمونها ؟ .

ـ سيدى .. فى سنة ١٩٤٠ تراجع الجيش الفرنسى امام القوات النازية وانهار فى ثلاثة اسابيع فقط من بداية العمليات العسكرية.

وفى نفس الحرب العـالمية الثانية واجهت القوات الفرنسية والانجليزية أبشع انسحاب عسكرى فى دنكرك . وفى تلك المعركة انسحب ٢٢٤ الف جندى بريطانى ، ١١٤ الف جنـدى فرنسى ، علاوة على مليون جندى وقعوا فى الأسر . وفى سنة ١٩٤١ تراجع الجيش السوفيتى أمام الجيش النازى ٤٥٠ ميلا خلال ثلاثة أسابيع فقط . وخلال شهر وقع فى الاسر أكثر من مليون ونصف مليون جندى روسى . وفى نفس السنة أيضا حطم الاسطول البحرى الامريكى فى بيرل هاربور بضربة واحـدة . لقد هاجمته اليابان ب ٣٦٠ طائرة فى وقت واحد قبل الفجر . وخلال ساعة واحدة ـ وليست ستة أيام ـ تحطمت كل البوارج الامريكية الضخمة الراسية فى بيرل هاربور ... فلماذا لم تسالموا اليابان بعد بيرل هاربور ؟ ولمـاذا لم يفعل الاتحاد السوفيتى ، ولم تفعل بريطانيا .. مع المانيا النازية ؟ هل كان السلام شيئا منطقيا فى تلك الظروف ؟

**وبسرعة يرد الامريكى:** لا .. لا . ولكننى أقول .. مافائدة أعمال « الأرهاب » هـذه التى يقوم بها « العرب » ضد اسرائيـل فى المناطق المحتلة ؟ . .

ـ اولا .. هـذا تحرير لارض محتلة ، وليس ارهابا . ثانيا ان الذين تسمع عنهم هم فدائيون فلسطينيون .. كانت هذه الارض أرضهم وارض أجدادهم .. انهم ـ بتعبير موشى مينوهين الكاتب المعـادى للصهيونية رغم أنه يهودى ، وأمريكى مثلك ـ هم .. « شباب غاضب قادر جسمانيا ، نفى من وطنه وبيته فى فلسطين ، وحكم عليه بحياة لاتحتمل ، وغير قادر على ابتلاع تعاسته وبؤسه فى المنفى .. يشاهدون كل يوم منازلهم وأماكن عملهم أو حدائقهم ، وابقارهم وعنزاتهم وثمار حقولهم وبساتينهم يستمتع بها الغزاة الاسرائيليون . انهم ... يعبرون الحـدود ليستردوا شيئا من منازلهم ، فيقتلوا الاسرائيليين أو يقتلهم الاسرائيليون » .

**ان الامريكى يتساءل فى هذه النقطة ، مندهشا :** هل قلت أن هذه المنازل كانت منازلهم ، وانهم كانوا أصحابا لتلك الارض ؟

ـ نعم .. قلت ذلك . ان فلسطين لم تكن أرضا خالية من السكان هل تقبل يامستر ريتشارد أن يبيع لك المستر جون بيتا يملكه المستر

بيتر ؟ هذا ما حدث بالضبط . ان بريطانيا ، واهى لاتملك، باعت للحركة الصهيونية .. وهى لاتســـتحق .. ارضا يملكها طرف ثالث .. هو الفلسطينيون .

x x x

ان المناقشة قد تنتهى بصديقك الامريكى وهو يتمتم بكلمات مبهمة. كلمات مثل « لست أدرى .. » أو « لست متأكدا .. » أو « هذه حقائق جديدة على تماما .. »

وهذا صحيح الى حد كبير .. !

انها حقائق جديدة عليه . فطوال عملية « غسيل المخ » التى تمارسها الدعاية الصهيونية مع المواطن الامريكى العادى .. يترسب لديه أن العرب هم ناس اقطاعيون ، متخلفـــون استبداديون ، بدائيون .. وان اسرائيل جاءت الى فلسطين لكى تعمر صحراءها ، تزرعها ، وتضع فيها مشعلا للحضارة الغربية .

بكلمات أخرى : نحن ــ العرب ــ هنود حمر .. واسرائيل هى الرجل الابيض .. فى الشرق الاوسط . صـــورة جذابة طبعـا للتفـــكير الامريكى .

**لهـذا السبب تحارب الصهيونية وجود أى عربى فى امريكا . وهى تحاربه أكثر كلما كان ناجحا أكثر .. فى الدراسة .. فى العمل .. فى الوظيفة .. فى التجارة .. او فى الثقافة . انها تحارب وجوده فى امريكا ، لان مجرد وجوده هو ــ فى حد ذاته ــ دليـــل حى على انتمائه لشعب متعلم مثقف ، متحضر . ان مجـــرد وجوده يعنى أن خمسة أمريكيين سيعرفون حقيقة الصراع فى الشرق الاوسط . خمسة ، عشرة ، عشرين امريكيا ــ تحتاجهم الحركة الصهيونية واسرائيل ــ سوف يبدأون فى التساؤل . لهذا فانك كمهاجر ــ وحتى قبل أن تفتح فمك ــ تمثل خطرا متحركا ، حقيقة متحركة على قدمين ، تمثل وجهة النظر الاخرى المحرم انتشارها .**

واكثر من هـــذا ، ربما تفاجأ بوجود انطباعات اكثر تزييفا عن حقيقة الصراع فى الشرق الاوسط . ومن المؤكد انك ســوف تجد معظم الصحف الامريكية تكرر لقرائها كل صباح أن امريكا تحارب الاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط ، وهذا بالضبط ماتسعى الى تأكيده ــ ويريده ــ العمل الصهيونى الاسرائيلى فى الولايات المتحدة .

لقد عملت اسرائيل منذ مدة طويلة سابقة لخلق هذه الصورة لدى الرجل العادى الامريكى . فمبكرا ــ منذ سنة ١٩٥٧ ــ اصـــدر ابا ايبان ــ وزير خارجية اسرائيل الحالى ــ كتابا بعنوان : « صوت

اسرائيل » . الكتاب هو مجموعة من المحاضرات والخطب التى القاها أبا ايبان فى مدن الولايات المتحدة عندما كان سفيرا لاسرائيل هناك. بالضبط ٢٢ محاضرة وخطابا .

والفكرة الرئيسية التى لاتغيب مرة فى هـذا الكتاب هى اصرار ايبان على ربط مصير اسرائيل بمصير السياسة الامريكية بصفة عامة فى الشرق الاوسط . انه يقول : ان اسرائيل دولة صغيرة ، حديثة ، مسالمة وديمقراطية .. وتريد العيش فى سلام.. بينما يحيط بها جيران كبار واقرباء وعدائيون واقطاعيون . وازاء الرعب (!) الذى تعيش فيه اسرائيل فانها أحيانا تجد نفسها مضطرة (!) لان تهب الى الدفاع عن نفسها مثلما حدث فى سنة ١٩٥٦ (!) . واسرائيل بعملها هذا انما تدافع عن الحضارة الغربية نفسها »

ويستمر ايبان الى ان يصـل الى السطر الذى ظل يؤجله ٢٩٩ صفحة : ان الصراع بين الدول العربيـة المتحررة وبين اسرائيل هو فى جوهره صراع بين الشرق والغرب .. بين الاتحاد السـوفيتى والولايات المتحـدة .

يعنى : اذا كان على الغرب ان يدافع عن نفسه فى الشرق الاوسط .. فليبدأ بالدفاع عن اسرائيل . واذا كان الغرب يعيش فى حالة عداء مع العرب ، فليست اسرائيل هى السبب . ان هذا العداء العربى نحو الغرب هو عداء حتمى لادخل لاسرائيل فيه. انه عداء له أسبابه التاريخيـة الخاصة ، واسرائيـل ليست واحدا من هذه الاسـباب .

والمسألة التى لاشك فيها فعلا.. هى ان لدينا أسبابنا الخاصة لمعاداة السياسة الغربية . هذا صحيح . ولكن مسـاندة الغرب لاسرائيل هى راس هذه الاسباب . لقد اشتركت فرنسا فى التآمر على مصر سنة ١٩٥٦ وعاملهـا العرب بما تستحقه جزاء على هـذا التواطؤ . ولكن فرنسا ــ فى عهد ديجول مثلا ــ وقفت موقف الحياد فى صراع الشرق الاوسط ، وبالتالى فان العرب اعلنوا لها عن تقديرهم لهذا الموقف . ولم يقف عربى واحد ليعلن : أن عداءنا نحو فرنسا هو مسألة « حتمية » . مسألة قدرية ، لامفر منها ولا فكاك .

و ...

انت الآن متعب ..! لقد تعبت من السير والفرجة والانبهار والمناقشـة والتجربة . ربما تبحث الآن عن تاكسى لتعود به الى الفندق . ربما تكتشف فجأة أن سائق التاكسى لبنانى ، مثلما حدث معى مرة . لقد طار الرجل من الفرحة عندما علم اننى مصرى ..

« .. اهلا اهلا .. يابن عرب . أنا اسمى حبيب عازر .. من بيروت .. مهاجرالىامريكا منذ عشرين سنة . لقد زرت بيروت منذ خمس سنوات فقط ، ولكننى زرت القاهرة أيضا قبل عودتى .. كانت أسرتى ـ التى صحبتها معى ـ تريد ذلك .. تتمنى ذلك .. أنت تعلم طبعا .. ان الشرق يبـــدأ من القاهرة .. ان السحر كله فى القاهرة » ..

ربما يحدث لك هذا . . ربما لايحدث ..

ولكن المؤكد فى هذا كله أنك ستعود الى الفندق سيرا على الاقدام فى ١٥ دقيقة ـ لاتاكسى ولا اتوبيس . سوف تعود متعبا مرهقا . وقبل أن تستلقى على السرير سوف تستعيد فى رأسك كل الانطباعات التى تكونت لديك اليوم . ان معظمها ما زال بعد انطباعات شخص عابر ، انطباعات زائر ، انطباعات الـ ٢٤ ساعة الاولى ..

مازالت امامك فترة طويلة قادمة لتفهـم المجتمع الامريكي من الداخل ـ تفهم المشاكل الاكثر عمقا ، والتيارات الأكثر قسوة .. التى جعلتك تنبهر اليوم كل هذا الانبهار .

حسنا .. هذه مهمة الفصل التالى .

الفصل الثامن :

نظرة على المجتمع الأمريكي :

# مستر أمريكا !!



ليس فى امريكا مجتمع . فى امريكا زحام من الناس !

ليس فى امريكا اغلبية . فى امريكا مجموعة من الاقليات ! .

هــذه هى الحقيقة الاولى التى يجب أن تعرفها عن امريكا . ان الولايات المتحـدة هى ولايات .. غير متحدة . ان المجتمع الذى يعيش فى هذه الولايات يشهد فى السنوات الاخيرة انقسامات مريعة تستطيع ان تلمس مظاهرها اينما تذهب . هنــاك الفقير ، وهناك الغنى . هناك الجنوب ، وهناك الشمال . هناك الاســود ، وهناك الابيض. هناك القديم ، وهناك الجديد . هناك المناصر للحرب غير الشريفة فى فيتنام ، وهناك المعادى لها و .. اهم من هذا كله ، هناك

**الجيل الذى يجلس فى كرسى السلطة .. والجيـل الذى يخضع للسلطة . جيل حقق القوة لبـــلاده .. بغير شرف ، وجيل يريد الشرف لبلاده حتى بغير قوة .**

**أقول انك لن تجد فى امريكا مجتمعا .. ستجداولا هذهالمشاكل : العنصرية ، التضخم ، روسيا ، السخط ، الجريمة والمظاهرات ، فيتنام ، المافيا التجنيد ، الاجهاض المخدرات .**

**ولن تجد فى امريكا اغلبية . سوف تجد اولا مجموعة منالاقليات: وهى الســـود ، الكاثوليك ، اليهود ، المكسـيكيون ، الصينيون ، الايطاليون ، البولنديون ، البورتريكيون ، الشباب ، المثقفون .**

**لهذا السبب فان المهاجر لن يجد نفسه فى بلد آخر فقط ، انما فى جو آخر ، اخلاقيات أخرى ، قيم اخرى ، وقواعد أخرى متعبة .**

ان هـــذا الاختلاف موجود بقدر مافى امريكا اناس مختلفون ، جاءوا من بلاد مختلفة ، وثقافات مختلفة . اختلافا تلمس مظاهره كل خمس دقائق . حينما تتكلم ، تعمل ، تدرس ، تنجح ، تشترى طعاما ، ترتدى ملابس ، تدخر ، تستثمر تخطط ، تركب،، تبنى ، تبتكر ، باختصار .. حينما تعيش .. فلابد أن تعد نفسك مقدما لتقبل ظروف مختلفة ونتائج مختلفة ، وحسابات مختلفة .

والسبب فى هـذا كله أن المجتمع الامريكى هو مجتمع من نوع خاص .. مع تحفظات كثيرة على كلمة «مجتمع» هذه . السبب هو ان الشخصية الامريكية المعاصرة هى نتيجة تفاعل بيئة وناس . . كلاهما مختلف ومتنوع ومعقد .

انه من الاصل . مجتمع من المهاجرين . ان الذين هاجروا الى امريكا فى البـداية ذهبوا الى هناك بحثا عن حلم فى راسهم . الحلم الامريكى كما يسمونه الآن . حلم بولادة جديدة ، شوقلفرصـــة ثانية . امريكا كانت هى فرصتهم الثانية .

فى مثل هذا المجتمع لا يستطيع الناس أن يتفقوا على اشـياء كثيرة . انهم لا يتفقون سوى على اشـياء قليلة فقط . اشـياء تمثل الحد الادنى اللازم لجعل الحياة تتحرك ، تسير الى الامام . اشياء قليلة .. عملية .. من السهل أن يفهمها الجميع . ويتفق عليها الجميع . لهذا يختلف المجتمـع الامريكى كثيرا على ما هو اخلاقى ، ما هو مثالى . ضرورى أن يختلف . ولكنه يتفق بسرعة على ما هو عملى ، ما هو علمى ما هو تكنـولوجى . لان العـلم والتكنولوجيا لايمكن ان يكونا سيئة أو طيبة فى حد ذاتها . لايمكن أن يكون لهما اخلاقيات خاصة بهما .

من هنا يمكن أن نفهم خصائص كثيرة للمجتمع الامريكى المعاصر.
انه مجتمع يعبد العقل الالكترونى باكثر مما يعبد السيدة العذراء . انه متدين أكثر منه مؤمنا . ان الخطيئة بالنسبة له كلمة لا يتذكرها الا كل يوم أحد . ان الخطيئة الوحيدة التى تستطيع أن ترغمك على تذكرها كل دقيقة هى : الفقر . ان تكون فقيرا فى امريكا يعنى أشياء كثيرة . يعنى : الفقر ، الحرمان ، الشقاء ، البؤس ، الانعزال ، الوحدة .

وان تكون غنيا يعنى فى نفس الوقت اشياء كثيرة اخرى : المتعة، الحياة ، السياسة ، الزعامة ، القوة ، السلطة ، الحرية ، الشهرة ، النفوذ .

ان العائلة المحترمة والاصل الطيب فى أمريكا امر طيب .. ولكن دفتر الشيكات هو الذى يستطيع أن يزيل من طريقك كل العقبات . كل الحواجز . لهذا لم تنتج أمريكا شكسبيرا آخر أو بتهوفن ، أو اينشتاين . انها لم تفعل ذلك لان ابطال المجتمع الامريكى ليسوا سياسيين ، ولا مصلحين ، ولا اخلاقيين ، ولا فلاسفة ، ولا فنانين . انهم رجال اعمال . رجال مثل كارنيجى ، روكفلر ، فورد ، أديسون .

ان اسوا مصيبة يمكن أن تحل بحزب سياسى فى أمريكا هى وقوع كساد اقتصادى خلال حكمه . وحتى الآن لم يغفر الامريكيون للحزب الجمهورى أن كساد سنة ١٩٢٩ وقع خلال حكمه .

واسوأ ما يمكن ان يقال ضد قانون فى أمريكا هو انه يضر بالتجارة . ان أى شىء يعد بزيادة الثروة يعتبر أتوماتيكيا شيئا طيبا . لهذا تحمل الامريكى المعاصر بصبر أسوأ مظاهر التصنيع . ويتحمل بعد هذا كله مصائب أخرى كثيرة : المضاربة ، الاعلان ، الاستغلال ، تلوث الطبيعة .. الخ .

ان هذا كله ادى الى اعطاء لون كمى وعددى للشخصية الامريكية . ان الامريكى المعاصر لا يستطيع أن يفهم تماما أى شىء الا اذا ترجمته اليه فى ارقام . ان مجتمعا يبتهج باحصائيات السكان ، بناطحات السحاب ، بطول السكك الحديدية ، بأرقام الانتاج ، بعدد الطلبة ، بطول الرحلة والمتعة فى البحيرات العظمى ، نهر الميسيسبى ، شلالات نياجرا ، تكساس ، انه سعيد جدا حينما يعثر على حل ميكانيكى للمشاكل : محلج القطن ، القارب البخارى ، ماكينة الخياطة ، التلغراف ، التليفون ، الآلة الكاتبة ،

العقــل الالكتروني ، وآلاف اخرى من الاختراعات التى ادخلهــا الامريكى فى حياته اليومية . ان كل شخص متعلم ، ولكن شركات التلغراف وجدت من الاربح لهــا أن تعد وســائل جاهزة مقدما للتعاطف أو التهنئة أو التعزية كل امراة ماهرة ولكنها لا يمكن أن تضيع وقتها فيما تفعــله المراة فى أى مجتمع آخر : التطريز أو تفصيل الملابس مثلا . ان الشيء الجـاهز أرخص . أنه ارخص لها وأكسب للمجتمع . لا داعى لان تضيع وقتك مفكرا فى الالفاظ المناسبة التى تهنىء بها صديقك . شركة التلغراف ستتولى هذا العمــل . لا داعى لان تضيعى وقتك فى تفصيل فستان بالشكل الذى تريدينه ، الفستان الجاهز ارخص بدولار ، بنصف دولار ، بربع دولار ، المهم أنه أرخص ولو بمقدار سنت واحد .

أقول ان الارقام هى اللغة الوحيدة المفهومة فى المجتمع الامريكى ان قيمة الانسان عنده هى كم يملك الان . قيمة كل فرد تقاس بمايكسبه ، بما يوفره . معك نقود .. المجتمع لك . معك الفقر .. المجتمع ضــدك . لا قيمة للشخص قبل أن تكون لديه نقود . وحين يملك النقود فقيمته تقــاس بمقدار هذه النقود . فى هذه الحدود يتلقى الاحترام والتبجيل والفهم من المجتمع . ان ما يهم فقط هو : كم فى جيبك الآن .. وفى هذه الدقيقة بالذات ؟ فمن الممكن أن تكون غنيا فى لحظة ، وفقيرا فى اللحظة التــالية . هذا معناه انك محترم فى لحظة ، وغير محترم فى اللحظة التالية .

**ان قيمتــك اذن هى رقم تقوله . رقم من أرقام كثيرة يتعامل بها المجتمع الامريكى . فالارقام عملة مقبولة فى كل مكان بامريكا . ان الارقام هنــا ليست فى النقــود فقط؟. ولكنهــا تمتد لتؤثر على كل شيء .**

**اذا أردت مثلا ان تفتح نافذة تطل منها على العقل الامريكى فلن تجد سوى أرقام الاستفتاءات واحصائيات الرأى العــام . معهد جالوب مثلا يقول ، ان نصف الامريكيين لم يأكلوا الاستاكوزا فى حياتهم .. واحد من كل سبعة فى الولايات المتحدة شعره احمــر اللون .. معظم النساء الامريكيات يفضلن تخسيس أنفسهن .. معظم الرجال لن يعترضوا على زوجاتهم اذا اســتعملن الالفاظ البذيئة علنا؟.. امريكى واحد من كل خمسة جاع مرة بسبب عدم وجود نقود .. كل جنتلمان فى امريكا يفضــل السمراوات على الشــقراوات .. اربعة من كل عشرة امريكيين تســلقوا جبلا فى حياتهم . اكثر من نصف الامريكيين شربوا الشمبانيا مرة واحدة**

**على الاقل .. ست زوجات من كل عشر يرين ان أزواجهن على شيء من الوسامة .. خمسة ملايين امريكى مستعدون للتطوع فى الرحلة التالية للهبوط على القمر .**

واذا اردت أن تتعرف على الكتب التى تخاطب احلام الفرد فى المجتمع الامريكى فسوف تجد قائمة لا تنتهى . كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة؟.. دع القلق واستمتع بالحياة .. دع التوتر وابدأ الحياة .. كيف تحول الدولار الى مليون دولار .. كيف تحول الناس الى ذهب .. كيف تحول الفشل الى نجاح .. كيف تتحرك وتقنع الناس .. فن الاقناع .. كيف تكسب الاصدقاء وتؤثر فى الناس ..

ان الكتاب الاخير وحده ومؤلفه ديل كارينجى أصبح .. أوسع الكتب انتشارا فى التاريخ باستثناء «الكتب السماوية» .. ان ملايين النسخ طبعت منه فى أكثر من ستين طبعة .. انه يقدم لك وصفات جاهزة لتكسب الناس مثلا : لا تجادل . لا تقل لاحد انه مخطىء . سلم بخطئك . دع الغضب والعنف . ابحث عن كلمة نعم . دع الشخص الآخر يتولى دفة الحديث دعه يتصور أنها فكرته . ضع أفكارك فى قالب تمثيلى .

بهذه الوصفات ـ وغيرها كثير ـ يقنعك المجتمع انك ستنجح ، ستغتنى ، ستكسب مليون دولار ! انه يقنعك بالتصفيق للذين اصبحوا أغنياء هذه السنة ، لانك ربما تصبح مثلهم فى العام القادم . لا تحسد المليونير اليوم ، لانك تستطيع أن تكون مليونيرا غدا ، لابد أن ترى فى القدمين العاريتين لكل طفل قدمين لرئيس جمهورية قادم ، أو مليونير فى الطريق ، ان المستقبل مفتوح لك ، مفتوح لاطفالك . عش خلالهم . اعمل من أجلهم ، اطعمهم ولا تيأس : اذا كنت تفلح يجب أن تستيقظ فى الخامسة .. اذا زرعت فتم حتى السابعة . اذا عملت فابتداء من التاسعة حتى الخامسة . كل صباح سيبدأ واجب كل مساء سينتهى الواجب . كل أسبوع تحصل على المرتب . عندما تحصل على المرتب اشتر . قلت لك اشتر . اشتر .. اشتر ..

هكذا يعيش الامريكى وسط مجتمع استهلاكى . كل شركة تقدم لك نفسها . كل سلعة تعلن عن نفسها . ان الاعلان يقنعك بضرورة اشياء كثيرة . اشياء لم تكن ضرورة قبل الاعلان المتكرر عنها . لهذا تجد أن معظم الامريكيين يحصلون على أشياء ما زالت تعتبر شرفا بالنسبة لاغنياء الدول الاخرى . أن منازلهم مكيفة

الحرارة ، انهم يستهلكون كميات لا تصدق من المشروبات ، الايس كريم ، سكر النبات ، السجاير ، وينفقون على المشروبات الكحولية وزيوت الزينة ، مايكفى لاطعام شعوب أخرى كاملة. انهم يوفرون من دخلهم ـ ليس لشراء مزرعة كما كان يفعل اجدادهم ـ ولكن لتحقيق مطالب أكثر استعجالا : السيارة ، الاجازة ، التعليم ، أو التقاعد . ان الراديو والسيارة والتليفزيون أشياء هامة جدا بالنسبة للامريكى المعاصر .

وأنا أستطيع أن أسألك فى القاهرة : هل شاهدت برنامج التليفزيون امس ؟ أستطيع ان اسألك عن برنامج التليفزيون ، مادام ليس هناك مجال اختيار واسع بين برامج تليفزيونية تتسابق على اجابتك بالملل والقرف والسأم .

ولكن فى امريكا هناك فرصة ضئيلة جدا فى ان تكتشف أن شخصا آخر قد راى معك امس نفس البرنامج . ففى بعض المدن الكبرى ـ نيويورك مثلا . هناك يصل الى عشر محطات تليفزيونية تختار من بينها ، بعضها يعمل ٢٤ ساعة يوميا ان الاختلاف والتنوع هما الكلمتان الصحيحتان اللتان تنطبقان على التليفزيون الامريكى .

وأن تكون قادرا على الاختيار بين برامج عديدة ـ بعضها جاد وبعضها تافه ـ ليس معناه أن تصبح عبدا للشاشة الصغيرة . ان معناه ببساطة أن التليفزيون بالنسبة للامريكيين هو كالمكتبة بالنسبة للفرنسيين ، والصحف بالنسبة للانجليز ، والمقاهى بالنسبة للمصريين . . مع فارق اساسى ضخم جدا هو : أسلوب ونوع الاعلانات التى تتخلل برامج التليفزيون الامريكى .

فمهما كان الفيلم ، مهما كان البرنامج ، مهما كان الخبر المذاع ، فلابد ان تتخلله الاعلانات ، الخبر عن القمر ، والاعلان عن مسحوق غسيل ، الخبر عن القتلى فى فيتنام ، والاعلان عن اعداد الشوربة . الخبر عن غزو كمبوديا ، والاعلان عن استخدام زيت الشعر لغزو قلوب النساء !

**ان مشاهدة التليفزيون الامريكى توحى لك ـ للوهلة الاولى بأنهم شعب يعانى من تسوس الاسنان ، اضطراب التنفس ، تساقط الشعر ، الصداع المزمن ، المغص الدائم ، نساؤهم تحتاج الى سوتيانات محشوة ، ورجالهم يعتمدون فى جاذبيتهم على زيوت الشعر .**

**ان المجتمع الامريكى ـ كما تصوره الاعلانات ـ هو كابوس من**

الخوف ، الغيرة ، الثرثرة ، الاغتياب ، الحسد ، الطموح الجشع ، الطمع ، الشهوة ، حيث الغاية تبرر الوسيلة ، حيث العاطفة يجب أن تكافأ ، والمثل العليا يجب ان تداس ، والقيم تلوث . ان الامريكى المثالى كما ينطبع فى ذهنك من الاعلانات .. هو شخص يعيش فى عذاب القلق والشهوة ، شخص لا قيمة لاى شىء عنده الا اذا ارتبط بنتائج عملية سريعة . انه يقرأ الكتب لكى يتحدث جيدا ، يستمع الى الموسيقى لكى يؤكد مركزه الاجتماعى ، يختار ملابسه لكى تؤثر على تجمعات رجال الاعمال ، يسلى أصدقاءه لكى يتقدم فى وظيفته ، يقدم الهدايا المستمرة لزوجته لكى تحبه ، ولاولاده لكى يحترموه . فحتى الحب والاحترام ـ بالنسبة للاعلانات الامريكية ـ لا يتمان الا بالرشوة . انها اعلانات لا ترى شيئا مقدسا ولا شيئا شخصيا انها للحقيقة تخاطب مشاعر الأمومة ، الزواج ، الدين ، امومة ، الصحة ، النظافة . ولكنها تصور الحب مثلا كشىء تنافسى ، يذهب لهؤلاء القادرين على شراء أغلى الهدايا . تصور الصداقة على انها سلعة فى المزاد .. لا يحصل عليها من يقدم لاصدقائه مشروبا رخيصا أو يجلسهم على اثاث متواضع . ان الترقى والتقدم فى الحياة لا ياتى عن طريق العمل ، او الذكاء ، او الشخصية ، أو اى قيمة متعارف عليها . انه ياتى بمزج ذكى من الخداع والرشوة والابتزاز .

ان كل هذا يوقع دارس الشخصية الامريكية فى مشكلة مربكة . ان من مهمة المعلنين ان يدرسوا اولا عناصر هذه الشخصية قبل أن يخاطبوها . مواردهم تمكنهم من الحصول فى دراساتهم هذه على احدث ابحاث علماء النفس والاجتماع .. وعلى ذلك ، فاذا كانت هذه الاعلانات تتم بناء على تحليل صحيح للشخصية الامريكية .. فان هذا يعنى ان الشعب الامريكى هو شعب فاسد متدهور .. بينما الحقيقة هى عكس ذلك تماما . ان المعلنين يخاطبون فى الشعب الامريكى مشاعر الخوف والاستعلاء والانانية .. ومع ذلك فليس فى الشخصية الامريكية ما يؤكد وجود هذه الدوافع مطلقا . تناقض ..

وهذا التناقض يتضح فى مهمة التليفزيون نفسه ، بل حتى الوظيفة التى تؤديها الاعلانات فى المجتمع الامريكى . فالواقع ان الاعلانات تؤدى مهمة كبيرة بتحقيق اللقاء بين المنتج والمستهلك معا . والتليفزيون الامريكى نفسه لم يعد نتيجة لذلك مجرد جهاز يعطيك فقط آخر الاخبار والمعلومات . انه يعطيك أخبار العالم .

اخبار المدينة ، كيف تعد وجبة العشاء لضيوفك غدا ، من أين تشترى هدية لزوجتك ، كيف تقضى اجازة نهاية الاسبوع . انك - عن طريق الاعلانات فى التليفزيون - تستطيع أن تعرف أشياء كثيرة : ماذا تشترى ، من أين تشترى ، كم تدفع ، أين تدفع أقل ، كيف تتسلى .. ومتى تتسلى ..

ان تسليتى الرئيسية فى أوقات الفراغ كانت مشاهدة التليفزيون . اذا جلست امامه ربع ساعة فلن أتركه قبل صباح اليوم التالى . انه يعطيك صورة كاملة عن كل تعقيدات المجتمع الامريكى المعاصر.. وبساطة الرجل الأمريكى العادى ايضا !

فى أحد البرامج مثلا أحضروا اربعة ازواج وزوجاتهم . الازواج فى جانب ، والزوجات فى جانب.. وحائط بينهما . اننى كمشاهد - أرى المجموعتين . ولكن كل زوج لا يرى زوجته . ان المذيع ظل يسأل الفريقين ساعة كاملة - تتخللها الاعلانات طبعا . انه **يسأل الزوجة مثلا : كيف ينام زوجك على السرير ليلا .. على جانبه الايمن ؟ الايسر ؟ أم على ظهره ؟. سؤال آخر : عندما يستيقظ زوجك من النوم صباحا . ما هو أول شىء يفعله .. يخلع شيئا .. أم يلبس شيئا ؟.. وهكذا ..!**

وبعد أن يحصل المذيع على الاجابات مكتوبة من الزوجات ، يستدير الى فريق الازواج ليسألهم نفس الاسئلة . هنا تبدأ المفارقات المضحكة . ان زوجة توم تقول انه ينام على جانبه الايسر ، بينما توم نفسه قرر الآن انه ينام على ظهره ! ثم .. زوجة توم تقول ان أول شىء فعله هذا الصباح هو انه خلع شيئا .. بينما توم قرر انه لبس شيئا .. آه .. قطعا لم يكن توم هو الرجل الذى نام مع الزوجة أمس ! !

ومع ضحكات المشاهدين والازواج ، تعطى الجائزة للزوجين اللذين اتفقت اجابتهما على كل الاسئلة !

ان هذه البساطة التى تجدها فى الاسرة الامريكية جاءت بعد انطباع سابق عن تعقد المجتمع الامريكى . هذا تناقض .

ومع ذلك فليس هذا هو التناقض الوحيد الذى تلمسه فى المجتمع الامريكى .

انه مجتمع يؤمن بعلم النفس .. ومع ذلك فالانهيارات العصبية فيه أصبحت شيئا مألوفا كالاصابة بالانفلونزا . مجتمع وصل حجم التعليم فيه الى درجة غير معقولة ، وعدد الطلبة فى جامعاته وكلياته اكبر من عددهم فى كل الدول الغربية مجتمعة ، ومع ذلك

فانهم اكثر طلبة العالم تظاهرا ضد الامر الواقع . مظاهرة كل يوم . مجتمع عرف اكثر من غيره كيف يسيطر على الطبيعة ويستغل مواردها ، ومع ذلك لم يحدث من قبل ان أسرف فى القتل مجتمع مثله .. جريمة قتل كل ٤٣ دقيقة . ان تحرير المرأة ، تحديد النسل ، توفير الوقت ، الرخاء ، والتعليم . كان يجب ان تجعل الاسرة فيه أكثر سعادة وصحة ، ومع ذلك فان الاسرة الامريكية هى الآن اكثر قلقا من اى وقت مضى . زواج واحد من كل أربعة ينتهى بالطلاق .

لقد شاهدت مرة فى التليفزون الامريكى برنامجا يعرض حالة واحدة من حالات الطلاق هذه .

انها سيدة جذابة ، سوداء الشعر ، عمرها ٢٨ . انها فى قاعة المحكمة منذ التاسعة صباحا . السيدة اسمها مسز كلينمان . محاميها اسمه ميلتون هنتر . ان المحامى يراها كما يرى دائما معظم زبائنه فى مثل هذه اللحظات - عصبية .. متوترة .. مرتبكة . لقد جاءت الى المحكمة تطلب الطلاق . انها تطمئن من محاميها قبل الجلسة هل سيسألنى القاضى فى شىء ؟ . ولكن المحامى يبتسم وهو يردد لها « مجرد أسئلة روتينية » ثم يطلعها المحامى على قائمة أسئلة مطبوعة على ورقة صغيرة .. هى التى يسألها القاضى عادة فى مثل هذه الاحوال . انها تريد أن ينتهى موضوع الطلاق اليوم ، حتى لا تضطر الى اخذ يوم آخر اجازة من عملها كسكرتيرة فى مانهاتن - بنيويورك .

بعد دقائق يدخل القاضى ، فى رداء اسود ، متخذا مقعده بجوار العلم الامريكى ثم تبدأ الاجراءات . ان مسز كلينمان تتقدم الى الامام وتجلس فى مقعد الشهادة بعد أن تؤدى ماعليها. حينئذ يبدأ القاضى فى سؤالها تقريبا نفس الاسئلة التى اطلعها عليها المحامى .

**- هل انت المدعى فى هذه القضية ؟**

- نعم . هكذا ترد مسز كلينمان بصوت خفيض .

**- هل كنت متزوجة من هارولد كلينمان المدعى عليه فى هذه القضية ؟**

- نعم .

**- متى تم زواجكما ؟**

- ٢١ يناير ١٩٦٧ .

**ـ هل انجبتما من هذا الزواج ؟**
ـ لا .
**ـ فى أى تاريخ هجرك المدعى عليه ؟**
ـ فى يونيو ١٩٦٩ .
**ـ ماذا قال حينما تركك باختياره ؟**
ـ قال .. كفانى من الزواج . قال انه منصرف . هذا كل شيء .
**ـ بماذا أجبت أنت ؟**
ـ طلبت منه أن يبقى . ولكنه رفض .
**ـ هل كنت زوجة مخلصة وتقومين بواجبك ؟**
ـ نعم .
**ـ هل حدث فى أى وقت منذ الهجـر أن عاد المدعى عليه الى البيت أو عاشرك ؟**
ـ لا .

هنا وقف محامى الزوجة لكى يعطى للقـاضى حزمة أوراق ، تدل على أن زوج مسـز كلينمان ـ مهندس يعيش الآن فى مكان ما بأوروبا ـ لم يمكن العثور عليه لاخطاره واستدعائه . وان القضية أعلن عنها فى جريدة نيويورك القضائية .

**ثم يسـأل المحامى موكلته ـ الزوجة : هل لدى المدعى عليـه أى مبرر لهجرك ؟**
ـ لا .
**ـ هل صفحت عنه ؟**
ـ لا .

هكذا ترد مسـز كلينمان فى صـوت انخفض فجأة الى درجة الهمس . وبعد سـؤالين آخرين طلب المحـامى اصدار الحكم . هكذا نطق القاضى بحكم الطلاق بعـدها بدقائق . حكم سـوف يستغرق اصداره رسميا ثلاثة أسابيع اخرى تقريبا .

ان الجلسة لم تستغرق سوى دقائق . والحكم بالطلاق صدر على أسـاس الهجر أسـاس جديد لم يكن يسمح بالطلاق منذ سـنتين ونصف فقط . فقبل أول سبتمبر ١٩٦٧ كان فى ولاية نيويورك سبب واحد يبرر الطلاق : الخيانة الزوجية . اما قانون الطلاق الجديد فى الولاية ـ فلكل ولاية أمريكية قوانينها الخاصة ـ فقد صدر ضد معارضة الكنيسة الكاثوليكية ، وقرر اضافة خمسة أسباب أخرى للطلاق : السجن ثلاث سنوات ، الانفصال الشرعى

سنتان بحكم القضاء ، الانفصال بالاتفاق ، القسوة الجسمانية او العقلية . الهجر لمدة سنتين .

وبمجرد صدور هذا القانون ارتفع عدد حالات الطلاق السنوية فى ولاية نيويورك من أربعة آلاف الى ١٨ الف حالة !

ولكن امريكا قبل أن تكون بلد الطلاق فى العالم .. فهى أولا بلد المرأة !

ان أمريكا القرن العشرين اصبحت بلد المرأة اكثر من أى بلد آخر فى العالم . ان تفوق المرأة يمكن التدليل عليه من مجرد قراءة احصائيات الثروة والملكية والتأمين ، التعليم ، الادب ، أو اعلانات اى مجلة . ان المرأة تدير المدارس والكنائس ، تقرر ماذا يظهر فى مجلة أو فيلم وماذا يسمع فى الراديو وستشاهر فى التليفزيون . ان مئات المجلات تصدر خصيصا لتسلية المرأة وارشادها ، بعضها من أكبر المجلات توزيعا . ومعظم الصحف الاخرى تخصص صفحة للمرأة . وكل محطة اذاعة وتليفزيون تقدم سلسلة من البرامج المخصصة لمخاطبة المرأة .

وما دامت المرأة هى التى تنفق معظم النقود ، فان معظم الاعلانات توجه نفسها للمرأة وحتى حينما تخاطب الاعلانات الرجل ، فانها غالبا تخاطبه عن طريق امرأة ، أو حبه لامرأة ، ان المرأة فى أى مجتمع آخر ـ تحكم المنزل . ولكن فى أمريكا فقط المرأة هى التى تصممه ، تبنيه ، وتؤثثه وتوجه نشاطه ، وتحدد مقاييسه . ان معظم الاطفال الامريكيين يعرفون اسر أمهاتهم أكثر مما يعرفون اسر آبائهم .

ومع ذلك .. ففى أمريكا الآن حركة لتحرير المرأة !!

ــ ولكن .. الا تشعرين أنك حرة بعد ؟ !

هكذا سألت فتاة فى نيويورك .. اسمها جودى .

« نعم ، نعم ، ولكن .. » ثم بدأت جودى فى الحديث .

انها تحدد بنفسها مواعيد اللقاء مع صديقها ، والا تصبح المسألة « .. كما لو كان صديقى الرجل يستأجرنى لمدة مساء كامل !

انها تقول ان الجنس والحب يجب الغاؤهما . فكلاهما فى رايها ــ وسيلتان اساسيتان يستخدمها الرجل لاستعباد المرأة . وتقول ان المرأة الامريكية التى تؤمن بحركة التحرير الحديثة هى الآن من النساء الامريكيات . نساء لهن عشاق ، أزواج ، أطفال ، او فى طريقهن الى ذلك . انهن يطلبن تغييرا فى العادات والميول

الاجتماعية بحيث يسمح لكل امرأة بأن تكون شخصا منفصلا عن ـ ومتساويا مع الرجل .

ان جودى تقول باعتبارها عضوا فى الحركة الحديثة : اننا لا نرى انفسنا كذلك الآن . اننا نرى أنفسنا فقط موضوعا جنسيا .. وجدنا لنكون لعبة الرجل ، محصورات ومقيدات بدورنا الجنسى . اننى مهما حققت من متعة فى دراستى أو عملى فان أمى تقول لى « ضعى بعض احمر الشفاة لكى تحصلى على رجل » اننى قد اصبح سكرتيرة ، مدرسة ، ممرضة ، طبيبة ، محامية ، أو رئيسة لأى شىء . وسواء عملت فى مصنع او فى مكتب فاننى أكسب أقل من الرجل . وحينما يصبح لدى اطفال أصبح مقيدة بسلسلة طول عمرى . اننى زوجة شارل ، أو أم كارول . ثم بعد ذلك .. لا شىء اننى أنظر الى شاشة التليفزيون أو الاعلانات فى الصحف فأرى مخلوقا مثيرا جنسيا ، أو عاطفيا . مخلوقا يسمى « المرأة » .. هذا الشخص ليس أنا .. وليس أى واحدة من صديقاتى .. ان الاحصائيات تقول ان القوى العاملة الامريكية تضم ثلاثين مليون امرأة أى ثلث قوتنا العاملة . ومع ذلك فان متوسط مرتب المرأة ٤٨٪ فقط من متوسط مرتب الرجل . ان مرتب المرأة يقل عن مرتب الرجل بنسبة ٤٠٪ فى الاعمال والوظائف المتشابهة .

هكذا انتهى كلام جودى .

وعندما انصرفت جودى اكتشفت انني اضحك ! طبعا مسألة مضحكة . انها مضحكة لانها متناقضة . فالتناقض هو جوهر الضحك . ان المرأة التى قالت كل هذه الحجج حالا .. هى الآن فى طريقها للقاء صديق شاب .. المرأة التى قامت ذلك ـ او ربما ليست هى شخصيا ـ هى التى تتمتع بمركز متفوق فى المجتمع الامريكى . مركز لا تتمتع به بعد أية امرأة أخرى فى العالم . انها هى التى نراها ـ بعد سن الستين ـ تطوف حول العالم وحدها بعد أن مات زوجها تاركا لها كل الثروة والاسم والسمعة والراحة .

**انها هى نفسها المرأة الامريكية التى نراها فيما بعد فى ردهات فنادق هيلتون فى جميع انحاء العالم : سيدات جعلن انفسهن على طراز نجمة السينما الامريكية لانا تيرنر تقاطيع جافة ، شعر اشقر منحوت عند الكوافير شعر أصبح ذهبيا من شدة الحزن على زوجها عملات قديمة تلمع على صدورهن ، صدر عابس ، اقدام رشيقة كالمقصات ، اقدام تتحرك باحتشام الى أن تسمع اول موسيقى راقصة . وتحت نشرة الاحتشام الواثقة من نفسها تستطيع ان**

**تكتشف اشارات لماض مشاكس .. واحيانا ماض قاس، ان كل واحدة منهؤلاء مرت بالكثير. وبعد كاس اللارتينيالرابعة يمكن أن تخبرك بشيء واحد اوشينين . انها امراة تعرف كل شيء عن معاش زوجها .. ومع الحديث عن المعاش او ثروة زوجها الراحل ـ دمعة أو دمعتين ـ تبدا ملامح الانشراح فى التسلل الى وجهها . انشراح ممسوك بلجام . انشراح لايبعد مطلقا عن نقيضه : الياس. فهذهالمراة هى تجسيد لكل الصفات التى يعيش بها الرجل الامريكى جاذبية المراة .. كل الصفات ماعدا واحدة : الشباب !**

هذه المراة هى التى يوجه لها الرجل الامريكى كل عواطفه ـ ليس فى سن الستين طبعا ولكن ابتداء من سن الثلاثين . امراة وسط العمر . امراة نعثرعلى نماذج كثيرة لها فى السينما الامريكية : دوريس داى ولوسيل بول وشيرلى ماكلين مثلا .

ان دوريس داى هى امراة غنية على الطريقة الامريكية . انها « رجل أعمال » ناجح مثلما هى ممثلة مشهورة . لقد كانت ـ فى وقت ما ـ تدير شركة لانتاج « ملابس دوريس داى » وتوزيعها على نطاق واسع فىامريكا ، ولمدة سنوات عديدة كانت صورها منتشرة فى المكاتب وحجرات الاستقبال داخل المنازل الامريكية ، بابتسامتها الكاشفة عن معجون اسنانها ـ ووجهها المعرض لاشعة الشمس . انها فى افلامها دائما فتاة ، عاملة ، بريئة ، ظريفة ، وان كانت غير جذابة جنسيا . ان براءتها وعذريتها تتعرض للتهديد غير الجاد ، ولكنها فى النهاية تصبح آمنة على نفسها .

ان المراة الامريكية التى جعلت من دوريس داى نجمةمشهورة، قد وجدت فيها تعبيرا عن اشياء كثيرة تمتلكها او تفتقدها ، وهذا هو السبب نفسه الذى جعل شيرلى ماكلين هى الاخرى تصبح نجمة فى منتصف الخمسينات كاستمرار لنفسالنموذج الذىتعبر عنه وتخاطبه دوريس داى. بأن شيرلى ماكلين بوجهها الذىيشبه السيرك تبدو فتاة فى الاصل انها لاتشرب ، وفتاة تحبها بجوار طبق مكرونة وابريق منالخمر ، فتاة تستطيع انتلخص فلسفتها فى الحياة فى ثلاث كلمات : التفاؤل ، الامل ، الحب ، انها أول نموذج امريكىكبير لفتاة منتشرة فى أوربا ـ الفتاة البوهيمية. انها فى الحياة الواقعية تناصر الحقوق المدنية وشغوف بالفلسفة الهندوسية « بالمناسبة : مرة لكمت صحفيا فى وجهه . انها دائما تبدو فى متاعب . ان الكارثة لا تحدث لها فى اللحظة الاخيرة بسبب غريزة بريئة حادة : غريزة البقاء « انها هائمة ، تتمتع بحاسة

السخرية الفظة ، وتنظر لاعقد الامور واكثرها ريبة في براءة شديدة انها تعبير حى عن المرأة الامريكية العادية. المرأة التى تقرأ النصائح العاطفية فى الصحف ، وتدهب الى طبيب نفسى ، وتستطيع أن تتحدث فى التليفزيون أمام جمهور واسع عن أشياء فى حياتها لم تكن امها تستطيع الادلاء بها لابيها ، انها تمثل المرأة الامريكية التى قرأت فى حياتها كتابا أو كتابين على الاقل فى الجنس، وتهوى قصص المغامرات ، وتشترى لمبة كهربائية خاصة لكى تعطى لوجهها لون الشمس . المرأة التى لاتجد صعوبة كبيرة فى التعبير عن عواطف ميكانيكية ، المرأة التى تتحول الى الراديو والافلام لكى تحصل على التسلية والاثارة والمتعة والضحكات ، والدموع . المرأة التى تتعلم الحب من المجلات وتتجنب طفلها الاخير قبل سن الثلاثين وتحمل أقراص منع الحمل وتكره الاجهاض. نعم . فى السنوات الاخيرة كانت المرأة الامريكية على راس الذين مايزالون ضد عمليات الاجهاض

ان الاجهاض من وقت قريب فى أمريكا كان — طبيا — يعتبر من المحرمات التى يتفادى الاطباء مناقشتها . وكان تحريم الاجهاض — اخلاقيا — يعتبر جزءا من القماش الذى يحقق به المجتمع تماسكه

ولكن الآن، بدات رياح التغيير فى أمريكا تمزق هذا القماش، كما فعلت فى أشياء أخرى كثيرة. ان القاعدة أن معظم الولايات تعتبر جريمة حمل المرأة خارج نطاق الزواج وعند رغبتها ، وقبل سن ال ٢١ جريمة ضخمة يعاقب عليها القانون ، والقاعدة أن معظم الولايات تسمح بالاجهاض فى حالة واحدة ، هى أن يؤدى الحمل الى تعريض حياة المرأة للخطر . وخلال السنوات الثلاث الماضية قامت ١٣ ولاية — بما فيها كاليفورنيا — باجراء تعديلات فى قوانينها تبيح الاجهاض فى حالات أخرى غير انقاذ حياة الحامل ، وفى ولاية واحـــدة — هى هاواى — تركت المسالة كلها الى رأى المرأة وحكمة الطبيب .

ان الاجهاض هو مشكلة نجدها — بدرجات متفاوتة — فى كل مجتمع. انه اذن ليس علامة مميزة للمجتمع الامريكى، ولا حتى للفتاة الامريـــكية .

اذن .. ماذا يميز الفتاة الامريكية .

لقد رأينا منذ قليل — دور المرأة فى المجتمع الامريكى ، امـــرأة يعطيها المجتمع ثروته وحبه وتقديره .. ولم يكن الرئيس الامريكى الاسبق ترومان يقصد مجرد الفكاهة عندما قام — أثناء انتخابات الرئاسة — بتقديم ابنته وزوجته الى الناخبين قائلا :

هاكم بنت الرئيس ، وهاكم رئيسة الرئيس!

نعم ؛ لم تكن مجرد فكاهة .. ولكنها حقيقة فى المجتمع الامريكى المعاصر ، حقيقة المراةالتى عرفناها منذ قليل بعد سن الستين ، وبعد سن الثلاثين . بقى الان دور الفتاة الامريكية قبل سن الثلاثين .. كيف تفكر .. كيف ينظر اليها المجتمع ؟

**اننى الان سوف اختار نموذجا لهذه الفتاة الامريكية . فتاة اسمها ستيفانى ، ان ستيفانى هى أكثر قليلا من مجرد نموذج للفتاة الامريكية المثقفة التى تعيش بمفردها .. الفتاة تحت سن الثلاثين ، انها كانت بالنسبة لى موجودة أكثر من أمريكا نفسها. موجودة فى نيويورك .. شارع من شوارع الجانب الشرقى بمدينة نيويورك . شقة أنيقة فى مبنى من مبانى هذا الشارع . شقة لا تزيد على حجرة واحدة ومطبخ . الايجار مائة وثمانون دولارا شهريا ، هذه هى نيويورك . ان ستيفانى تسكن وحدها فى شقتها مثل نصف بنات نيويورك .. عندما اتحدث عنها هنا فانى اتحدث عن الفتاة الامريكية ، وعن نيويورك . من خلالها .**

**ان ستيفانى ليست مجرد شخص واحد . انها تضم — فى داخلها — حزمة من أشخاص مختلفة، أحيانا متصارعين، كل هؤلاء الاشخاص يحتلون جسما واحدا له عمر واحد : ٢٦ سنة بالكثير ٢٧ .**

**عندما تتحدث ستيفانى فان صوتها يرغمك على الانتباه له . صوت خفيض رقيق ، تحتاج الى أربع آذان لسماعه . ان الصوت يبدأ أولا فى لفت نظرك، فى الحصول على انتباهك ، على أذنك . صوت منتش بطىء، رنان، لاتختلف درجاته وأنغامه كثيرا فى البداية. نادرا مايتحول الصوت الى صوت جازم متأكد أثناء الحديث . لحظتها تكرر ستيفانى بضع كلمات سوف تألفها من الان فصاعدا ، كلمات مثل (( غير معقول . غير ممكن )) ، أو تقول مثلا — تقول لنفسها. (( بكلمات اخرى .. )) ، ثم تبدأ فى تأكيد آرائها السابقة بكلمات اخـــرى .**

انه صوت ديكتاتورى ، ينزع الى تملكك ، الى السـيطرة على مسامعك . انه الشىء الوحيد الذى يتحرك فى قوامها النحيل الرقيق

وعندما تتكلم ستيفانى ، بوجهها المتجه الى الامام ، وشعرهـــا الطويل الاسود المنسدل على كتفيها ، ونظارتها الطبية على عينيها، و.. حسنا .. انا لاأحب النظارات الطبية . .اخلعى هذه النظارة ياستيفانى . انها تخلعها بحركة تلقائية لاشعورية، أحيانا اخلعها انا قبل أن تستأنف ستيفانى الحديث عن موضوعات عديدة لا التقط غير أطرافها . .اعتدت أن ان أكون طموحة جدا .. ان امى طيبـــة

جدا .. انها اقصر منى ، ولكنها طيبة .. تصور ، عندما طلبتنى فى التليفون اليوم ورددت عليها اندهشت.. انها تصورت اننى لابد أن أكون مريضة حتى اجلس فى البيت .. كان يجب أن أكون فى المدرسة ، أو العمل .. انا لااتذكر الاسماء جيدا .. تشرب قهوة ؟ .. انا افضلها بغير سكر .. مجانين هؤلاء المتظاهرون فى الشوارع .. انهم يريدون حرق البلد كلها .. انا ايضا أجد الكثير ممـا يستحق السخط .. لكنى لاأحرق بلدى .. هل لديك فـكرة عن الهبوط الذى تم فى أسعار البورصة .. فظيع فظيع .. «بكلمات اخـرى ...»

هكذا تستمر ستيفانى فى الحديث . أحيانا يخفض صوتها الى درجة التحدث مع نفسها .. نادرا يرتفع الصوت الى درجة تتسع لسماع شخصين . ان صوتها لايصل الا الى شخص واحد فقط. يادوب . ستيفانى لاتتحدث الا مع شخص واحد . ان الـكلمة لاتخرج من فمها الا بعد اختيار ، بعد تفكير . اننى استطيع أن أشعر بأفكارها تدق فى شرايينها . ربما هنا ــ هنـا ــ تتميز ستيفانى عن بنات كثيرات فى سنها . شكلها . الباقى تشترك فيه ستيفانى مع أى فتاة أمريكية تحت سن الثلاثين . انها مجنونة أحيانا . انها تكره الفقر ، تعشق الموسيقى ، تحب الراحة ، تريد الفخامة ، تحتفظ بقدميها على الارض دائما ، لديها حماسة رجل الاعمال ، تريد التملك ،انها تعرف أين تتجه . لا المشاكل ، ولا العقد ، ولاالعقبات .. تستطيع ان تؤثر فيها . انها اكثر دقة من ساعة سويسرية ، أكثر سرعة من صاروخ . اكثر قوة من دبابة . أكثر عنادا من ثور .. ان ستيفانى تعمل لتعيش .. وعندماتعيش ستيفانى فيجب أن تكون للحياة عندها معنى .

**ان معنى الحياة بالنسبة لستيفانى يتركز فى اشيـاء قليلة : الملابس ، الكتب ، الراحة . النبيذ . الرقص . نعم الرقص انها تريد أن ترقص دائما ، حتى لو كانت مفلسـة ، بل ــ خصوصا عندما تكون مفلسة .**

**« اننى اليوم جائعة جدا ، مفلسة جدا » !**

انهاتقول ذلك، ثم تبتسم . انها ــ بابتسامتها ، تبدو غير مبالية: جائعة ، ولكن ليست جائعة جدا ، مفلسة ، ولكن ليست جدا .

قلت لها: حسنا ــ هذا معناه أن تبقى فى المنزل الليـلة ، على ساندويتش وفيلم فى التليفزيون .

**ان كل فتاة ــ خصوصا عندما تكون جائعة « جدا » مفلسة**

**« جدا » تفعل ذلك .. ولكن .. ليست ستيفانى . ان ستيفانى – حتى لوكانت مفلسة – تحب ان تسير، انتمشى، أن ترقص ان ترى الناس .. انها لاتستطيع احيانا أن تواجه نفسها، فتفضل ان تواجه الناس . فى هذه اللحظات يجب على ستيفانى ان تذوب . لكى تنسى ، لكى تضحك، لكى تتحرك ، يجب أن ترقص .**

عندما ترقص ستيفانى فانها لاترقص بقدميها فقط ، ولا حتى بقدميها ويديها ، مستحيلة هذه الانانية على قدميها ويديهـا . عندما ترقص ستيفانى فان اشياء كثيرة ، فيها ترقص . كل شىء فيها يرقص. عندما اقول كل شىء أقصد كل شىء. عيناها، قدماها، يداها، وجهها، فمها، اسنانها، أصابعها . اظافرها . انعقلها فى هذه الحالة قائد اوركسترا ، وكل عضو فى جسمها يرقص باشارة من قائد الاوركسترا ، كل عضو – حتى من غير اشارة – يعرف ان الرقص بالنسبة له هو السعادة ، الذوبان . النسيان .

فى هذه اللحظات فقط تحس أن عقل ستيفانى ليس فى راسها . انه فى قدميها . وبمجرد أن ينتهى الرقص يعود العقل الى مكانه ..يعود الى راسها .

ان ستيفانى هى نموذج للفتاة الامريكية المعاصرة . الفتاة التى تعيش أسرتها فى نيويورك ولكنها هى تفضل أن تعيش وحدها . تستأجر شقتها الخاصة فى نفس المدينة بعيدا عن اسرتها . انهـا تعيش حياتها . انها حرة فى حياتها . ولكن الحـرية عندهـا المسئولية . لاقيمة للحرية بلا مسئولية . انها تستطيع أن تفعل اى شىء معك . تستطيع أن تعجب بك ، أن تحبك .. أن تقضى عطلة الاسبوع معك، ولكنها لابد أن تقتنع بك أولا كصديق .. قبل أن تفكر فيك كعاشق ، أو حتى كزوج ، انها حاليا تفضل العمل على الزواج ، ولكن المجتمع لم يتهمها بالاستهتار . لا المجتمع ، ولا الناس ، ولا الاسرة .. يتهمونها بالعقوق أو يطلقون على سمعتهـا الاشـاعات .

ان ستيفانى تعمل عندما تصبح شخصا آخـر .. وربما يكون رئيسها فى العمل صديقا لها ، ولكن الصداقة شىء والعمل شىء اخر .. انك فى المكتب تجدها كأى رجل يعمل من الاثنين الى الجمعة . من صباح الاثنين الى مساء الجمعة هى شخص يعمل . يقرأ . ينام مبكرا .. حتى لاتتأخر عن عملها خمس دقائق . ان الاسـبوع بالنسبة لها هو يومان فقط . من الاثنين الى الجمعة .. هذا يوم واحد اخر لاينفصل .. يوم من الراحة .. من الرقص ، اللهو ،

التسلية، الخروج بعيدا عن نيويورك، الاسترخاء على أنغام الموسيقى

ان هذه الفتاة ستيفاني ـ هذه الفتاة العاملة ـ تميز المجتمع الامريكي ، ولكنها ليست الشيء الوحيد المميز للمجتمع الامريكي . هناك أشياء أخرى كثيرة مميزة . أشياء كثيرة، منها ثلاثة بالتحديد:

**لعبة البيبسول ، سندويتش السجق ، والكوكاكولا .**

ان البيبسول هى لعبة قومية امريكية بقدر ما الكريكيت لعبة قومية انجليزية . والبيسبول لعبة يمكن أن يلعبها اى عدد من اللاعبين غالبا ، بأى أدوات غالبا ، فى أى مكان غالبا . ان عـــدم النظام هنا كان بداية مهمة جدا للعبة . فأمريكا نفسها بدات بلدا بلا نظام على الاطلاق .. وخلال الخمسين سنة الاخيرة فقط اصبح كل شيء فيها يخضع للنظام . الفتيان والفتيات فى المدارس، رجال الاعمال ، الاصدقاء ، والجيران ، والمستوطنون والقادمون الجدد، النباتيون ، والمطالبون بمنع الخمـــــور ، وزراع الزهور ، هواة الحدائق ، جامعو الطوابع ، وقراء الكتب، انه مجهود لاعطاء مظهر الاستقرار لمجتمع بدأ بلا استقرار . مظهر من الثبات لمجتمع بدا غير ثابت .. مجهود لخلق النظام فى مجتمع آمن طويلا بالفوضى .

ان الكاتب الانجليزى الراحل **برناردشو** زار امريكا فى سنة ١٩٣٣ وفى الزيارة خاطب الامريكيين فى احدى محاضراته قائلا : انكم اذا فحصتم الدستور الامريكى لوجدتم انه فى حقيقة الامر ليس دستورا ولكنه تعهد الفوضوية ، انه ليس اداة للحكم .. ولكنه بمثابة تعهد للشعب الامريكى بأنه لن يحكم أبدا ، وهذا بالضـــبط مايريده الامريكيون .. لقد أقمتم فى غمرة فزعكم من الدكتاتوريين وحكم الديكتاتوريين مجتمعا، كل رئيس وردية فيه ديكتاتور، وكل ممول ديكتاتور ، وكل صاحب عمل ديكتاتور ، ان كل هؤلاء الديكتاتوريين يضعون حياة العمال ومعاشهم تحت رحمتهم تماما ، ولايشـــعرون نحو المجتمع الذى يعيشون فيه بأية مسئولية عامة . »

ان الفوضى اذن كانت ـ فهى الان تتراجع ـ من مميزات الشعب الامريكى . الفوضى وسندويتش السجق والكوكاكولا .

فالرجل الامريكى عندما يدخل لايطلب سوى الهامبيرجرا أو سندويتش سجق . سندوتش يفزع كل مصرى فى البـــداية من مجرد أسمه ، ان اسمه هو Hot Dog اى سندويتش كـلـب ساخن ! مع انه لاتدخل فيه اى قطعة من لحم الكلاب !

والرجل الامريكى سوف تجده دائما يكره الفلسفة .. ويأكل سندويتش السجق . يلعب البيسبول .. ويأكل السجق ..

يشاهد التليفزيون .. ويأكل السجق . يأكل السجق .. ويشرب الكوكاكولا .

ان الكوكاكولا فى أمريكا ليست مجرد مياه غازية منتشرة . انها أسلوب عمل . أسلوب تفكير ، تنظيم ، ترويج ، دعاية .. وحتى .. أسلوب استعمار جديد ! وعندما اناقشها الان بقليل من التفصيل فاننى اناقشها على هذا الاساس .

ان سكان العالم يشربون الان مائة مليون زجاجة كوكاكولا يوميا ـ انهم يشربونها فى ١٣٨ دولة ، اى أكثر من عدد الدول الاعضاء فى الامم المتحدة ب ١٥ دولة ! لقد أصبحت اكثر السلع توزيعا فى العالم كله . واذا استخلصت الاسلوب الامريكى فى الكتابة فسوف اقول : اننا اذا وضعنا كل الزجاجات التى تم انتاجها من الكوكاكولا بجوار بعضها فانها سوف تشكل حزاما يلف حول الكرة الارضية ٣٥٠٠ مرة ، أو يصل الى القمر ويعود مائتى مرة . واذا وزعت كل الزجاجات التى تم انتاجها من البداية على سكان العالم الان ، فسوف يحصل كل شخص على ٢٢٠ زجاجة !

ان الكوكاكولا ليست اكبر شركة فى الولايات المتحدة . انها الشركة رقم ٨٢ فى ترتيب الشركات الامريكية الكبرى ، رغم أن ممتلكاتها تزيد قيمتها الان عن اربعة الاف مليون دولار . الكوكاكولا ليست اكبر شركة امريكية ، ولكنها نموذج لاسلوب العمل الامريكى وهى ـ من زاوية اهتمامنا هنا ـ تصلح كنموذج لمقاييس المجتمع الامريكى .

ان الامريكى العادى قد يقول لك بكل فخر : أن مؤسس شركة الكوكاكولا جاء الى أتلانتا فى البداية وفى جيبه اقل من دولارين . ولكنه حينما مات فى سنة ١٩٢٩ ، كانت ثروته تساوى خمسين مليون دولار ، وأرباح شركته السنوية تقترب من الـ ٢٥ مليون دولار : ان أساشاندلر ـ هذا اسمه ـ كان رجل أعمال . انه رجل اعمال على الطراز الامريكى : يعبد الله ، وأمريكا ، والدولار ، والكوكاكولا !

هكذا يخبرك الامريكى بفخر . فالامريكى ـ فى الحياة العملية ـ يبحث عن الوصفات الجاهزة التى تقدمها له ، وسائل الاعلان والاعلام للنجاح . انه يمجد الساعى الذى يصبح رئيسا للجمهورية ، راعى البقر الذى يصبح صاحب بنك ، الكاتب المبتدىء الذى يمتلك صحيفة ، الشحاذ الذى يصبح مليونيرا .

حسنا . دعنا نأخذ هذا الكلام على علاته . ودعنا نسلم أنه فى سنة ١٩١٩ كانت قيمة السهم فى شركة الكوكاكولا اربعين دولارا ، بينما أصبحت الآن ٨٥٠٠ دولار .. وان قيمة مبيعات الشركة

سنويا هى أكبر رقم فى التاريخ (الف مليون دولار) ، أو ان ارباحها السنوية هى أكبر أرباح ( مائة مليون دولار ) .

بعد ذلك دعنا نبحث ـ خلال شركة الكوكاكولا ـ عن ملامح التفكير الامريكى ، والاسلوب الامريكى فى العمل عندما بدأ بانتاج الكوكاكولا (فى سنة ١٨٩١) فان أول خمسين دولارا كسبتها الشركة فى سنتها الاولى ، خصصت منها ٤٦ دولارا للاعلانات والدعاية . ان هذا يشرح جزئيا ظاهرة الكوكاكولا . فمادامت أنها مشروب لايمكن تحسينه ، فان الدعاية وحدها هى التى تستطيع أن ترفع المبيعات ، ولكن هــذا يشرح أيضا دور الدعاية والاعلان فى الاقتصاد الامريكى ، ثم فى الحيــاة الامريكية كلها .

ان أهم قسم فى شركة أو مؤسســة امريكية هو دائما قسم الدعاية والعلاقات العامة . ان الايمان الامريكى بفـائدة الدعاية والعلاقات العامة فى الاقتصاد هو بلا حدود ، وحتى السياسيون ونجوم السينما لهم وكلاؤهم المتخصصون فى تنمية علاقاتهم العامة .. حتى الجامعات لها مكاتب علاقات عامة ، حتى الكنائس ، لها أساليبها هى الاخرى فى الدعاية صحفيا واعلانيا .

والكوكاكولا ليست مجرد شركة تنتج الكوكاكولا . انها شركة تمول عددا ضخما من البرامج الرياضية ، نوادى الشباب ، والافلام التعليمية والثقافية التى تعرض فى الكنائس والمدارس ، كل هذا جميل وبرىء فى حد ذاته ، ولكن هذا لا يتم ابدا لوجه الله أو للثقافة . انه تنشيط مبيعات .. الكوكاكولا تنتج لك فيلما سينمائيا عاديا ، أو تمول برنامجا تليفزيونيا ، أو تطبع كتابا ثقافيا لالشىء الا لكى تعرض لك فى كل موقف ـ وبشكل يبدو عارضا ـ تلك الزجاجة المشهورة التى تشربها امرأة ـ نادرا رجل ـ تبدو عليهــا السعادة ! بهذا الاسلوب تمول الشركات الامريكية برامج التليفزيون والاذاعة والصـحف والافـلام .

ولكن الدعاية وحدها لاتكفى . فالانتاج معرض للتقليد ، والنجاح معرض للتقليد ، لهذا فان أهم عمل تال هو حماية الانتــاج من التقليد حماية سر المهنة سر الانتاج . لهــذا فان معظم الشركات الامريكية تضم أقسام مخابرات خاصة بها للتجسس على الشركات الاخرى المنافسة وحماية منتجاتها هى من التقليد ، ان القــانون يحمى كل سر انتاج مسجل من التقليد ، ولكن القانون وحده لايكفى فى أمريكا . هناك دائما أسرار انتاج ، وابحاث لتطوير الانتاج ، لابد أن تعمل الشركة نفسها لحمايتها من التسرب .

وفى حالتنا السابقة مثلا ـ شركة الكوكاكولا ـ نجد أن تركيب الكوكاكولا يمثل واحدا من أدق الاسرار الصناعية فى العالم . أن ١٤ من الـ ١٥ مادة التى تدخل فى تركيب الكوكاكولا معروفة فعلا، سكر مكرر ، كرملة، كوكا ، كولا ، قرفة ، جوزة الطيب ، عصير ليمون . فانيليا ... الخ ..

ولكن المادة الخامسة عشرة لايعرفها أحد . مادة تسمى ٧ اكس 7X مادة لم يعرفها فى الشركة كلها طوال عمرها أكثر من ثلاثة ولاأقل من شخصين . انهم لايسافرون معاً وأحيانا لايعرفون بعضهم !!

ان الاحتفاظ بسر الانتاج هو أمر مهم للانتاج فى أمريكا اذن ، ولاشىء يأتى بعد ذلكسوى المنافسة . منافسة قاتلة . ان قواعد اللعبة معروفة مقدما ، واللاعبون لايرحمهم أحد . من الممكن أن تنجح شركة اليوم ، وتفشل غدا . اذن : تفلس الشركة ، وتخرج من حلبة السباق !

واذا عدنا الى نموذجنا السابق ـ شركة الكوكاكولا ـ فاننا سوف نجد أنه بعد كل هذا النجاح ، فان الشركة تعرضت لازمة نفسية ضخمة فى أوائل الخمسينات ، كانت الشركة فى ذلك الوقت تنتج سلعة واحدة هى الكوكاكولا ، فى الحجم التقليدى للزجاجة المشهورة ، ولكن فجأة ، بدأ نصيب الكوكاكولا من مبيعات السوق يتناقص .. لقد أصبح مشروب اخر ـ هو البيبسى كولا ـ منافسا خطيرا ! عند هذه النقطة قررت الشركة أن تلغى سياستها المطبقة طويلا فى التركيز على انتاج سلعة واحدة . قررت أن تعبىء الكوكاكولا فى أحجام أكثر تطورا . خطوة قررتها الشركة سنة١٩٥٤ بعد هذه الخطوة فقط ، بعدهذه الابحاث فقط على ذوق المستهلك ـ قفزت الشركة مرة أخرى الى الامام حتى أصبحت تنتج الان ٢٥٠ سلعة أخرى غير الكوكاكولا ، فى خمسمائة عبوة مختلفة . ان البيبسى كولا تبيع الان فى أمريكا أقل من نصف مبيعات منافستها، ومع ذلك فان وجودها فى السوق ـ مجرد وجودها أعطى للكوكاكولا درسا الا تركن للكسل مرة أخرى .

ان المجتمع الامريكى يستطيع أن يتحمل منك اشياء كثيرة، الا الكسل ، هذه قواعد اللعبة ، بمجرد أن دخلت ميدان التجارة والاقتصاد ، فقد أصبحت خاضعا للعبة . بمجرد أن تصبح رجل أعمال على الطراز الامريكى ـ فلن تستطيع مطلقا التأكد من غناك أوفقرك الا اذا دققت النظر كل يوم فى أرقام البورصة . من الممكن

ان نكون غنيافى لحظة وفقيرا فى اللحظة التالية . قلت هذا من قبل .. ان سماسرة البورصة لايحكمون على الصحة الاقتصادية للمجتمع بكمية المحاصيل فى المزارع ، اوارقام الانتاج فى المصانع .. ولكن بما تم الرهان عليه فى البورصة ، شىء تمت تربيته وزراعته فى الشخصية الامريكية نفسها .

واذا دخلت اى مكتب فى هذه الشركة ، او فى اى شركة اخرى .. فان قواعد اللعبة سوف تتضح لك اكثر واكثر . ان المدير فى داخل اى قسم من اى شركة وظيفته ان .. يدير ، ان سلطته واسعة وقراراته سريعة . ان عليه أن يتصرف كما لوكان سيصبح رئيسا لشركته غدا . الواقع أن كل موظف مطلوب منه أن يتصرف كما لو كان سيصبح رئيسا لشركته غدا . لانه لو آمن بذلك .. فانه سيتعلم دائما ، وينمى مواهبه دائما ، ويحصل على برامج تدريب جديدة دائما . باختصار : انه لن يصبح رئيسا للشركة . لا اليوم ولا غدا ، ولكن عليه دائما ان يكون جاهزا لهذه المهمة .

لهذا السبب فان من الممكن أن يفصل الموظف — يفصل المدير نفسه — فى لحظة ، لانهم وجدوا مديرا اكفأ منه . لقد سئل احد المقامرين مرة . ماذا تفعل اذا ضبطت أمامك لاعبا يغش فى اوراق اللعب ؟ فأجاب المقامر : ماذا أفعل ؟ أراهن عليه بكل تاكيد !

حسنا . هذا هو نفس الاسلوب الذى يدار به العمل فى اى شركة هنا . ان مكافآتك جاهزة فورا عندما تمتاز ، ولكن عقوبتك جاهزة أيضا عندما تهمل . ثم ان الامتياز ليس هو المطلوب فقط ، ولكن الموظف مسئول عن المحافظة على سمعة الشركة ايضا ، ومسئول عن اعطاء كل دقيقة من وقت العمل للشركة .

عندما تدخل مكتبا — أى مكتب فى أى شركة — فانك .. لامؤاخذة .. لن تجد شخصا يدخل الى مكتبه بعد موعد العمل بربع ساعة او حتى بخمس دقائق . لن تجد موظفا يشرب شايا أو قهوة ، يرغى فى التليفون ساعة ، يقترض جريدة من زميله ليتسلى ، يحكى لزميله مشكلته مع زوجته أمس . لن تجد واحدا ينقطع فجأة عن العمل ، أو يطلب اجازة مرضية ، أو يقترض سلفة من المرتب . لن تجد كرسيا تستقبل عليه ضيفا . لن تجد ساعيا تعطيه بقشيشا لاحضار الغداء .. بعد هذا لن ترى موظفا يقف لرئيسه عندما يدخل المكتب ، أو ينحنى له عندما يحدثه ، اويقول له : أفندم أو « حاضر يا بك » اذا زاد احترامه لرئيسه عما يجب فهذا ضعف فى الشخصية ، اذا تلعثم فى شرح افكاره فهذا معناه

ان تفكيره مضطرب ـ ان الكلام الواضح دليل على تفكير واضح ، اذا انهى عملا بعد موعده فهذه عدم كفاءة. اذا عمل سكرتيرا فيجب ان يرد على التليفون ويأخذ الرسائل ويكتب على الآلة الكاتبة . ان الشركة ، المجتمع ، الناس ، يتوقعون منك أن تكون منطقيا .. بسيطا .. كفئا .. مشغولا بالمستقبل ان حافزك هو السلطة والثروة . ان عينيك ترزيان كل شيء كأدوات تساعدك فى المنافسة على السلطة والثروة . انك مسئول عن البحث لنفسك باستمرار عن عمل احسن ومرتب أكبر .

وحينما تحصل على عمل فى شركة اخرى ، فان الشركة الجديدة تسألك عن خبرتك ، وتسألك أيضا : لماذا تركت العمل فى اخر شركة. انهم سيقبلون كلامك كما هو، خلال يوم واحد سيتأكدون من صحته . فكل شركة مستعدة لاعطاء الشركة الاخرى أى بيانات عن عملك وسلوكك وكفاءتك . وكل شيء ماعدا مرتبك .

ان الصدق يأتى فى الترتيب بعد الكفاءة فى العمل .. شرطان ضروريان لنجاح الادارة ، أى ادارة . ان أمريكا كلها هى تنظيم . هى ادارة. هى علم تنظيم الادارة .. هنـــا فى أمريكا . سوف تحصل على الاحساس ان تاريخ الحضارة كلها هو مجـــرد تاريخ شركة جنرال موتورز ، أو بنك تشيز مانهاتن . انه تاريخ أى شركة او بنـــك . !

**ان هولندا هى بقال اوربا .. والمانيا هى مصنع أوربا . وفرنسا هى كوافير اوربا وسويسرا هى مصحة اوربا . وأسبانيا هى ملهى أوربا .. واليونان جرسون أوربا . وايطاليا مطعم أوربا .. ولكن هنا .. فى أمريكا .. سوف نحس ان هذا البلد هو بنك العالم!**

**عندما يصاب بنك فى هذا البلد .. تتلوى امعاء رجل الشـــارع فى أمريكا ! فاسلوب العمل كله ، أسلوب الادارة كله ، هو أسلوب بنك .. نظام بنك.. ان أى بنك يعتمد على : سمعة ، سرعة ، ثقة يستطيع ان تأخذها قرضا من أى بنك بغير أى ضمان .. ولكنك لو تاخرت مرة فى السداد فسوف ترفض كل البنوك بعد ذلك التعـــامل معك !**

**ان هذا الاسلوب فى العمل له ضرورته ، البعيدة فى الشخصية الامريــكية نفسها .**

**ان هذا البلد ـ امريكا ـ قد عمره واستوطنه فى البداية اناس لم يكونوا ناجحين فى مواجهة الظروف الاجتماعية ببلدهم الاصلى، أو كانوا يعتقدون بانهم يستحقون نجاحا اكثر . انهم فروا من تلك**

**الظروف املا فى حياة احسن . لقد جاءوا يبحثـــون عن تعويض لحرمان سابق تعويض يبحثون عنه فى اقل وقت ، وباى ثمن .**

**هذه العملية فى حد ذاتها أدت الى بقاء نوع معين من الاشخاص .. نوع هو الذى يستطيع أن ينجح ويستمر حتى الجولة الاخيرة يخضع لعملية انتقاء واختيار يجريها المجتمع يوما بعد يوم . نوع من الاشخاص له مميزات الايجابية .. وعيوبه السلبيـــة ، انه مجتمع من المهاجرين .. من العطشى .. عطشى للنجاح، للنقود للتغيير ، للتقدم ، هذا معناه ان من يستطيع أن يبقى فى السباق هو فقط من لديه كمية هائلة من النشاط ، الطموح ، الحركة، والتفـــاؤل .**

ولكن هذا له جوانبه السلبية ايضا . فاذا كان المجتمع الامريكى قد كسب الشخص الجرىء والنشيط ، اذا كان قد كسب نصيب الاسد من شخص ، فانه قد حصل ايضا على شخص بلا حـــذر .. شخص طموح ــ نعم .. ولكنه يؤجل عواطفه دائما . تفاؤل ــ نعم ، ولكن النقود عنده أهم من العواطف ، الرحمة عنده اسوأمن الفشل ، الفشل اسوأ من الموت ، شخص .. العطف عنده اسراف .. الوسط . عنده فشل ، الهدوء مصيبة ، الجمودتأخر ، والفقر جريمة ، جريمة شخص لاجريمة مجتمع .

لقد أدى هذا المناخ مهمته . اصبحت أمريكا اقوى دولة اغنى دولة ، اكثر دولة تقدما . لقد اصبح البطل الجديد ــ المعبـــود الجديد للمجتمع الامريكى ، هو الدولار ، رجل الاعمال ، صاحب البنك ، عملاق الصناعة ، لقد خرج راس المال الامريكى خـــارج الحدود ، يستثمر فى أوربا ، يستعمر فى آسيا . ويشترى الزعماء السياسيين فى « جمهوريات الموز » أمريكا اللاتينية .

ولكن من ناحية أخرى ــ لم يتوقف تأثير هذا المناخ عند هـــذا الحد . لقد امتد ليخلق فى المجتمع الامريكى شياطين أخرى كثيرة .. التوتر ، العنف ، العنصرية ، العواطف الميكانيكية ، السرعة الجنونية « لقد أصبحت امريكا مجنونة » .. هذه جملة تقليدية نسمعها باستمرار فى أوربا كتعبير عن راى الاوربيين فى حماقة الامريكيين أحيانا .. لاشىء يبتسم منه الامريكيون قدر هذه الجملة !

ولكن الحماقة لها جمهور فى الولايات المتحدة . انني لاأريد أن أصدر أحكاما ضد المجتمع الامريكى لانها فى النهاية سوف تكون احكاما اخلاقية . فى الواقع ان الشخص الامريكى العادى يتمتع بصفات كثيرة تستحق الاعجاب والاحترام والفهم ولكن المســـالة

هى انك لا تستطيع ان تأخذ فكرة كاملة عن أى مجتمع من خلال انجازات المجتمع الامريكى يراها كل النـاس ابتداء من العقـل الالكترونى الى الهبوط على القمر ان الفكرة عن اى مجتمع لاتكون كاملة .. الا اذا تضمنت ايضا شرحا لجروح هذا المجتمع .

ان اول هذه الجروح هو العنف .. انتشار العنف . فمنذ سنة ١٩٠٠ قتل فى أمريكا ثمانمائة الف شخص ـ اى اكثر من قتلاها فى الحرب العالمية الاولى، والحرب العالمية الثانية ، وحرب كوريا، وحرب فيتنـــام .. معا .. !

لقد اغتيل اربعة من رؤساء امريكا الـ ٣٧ لينكولن، جارفيلد، ماكينلى ، وكنيدى ، وتعرض للاغتيال ثلاثة اخرون : روزفلت ـ ترومـــان ، نيكسون .

والسبب فى هذا كله نجده فى طبيعة وتكوين المجتمع الامريـكى نفسه . ان التاريخ الامريكى يبين لنا ان التغيير فى أمريكا يكون دائما بالغ العنف . فالمجتمع الامريكى مجتمع عنيف ، ولد فى عنف ، وتطور اعنف ، وآمن بالعنف ، وعاش ليجنى الثمار المرة للعنف .

وفى القرون الخمسة التى مرت على اكتشاف « كولومبوس » للدنيا الجديدة كان العنف جزءا من الحياة الامريكية كان هناك عنف الغزو والمقاومة ، عنف التفرقة العنصرية ، عنف الحرب الاهلية ، عنف المجرمين والعصابات ، وقطاع الطرق ، عنف شريعة الثأر .. ثم كل هذا معا ضد عنف العصابات .. وعنف المدنية ..

وتستطيع ان تلمس هذا العنف فى الافلام الامريكية نفسها .. ان ابطال الشاشة الذين يصفق لهم الجمهور الامريكى هم هؤلاء الذين تراهم دائما مشغولين بكيل اللكمات للناس فى وجوههم عندما لايكونون مشغولين بتقبيل البطلة . أو البطلة التى تصفع البطل .. فيقبلهـا هو فى اللحظة التالية ..

ان المجتمع الامريكى كان يحتفظ بالعنف دائما كوسيلة أخيرة لتصفية خلافاته وانقساماته .. انه مجتمع يعلم انه من البداية منشق على نفسه .. انه يعلم ان أمريكا نفسها قد ولدت فى لحظة الشقاق ، والجمهورية ولدت فى لحظة الشقاق ، وان كل رائد حمل عصاه على كتفه وتوجه الى أمريكا بثقة فى المستقبل فعـل ذلك فى لحظة انشقاق على ماضيه .

وهذا الانشقاق نتبينه اليوم فى مظاهر كثيرة فى الحياة الامريكية . انشقاق مع خيبة امـــل .

**ان اليمين الامريكى مصاب بخيبة امل : ان هزائم امريكا فى العالم**

تتزايد يوما بعد يوم خارجيا ، والسود ينتصرون فى مقاومتهم للتفرقة العنصرية محليا .

واليسار الامريكى مصاب بخيبة امل : امريكا تتحول بسرعةالى مجتمع بوليسى ، والاحزاب الامريكية اثبتت أنها ضد اى تغيير جذرى .

**البيض** مذعورون من اصرار السود على المساواة الاقتصادية والاجتماعية .

**والسود مذعورون من** شراسة الرجل الابيض فى التمسك بالتفرقة العنصرية .

**الجيل القديم** يريد الاستمرار فى الحكم والسلطة ، برغم كل الكوارث التى سببها لامريكا خارجيا ، وبرغم كل جهوده لاسكات الاصوات المعارضة داخليا . انه جيل بلا مبادىء ولا اخلاق ولامثل عليا . ومع ذلك فهواعلىالاجيال صوتا فى التشدق بالاخلاق والمثل العليا .

**والجيل الجديد** هو الجيل النظيف الشريف فى امريكا . انه يواجه الجيل القديم بمطالبه : قوة أقل ، وشرف أكبر ، تورط أقل . ومبادىء اكثر . انه لايريد لامريكا أن تكون رجل البوليس فى العالم . يريدهامجموعة من المثل والمبادىءوالتقدم بغير عجرفة، والقوة بغير عنجهية بغير غرور .

وكل فريق من هؤلاء يحتفظ بالعنف كوسيلة أخيرة لتسوية خلافاته وحساباته مع الفريق الاخر وحتى حينما يتحرك المجتمع الامريكى ضد العنف .. فانه أيضا يتحرك بعنف . ان رد الفعل يكون متطرفا .. عنيفا..جامحا . رد فعل تستطيع أن تلمسه فى جميع الانتخابات التى جرت فى أمريكا خلال السنوات الاخيرة . ففى كل انتخابات الرئاسة يتحرك اليمين الامريكى بشراسةحاملا شعار « محاربة العنف » أو شعار « محاربة الجريمة » .

لقد كان بارى جولد ووتر مرشح الحزب الجمهورى للرئاسة سنة ١٩٦٤ رمزا لهذه الظاهرة فى انتخابات تلك السنة .

كان الشعار بالنسبة له سنتها هو « الجريمة فى الشوارع » .

وفى انتخابات الرئاسة سنة ١٩٦٨ ــ التى حضرتها وشاهدتها عن قرب ــ رشح اليمين الامريكى مرة اخرى جورج والاس . لقد اعطى والاس للقضية اسماجديدا هو « اقرار النظام والقانون » ان الـ ٢٧ مليون صوت التى حصل عليها جولد ووتر فى سنة ١٩٦٤، كانت هى نفسها نقطة البداية بالنسبة لوالاس سنة ١٩٦٨

والواقع ان جولد ووتر وولاس هما شخصيتان تقليديتـان فى السياسة الامريكيه .. تقليدية كشخصية العم سام . انهماعبارة عن مزيج من الايمان بالتفرقة العنصرية والعداء نحو المثقفين . وهذا المزيج ليس جديدا كظاهرة عامة فى السياسة الامريكية .. ففى الخمسينات كان هناك مكارثى الذى قاد حربا مروعة ضـد المثقفين الامريكيين بحجة محاربة الشيوعية فى امريكا . ان مكارثى كان نتيجة للتورط الامريكى فى حرب كوريا .. وكان ايضا رمـزا لسقوط وتدهور الحزب الديمقراطى .

وفى انتخابات عام ١٩٦٨ كان جورج والاس هو نتيجة للتورط الامريكى فى حرب آسيوية أخـرى : حـرب فيتنام ، نتيجة لتدهور نفس الحزب : الحزب الديموقراطى .

ان مكارثى وجولد ووتر ووالاس يعبرون اذن عن ظاهرة مستمرة فى السياسة الامريكية والمجتمع الامريكى ، لهذا فان ظهورهم على المسرح لايثير تساؤلا ما ، ولكن مايجب أن يثير الاهتمام هو التعرف على القوة التى تختارهم للتعبير عنها .

لقد حاولت ان اتعرف على هؤلاء الناس حينما ذهبت الى امريكا لاول مرة سنة ١٩٦٨ ، وحضرت انتخابات الرئاسة وقتها . لقـد اردت أن اكتشف من هم المؤيدون الذين يعبر عنهم والاس . حسنا .. لالغز هناك .

انهم ــ كما اكتشفت ــ هم جزء هام من الشعب الامريكى . طبقة تقع فى اسفل الطبقة الوسطى . ناس يعملون باجسامهم ، يفكرون بأيديهم ، يدفعون اشـتراكات لنقـابات لا تهتم بهم .. ناس يسوقون تاكسيات او يخدمون فى بار . ناس يذهبون للصيد مع أطفالهم فى الاجازات . ناس يناولون اطفـالهم الى زوجاتهم بينما يصفقون لمرشحيهم ، أنهم يحدثونك عن دنيا مليئة بالاعداء : طلبة ، شيوعيون ، صينيون ، النيويورك تايمز ، فيدل كاسترو ، الروس ، نيويورك ، السود ، مدخنو المخدرات .

انها دنيا غريبة ، مليئة بالمذعورين والخائفين . المذعورين من الهزيمة الامريكية فى فيتنام . المذعورين من اصرار السود عـلى المساواة بهم . المذعورين من مطالبة الفقراء بنصيب فى الثروة . المذعورين من سعى الطلبة لنصيب فى السلطة .

ان نموذج هؤلاء المذعورين هو الرجل الذى « ليس شابا » ليس اسود . ليس فقيرا» . هذا النموذج يعيش فى منزله الخاص ، لديه سيارة ، عليه قرض ، يؤمن بأن الضرائب التى يدفعها مرتفعة

وان الفقير يريد الحصول على شيء مقابل كسله وأن السود يريدون اكثر مما يستحقون . ان دنياه مليئة بالخوف اكثر ماهى مليئة بالكراهية ولكن فيها من الكراهية مايكفي لجعلها خطوة. انه يريد التغيير . لهذا يعتمد على اليمين المتطرف فى اجراء هذا التغيير. يعتمد على جولد ووتر ووالاس لمجرد انهما يقولان له أن التغيير بسيط ،. فقط غير الرجل الذى فى كرسى الرئاسة فيعود المجتمع الامريكي الى سنة مثل سنة ١٩١٠ ،انهم يقولون له ان ثورة السود فى أمريكا غير موجودة !

يكفى قمعها مزيد من القنابل ، يقولون له ان حرب فيتنام غير موجودة . يكفى ان تسقط امريكا عددا كافيا من القنابل خارجيا، وتسكت كل الاصوات المنشقة داخليا .. ثم يأتى النصر . يقولون له أن أى معارض لحرب فيتنام يجب «محاكمته» بتهمة الخيانة بعد جرجرته من شعره علنا أمام المحكمة ،وكل متظاهر يجب ان تدوسه سيارة البوليس .انهم يقولون له – باختصار – أن مشاكل المجتمع الامريكى المعاصر لاتمثل فى الواقع اية مشكلة . انها جميعا ممكن حلها بتعيين مزيد من رجال البوليس وانتاج مزيد من القنابل بعدها يمكن للمجتمع الامريكى أن يعود الى سنة ١٩١٠ ، حينما كان هناك حصار فى الشتاء ، وولائم فى الربيع ، حينما كان الاطفال يذهبون الى السباحة فى البحيرات ويلعبون كرة القدم ويعبدون الله ويحترمون والديهم والدولار وأمريكا . ان معظمهم يريد أن يعود الى زمن فى أمريكا كان يعيش فيه فى نفس المنزل طول عمره ، ويعرف كل شخص يقابله فى الشارع . زمن لم تكن فيه فيتنام ، الصين ، الاتحاد السوفيتى ، الشيوعية ، الطلبة . انهم – كمريض فى مستشفى – لا يسألون انفسهم أبدا .. هل فيتنام تنتمى لامريكا ؟ اهل هى مهمة لها ؟ أليست واحدة من الاسنان المؤلمة للشعب الامريكي التى يجب خلعها ؟ .. أبدا . انهم فقط يرددون لك حجة واحدة : « لقد فقدنا الصين من قبل .. ولن نفقد فيتنام الان » . يقولون لك ذلك كما لو كانت الصين ولاية امريكية .كمالو كانت الحرب الاهلية الطويلة التى عاشتها الصين لتحرير نفسها هى مجرد مباراة كرة .

هؤلاء هم الملايين التسعة الذين اعطوا لجورج والاس سنة ١٩٦٨ والملايين الـ ٢٧ الذين اعطوا اصواتهم لجولد ووتر سنة ١٩٦٤ ، هؤلاء هم الذين سوف يستمرون – مع انهم يتناقصون – كقوة ضاغطة فى السياسة الامريكية لسنوات طويلة مقبلة . انهم يريدون

حربا مقدسة ضد كي شيء في العالم يختلف مع الاسلوب الامريكي في الحيـــاة .

هؤلاء هم الذين تنبأ بهم معلق امريكي — جون فريانك — سنة ١٩٤٧ ، حينما كتب معلقا على موجة طاغية وقتها ضد الشيوعية : « ان خوفنا من الشيوعية سوف يستمر في الايماء لنا بسياسات عدوانية معادية للشيوعية في اسيا وكل مكان اخر ، وسوف ينقاد الشعب الامريكي الى ان يفكر — وربما يعتقد حقا — أن مساندة الحكومات المعادية في آسيا هي بشكل ما دفاع عن الاسلوب الامريكي في الحياة . ان هذا أخطر من السياسة الامريكية الى أن تقيم نظما تحاول اخماد الحركات الشعبية في أندونيسيا والهند الصينيـة ، والفيلبين ، والصين ، وهكذا .. بعد الوقوف لمحاربة الشيوعية في آسيا ، سوف يضطر الشعب الامريكي في النهاية الى محاربة شـعوب آسـيا .

ان هذا الخوف الذي تنبأ به المعلق الامريكي بآثاره المدمرة مبكرا في سنة ١٩٤٧ هو الذي يجعلنا نفهم عودة اليمين الامريكي الى العنف عقب كل فترة من الهـــدوء ، ان مكارثي وجولد ووتر ووالاس لم يكونوا اذن سببا في هذا المرض الامريكي ، ولكنهم كانوا واحـدا من اعراضه .

ان المرض الحقيقي بعد ذلك في المجتمع الامريكي هو التفرقة العنصرية فحتى الان — حتى هذه السنة — مازال الامريكي الاسود يعيش في أجزاء كثيرة من امريكا كمواطن من الدرجة الثانية . في الوظائف ؟ آخر من يعين وأول من يفصل . في البطالة ؟ فرصة تعطله هي فرصة الرجل الابيض في الاجور ! اجره هو نصف أجر الرجل الابيض . في نيويورك يعيش منفيا في حي خاص به هو حي هـــارلم .

ان حي هارلم في نيويورك مشهور بأنه حي الزنوج ، ولكنه في الواقع ليس اكثر احياء السود بؤسا . ان هذا « الشرف » تحظى به أحياء أخرى كثيرة غير حي هارلم . أما حي هارلم فهو العاصمة الزنجية ، مثلما نيويورك هي العاصمة الامريكية غير الرسمية . ان الاحصائيات تقول ان ٥٠٪ من الاسر الزنجيـة هنا يقل دخلها السنوي عن اربعة آلاف دولار ، بينما تنخفض النسبة الى ٢٠ ٪ في الاسر البيضاء .

ولقد كان الرئيس الامريكي الراحل جون كنيدي يقول مستنكرا : ان الطفل الامريكي الاسود — بصرف النظر عن مواهبه — لديه

احصائيا نصف فرصــــة الطفل الابيض فى التخرج من مدرسة عليا، ثلث فرصته فى التخرج من كلية ، ربع فرصته فى الحصول على وظيفة ، واربعة أضعاف فرصته فى التعطل .

**ان هذه المشكلة هي التى جعلت امريكا من البداية بلدا منقسم الشخصية ، هناك دائما امريكا البيضاء ، وامريكا السوداء . ان امريكا لم توقع الهدنة قط بين هاتين الصورتين المتعارضتين . واحيانا ــ كما حدث مرة من قبل أثناء الصراع المرير بين الشمال والجنوب ــ وصل هذا الصراع الى قمته فى الحرب الاهلية . حرب كانت تمثل نقطة المواجهة بين الامريكتين .**

**ان تاريخ امريكا كله ليس الا تاريخا لمحــــاولات التوفيق بين هاتين الامريكتين : امريكا البيضاء ، وامريكا السوداء . انه توفيق لايتم ، وصلح لاينعقد .. لانه يتحرك على أساس اقتصادى . فما دام الامريكي الاســود هو الاضعف اقتصاديا فانه لن يحصل ابدا على المساواة الكاملة مع الأمريكي الابيض . مادامت جراثيم المرض حية .. فان أعراض المرض مستمرة .**

بل ان اعراض هذا المرض نفسه امتدت لتصيب قطـــاعات اخرى كثيرة فى المجتمع الامريكى ؛ ان الجيل الامريكى الجديد ــ فى نوبة من الاحتجاج الاخلاقى ضد امراض المجتمع الامريكى ــ بدأ يحمل لواء المعارضة ضد هذه الامراض ــ انه كما قلت من قبــل ــ يريد لامته الشرف حتى بغير قوة . . بعد ان أصبحت أمريكا قوة . بغير شرف . انه يتساءل دائما « لقد غزونا الفضاء ماذا عن الجوع؟ » ويتساءل أيضا « **انا نتحمل أعداءنا .. فلماذا لانتحمل انفسنا .. لماذا لايستطيع مائتا مليون امريكى ان يتحملوا بعضهم ؟ .** »

انه جيل جديد يريد أن يغسل قاذورات اليمين الامريكى . جيل متنبه لامراض مجتمعة ، متطلع لعلاجهـــا . هـــذا هو الجيــل الذى وقف بقوة ضـــد رئيســـه حينما قــرر غزو كمبوديا نفســـها ، جيل يعرف المشـــكلة .. ولكن ردود فعله تختلف كثيرا فى مواجهة هذه المشكلة .

ان بعضهم ــ بعض الشباب الامريكى ــ يخرج فى مظاهرة ، وبعضهم يتحول الى هيبيز كما يسمونه فى امريكا . ان حركة الهيبيز انتشرت بين الشباب الامريكى ــ المتعلم بالذات ــ ويتهمونها هنا فى امريكا بالانحلال وبعدم ايمانهم بالقيم التى تعارف عليها المجتمع الامريكى . وانا ضد هذه النظرة السائدة فى بلاد كثيرة ــ ومن بينها

مصر ـ التى ترى حـــركة الهيبيز فى هـــذا الاطار .. الاطار الذى يعتبرها حركة انحلالية كل مقوماتها تعاطى المخدرات واطالة الشعر وممارسة الجنس ، ان هـذه المظاهر صحيحة .. نعم . ولكنى اختلف فى تفسيرها .

**ان هذه الحركة هى وجه آخر للتفسخ الذى يشعر به الجيل الامريكى الجديد . يجب أن نفهم اولا ان هؤلاء الهيبيز هم اولا ساخطون ثم بعد ذلك نختلف معهم فى كل شىء . نختلف مثـلا فى أن الفرد حينما يسقط نفسه من المجتمع ـ فتعاطى المخدرات هو سقوط من المجتمع ـ فانه بذلك لايحل مشكلة ، ولكنه يخلق مشكلة** . انه لايقدم حلا .. ولكنه يمارس حلًا سلبيـا اذا كانت السلبية حلا على الاطلاق . ان الهروب ليس حلا ، الفرار ليس حلا ، الغياب عن الوعى ليس حلا . انه فقط .. غياب عن الوعى .. عن الواقع . عن الحقيقة . انه يعتبر الدوس هسكلى ـ مجرد « اجازة كيميائية » يأخذها الفرد من الواقع .

× × ×

**لقد حاولت مرة ان أدخل الدنيا التى يعيش فيها هؤلاء الهاربون من الواقع . هؤلاء الهيبيز .! كنا فى نيويورك . مجموعة من الشباب فى هذه الشقة . خليط مشترك من الشبان والشابات . بعضهم طويل الشعر ، بعضهم عارى الصدر ، بعضهم كثيف الشارب ، كلهم يحمل الماريجوانا !**

**ان المـاريجوانا هو النوع المنتشر حاليا من أنواع المخدرات فى أمريكا . ان « تعميرة » الماريجوانا التى توضع فى سيجارة واحـدة ملفوفة تتكلف ٧٥ سنتا، ستين قرشا بسعر السوق السوداء فى القاهرة ، خمسة وثلاثين قرشا بالسعر الرسمى .**

**ولكن السجاير ليست هى الوسيلة الوحيدة لتدخين الماريجوانا .. لقد اخترت وسيلة اخرى عندما دعيت الى هذا الحفل : « جوزة » نعم « جوزة » كالتى يستعملها اى حشاش ، بعـد اضافة التكنولوجيا الامريكية اليها . انها بعد هذه الاضافة ـ لم تبق جوزة تماما ، لقد اصبحت دورقا زجاجيا بأنبوبة عند الرقبة . انبوبة يتفرع منها خرطومان . خرطوم لك ، والثانى لفتاتك ، او زميلك فى التدخين، داخل الاناء الزجاجى خليط من الخمور او اى خليط آخر يختـاره المدخنون . بعـد ذلك معروف : الدخان ، الماريجوانا ، النار ، التدخين .**

**كانت التجربة جديدة بالنسبة لى . تجربة ترددت فيها اكثر**

من مرة ، الى ان هزمنى حب الاستطلاع فى النهاية ، وها انا الان فى وسطها. قبل :ن يبدأ التدخين .

عندما تدخن الماريجوانا — هكذا قالت لى الفتاة المثقفة بجانبى — امسك بهـــذه .

ماهذه ؟

— هذه أنبوبة تنظر منها الى الشقة والناس والاشياء من خلالها . أنبوبة ترى من داخلها الشىء الواحد مضروبا فى ستة. الكرسى تراه ستة . الوجوه تراهم ستة .. وهكذا ! صندوق الدنيا .. معين !

ثم .. « أستمع الى هذه الموسيقى .. سوف تكتشف الان أن الموسيقى قد بدأت فجأة تصبح اكثر عظمة . موسيقى الخنافس .. أنظر الى الانبوبة .. تأمل فى رأسك . تحول الى النافذة... أنظر الى السماء .. ان الشمس الواحدة فى السماء سوف تراها شمسين ، القمر قمرين ، النجمة نجمتين ، و.. و.. و.. »

ولم اشعر بشىء من هذا كله . كان الصداع فى رأسى أكثر وجودا من أى شمس أو قمر فى السماء .. صداع ، صداع ، صداع ، ثم رغبة فى القىء .. ولكن ، لاشىء من المتعة ، لاشىء من اللذة لاشىء حقيقى من هذه الاوهام ، هذه الاجازات الكيميائية . كل شىء خرج من رأسى ماعدا حقيقة واحدة : ان هؤلاء الهاربين من الواقع ، ليسوا ظاهرة منعزلة .. ولكنهم يمثلون عملية سقوط سلبى من المجتمع . هؤلاء الهاربون مؤقتا . تقدرهم مجلة « تايم الامريكية بمليونين من الشباب .

× × ×

ولكن الشباب الامريكى ليس كله من هؤلاء . ليس — حتى — معظمه . ان معظمه اكثر ايجابية وتنبها للواقع . انهم يريـــدون تصحيح الاخطاء الضرورية فى المجتمع الامريكى . انهم — مثــل جميع حركات الشبــاب فى العالم — حركة لم تقدم البديل للامر الواقع . ان كل ماهو موجود هو فى رايهم موجود بخلل . حسنا. ولكن ماهو البديل ؟ هذا السؤال ليس من مهمة الشباب الاجابة عليه — انهم — بحكم سنهم المبكرة وخبرتهم المحدودة — يعرفون فقط مايقفون ضده . ولكنهم لايحتفظون بصورة واضحة الملامح لما يقفون من أجله ليس هذا خطأ ، ليس هذا عجزا . هذا شباب .

ان الامل الوحيد لتصحيح المجتمع الامريكى هو الشباب الامريكى .. انهم شباب يرى أن الانسان المعاصر أصبح قريب الشبـــه

بالصورة التى رسمها هكسلى له فى روايته « عالم جديد شجاع » انسان : يأكل جيدا، يلبس جيدا ، يمارس الجنس جيدا ، ومع ذلك فهو بلاروح .

× × ×

**واذا كنا حتى الان قد استعرضنا اتجاهات قطاعات كثيرة فى المجتمع الامريكى ، فمازال امامنا القطاع الاكبر ، الذى يشكل الاغلبية . ان نموذج هذا القطاع هو « الرجل المتوسط » .**

ان معظم تعاملك اليومى سوف يكون مع هذا «الامريكى المتوسط» امريكى الطبقة الوسطى . انه قد لا ينتمى اقتصاديا للطبقة الوسطى ولكنه ينتمى اليها بأفكاره وهمومه . ان « الامريكى المتوسط هو — فوق كل شىء — مفهوم عقلى ، وضع أخلاقى ، حالة نفسية ، مجموعة من القيم والاهواء والميول . بهذا المعنى سوف يمثل « الامريكى المتوسط » بالنسبة للمهاجر دائما نصف الشعب الامريكى تقريبا . انه قد يكون رئيسك فى العمل ، أو جارك فى المسكن ، أو البائعة فى محلك المفضل ، أو أم الفتاة صديقك ، أو صاحب المنزل .

**انك قد تعرفه بما ليس فيه اكثر مما تعرفه بما هو فيه . انه ليس غنيا، وليس فقيرا . ليس مثقفا ، وليس جاهلا . انه يكره الفقر ، يخشى التغيير ، يتطلع الى الثروة .**

**انه يؤمن بالديمقراطية ، الحرية ، الدستور ، ويعبد الله — مع انه قد ينسى صلاة الاحد من اجل برنامج تليفزيونى ، انه ياكل جيدا ، يسكن جيدا ، يتسلى جيدا ، يعمل بمشقة ، ويحلم ببيت فى ضواحى المدينة .**

**انه قلق ، ولكن امامه صناعات ضخمة كاملة تعيش على هذا القلق : السجاير ، المشروبات الروحية ، الافلام ، التليفزيون، الالعاب الرياضية ، اليانصيب ، المحاضرات .. الخ ..**

**ان شيئا فى العالم يجب الا يزعجه فى اجازته الاسبوعية .**

**اذا رآك فى هذه الاجازة فانه دائما يسالك (( هل اعجبتك امريكا ؟ ) )) انه يصبح سعيدا لو اعجبتك . ولكن ينزعج جدا اذا قلت له انها لم تعجبك . فى الواقع ، ربما يشعر نحوك من الآن فصاعدا بشىء من الجفاء .**

**انه يسالك ايضا : (( ماريك فى هذا العنف بالجامعات ؟ انني لا ارى داعيا ابدا لخوفهم على امريكا . لماذا الخوف ؟ ممن تخاف ؟ من الحكومة ؟ من البوليس ؟ من الكونجرس ؟ لا . لا . بالله**

عليك ، هل رأيت بنات المستر نيكسون وزوجته فى التليفزيون امس ؟ هل يخاف الانسان من رجل هو رب لهذه الاسرة ؟ »)

انه يحب ايزنهاور لانه أب فى كرسى الرئاسة . يكره ترومان لان (( . . العمل كبير عليه )) يعجب بكنيدى لانه تعبير عن الحكم الامريكى ) . يكره جونسون لانه يتصرف كراعى بقر .

ان هذا الامريكى المتوسط له مقايسهالتى يحكم بها على الاشياء دائما . ان الصورة الرومانتيكية للانسان فى راسه هى فرد ضد الظروف ، بشرط أن ينجح هذا الفرد فى النهاية ضد الظروف . ان الفشل بالنسبة له هو خروجك من السباق قبل الجولة الاخيرة . الفشل هو أن تبدأ فى اليأس أو الغش فى قواعد اللعب. أما النجاح فهو قدرتك على التكيف مع الظروف . النجاح هو أن تبدأ من الصفر .

انه يقرأ النيويورك تايمز ـ أحيانا الديلى نيوز ـ ويحب افلام المغامرات ويهوى الكتب التى تحدثه عن أمريكا سنة ٢٠٠٠ ، ويخرج الى الريف فى الاعياد ، ويحتفظ بألبوم مصور عن كل رحلة ويحلم بجولة حول العالم بعد التقاعد .

أنه عندما يشعر بالخوف يتحرك الى اليمين بسرعة . وعندما يشعر بالطمأنينة يتحرك الى اليسار ببطء . فى الازمات يصبح متطرفا . فى الرخاء يصبح سعيداً .

انه أحيانا يشعر بالتجاهل. أحيانا يرى نفسه «أغلبية صامتة» فى امريكا . انه يفكر فى التضخم ويحس بالفوضى وينزعج من انتشار العنف ويحذر من تعليم الجنس لاطفاله فى المدارس ويقلق من احتمال تعاطيهم المخدرات فى الجامعات ، مبتئس من خفوت صوته فى المسائل السياسية الكبرى .

ان كل القضايا الكبرى لها دائما معنى شخصى بالنسبة له . ان المنزل والأسرة هما بؤرة اهتمامه ، وكل قضية كبرى يجب أن تفسر على ضوء علاقتها به شخصيا وبأسرته . ان التضخم معناه قطعة لحم اقل ، والجريمة معناها قلق على طفله الصغير عند رجوعه من المدرسة .

لقد جاء بنيكسون الى البيت الابيض لانه وعد بحل لكل هذا . لقد طرد جونسون من الرئاسة لان من يخلق مشكلة لن يكون قادرا على حلها . لقد صلى خوفا على حياة طاقم ابولو ١٣ لانهم صورة للرواد فى خياله ، لقد اختلف مع ابنه امس لانه جعل امه تبكى طوال المساء . لقد اعطى ثقته لايزنهاور ، ولكنه معجب

**بنيل أرمسترونج أكثر من اعجابه بنيكسون، ويحب جون واين أكثر من مارلون براندو .**

**انه يرسل من جيبه برقية تعزية لجاكلين كينيدى بعد مصرع زوجهـا . ان كل شخص يقنعك بشراء سيارة قديمة ، ويجعل زوجته سـعيدة ، هو شخص صـالح - فى رايه - لعضـوية الكونجرس . كل شخص بدا من الصفر وتحـدى الظروف هو مرشح صالح لعضوية مجلس الشيوخ .**

**انه دقيق فى مواعيده وشـغوف بتجديد حياته وحريص على تذكر عيد ميلاد زوجته . انه يقف بالصف الطويل فى عز البرد كل كريسماس لكى يدخل « راديو سيتى » فى نيويورك ، ويرسل بطاقات التهنئة لاصدقائه فى اعياد الميلاد ، ويغنى النشيد القومى فى مباريات كرة القدم ، ويتبرع بدولار من اجل نجاح مرشحه فى الانتخابات ، وخمسة دولارات من اجل بناء كنيسة ، وخمسين دولارا لانقاذ طفلة مريضة من الموت !**

انه لا ينفعل لخبر .. ولكنه يهتز لمأساة .

ان حجم أسرته محـدود ، بالكثير اثنين أو ثلاثة .. ان أسرته صغيرة ونشاطه ضخم وحركته سريعة وأولاده يعتمدون على أنفسهم منذ صباهم المبكر . ان زوجته لها قيمـة عنده لانها زوجته .. وليس لانها ام لأطفاله .

انه يدخر لشراء هدية لزوجتـه ، وشراء سـيارة جديدة .. والقيام برحلة حول العـالم عند التقاعد . ان قصـة كفاحك فى الحياة تسحره أكثر وأكثر مما تسحره شهاداتك واصرارك يدهشه اكثر من استمرارك وشخصيتك تعجبه أكثر من أصل أسرتك . انه لا يجد مانعا أبدا فى أن يبدأ من جديد .. ويعرف كل شىء جديد .. ويتعود على كل شىء جديد .. ويبدأ فى دراسة شىء جديد فى سن الستين .

انه مسـتعد لارتداء اى شىء .. والتحـدث فى أى شىء .. وتجربة كل شىء .

انه يفكر دائما كما لو كان يعيش بمفرده وسـط قارة خالية من السكان .

انه يدخر قسط التأمين على حياته وزوجته وسيارته قبل ان يدفع ايجار المنزل .

انه يقول لك أن فى امريكا الآن مائة الف شخص تزيد ثروتهم

على مليون دولار . لهـــذا لايرى مانعا ابدا فى ان يكون هو رقم واحد بعد المائة الف !

◎❖◎

انه يؤمن بالمسيح والتكنولوجيا . يعبد العـذراء والدولار .. يصلى من أجل الحصول على الثروة الآن والغفران فيما بعد !

x x x

و .. هذا هو **«الرجل المتوسط»** فى أمريكا . هذا هو الاغلبية هذا هو « **مستر امريكا** » .. الذى ستقابله زميلا فى العمـل أو رئيسا أو صديقا او مجرد جار لك فى الشقة التالية .

بعد أن تتعرف على هذا الرجل ـ على **مســتر امريكا** هذا ـ تستطيع أن تبدأ فى التعرف على الحياة فى أمريكا وعلى المصريين فى امريكا .

الفصل التاسع :

# المعلم سكر .. مهاجر رغم أنفه !



سافر المعلم سكر الى نيويورك !

ان المعلم سكر ـ هذا الشاب الذى يعمل فى محل جزارة فى بولاق بالقاهرة ـ هاجر الى امريكا ! انه لم يقصد الهجرة .. ولم يقصد امريكا .. ولم يقصد أى شىء أكثر من العودة الى دكان الجزارة فى بولاق بالقاهرة . حيث يبيع اللحم ويدخن الشيشة كل يوم .. بالمسبحة فى يده والطاقية البلدى على راسه والجلباب المفتوح الصدر ذى الاكمام الواسعة فوق جسمه

جسم ضخم يدل على الرجولة المطلقة .. من وجهة نظر المعلم

سكر . رجولة يرمز اليها هـذا الشارب الضخم الذى تستطيع ان تراه فى وجه المعلم سكر من مسافة بعيدة ..

بهذا الجسم أصبح سكر جزارا ، ومعلما .. وكل شىء يحلم به منذ الطفولة ! ان كل رأسماله فى الحياة هذا الجسم .. « بكتفين يقف عليهما أسدان . وذراعين يقف عليهما جملان ، وشارب يقف عليه صقران .. الى آخر الصورة التى يعبر عنها زكريا أحمد فى الاغنية المشهورة .

ان المعلم سكر لم يقصـد أن يهاجر .. ولم يقصـد ان تكون هجرته الى أمريكا .. انه مبدئيا ـ لا يعـرف أين توجد أمريكا هذه . ان كل ما يعرفه فى هذه الدنيا هوالمسافة بين محل الجزارة الذى يعمـل فيه . وبين البيت الذى يقيم به فى حى بولاق .. بالقـاهرة .

ان كل مايعرفه المعلم سكر هو محل الجزارة .. والكرسى امام الدكان والشيشة امام الكرسى .. وورقة اليانصيب التى يشتريها كل يوم .. وكوب العرقسوس الذى يشربه مرتين فى اليوم . . والبنت القمر ـ قمر الدين يعنى ـ التى تتمخطر فى مشيتها امام المحل كل يوم . البنت عزيزة .

« ياصلاه الزين .. يارب توعـدنا .. يارب توعـدنا وتعمل المراد » .. هكذا كان المعلم سـكر يتمتم كل يوم بصوت تسمعه بنت الجيران القمر ـ عزيزه ـ عندما تمر أمامه مرتين فى النهار .. ربما كان مرورها هـذا لايتم الا لمجرد سماع كلمات المعلم سكر .. انه شاب ، جزار ، قوى الصحة ، مفتول الشارب .. انه ليس صاحب المحل بعد ـ ولكنه يحـلم بذلك يوما ما . انه يرى فى عزيزة كل الحـلاوة التى توجد فى العالم .. عندما تمر عزيزة امامه .. بالشبشب فى قدمها واللبان فى فمها .. والكحل فى عينيها .. والبرقع على وجهها والملاية اللف فوق جسمها فان الانشراح ينطق من كلماته والبهجة تقفز الى صـوته ، والسرور يشع من عينيه « .. يا صلاة الزين ، النبى تبسم .. يا ارض احرسى ما عليكى » .

كيف تحرسـها الارض وعزيزة تسـير فوقها بجسم هزاز . جسم راقص ؟

ولكن الواقع انه كان رقصا متبادلا . عنـدما يرقص جسمها

يرقص شاربه . عندما يهتز خصرها يهتز قلبه . عندما يتلوى وسطها يتلوى خرطوم الشيشة فى يده !

× × ×

ثم .. اختفى هذا كله . لم يعد يتلوى فى المعلم سكر شيء سوى امعائه . ان الجوع صعب والاكل قليل والنقود غير موجودة . والغربة فى بلاد الخواجات صعبة .. خصوصا عندما يكون هؤلاء الخواجات امريكان ! ان المعلم سكر لم يفكر مطلقا فى أن حظه سوف يأتى به الى هنا ، الى نيويورك .. ان كل ما كان يفكر فيه منذ سنتين ـ عندما كان فى القاهرة ـ هو أن يصنع ثروة يعود بها الى حى بولاق ليقيم فيه محل الجزارة ليشتريه به والبنت عزيزة لكى يتزوجها . هذا كله ما دار فى ذهنه يوم ذهب يتطوع فى صفوف قوات الجيش الانجليزى التى تحارب باصرار ضد قوات المحور فى تلك الايام السوداء من ايام سنة ١٩٤١ . لقد تطوع فى صفوف الجيش الانجليزى لانه سمع من رفاق له جاءوا من التل الكبير عن الثروة التى يحققها كل من يعمل منهم فى الجيش البريطانى ، ويتاجر بعد ذلك فى مخلفات الجيش البريطانى .

بهذا الهدف ـ هذا الامل ـ دخل المعلم سكر متطوعا فى صفوف الجيش الانجليزى شهر ، شهران ، ستة أشهر .. ثم نقلوه على ظهر سفينة انجليزية محاربة فى البحر الاحمر . شهران آخران ثم انتقلت السفينة الى العمل فى المحيط الهندى يوم .. يومان .. ثلاثة .. ثم وقع المحظور .. فبعد أن تم تموين السفينة فى أحد موانى جنوب أفريقيا .. استطاعت البوارج الالمانية ان تكتشف هذه السفينة الجديدة الانجليزية و .. أصابتها فى مقتل !

الآن غرقت السفينة ، غرق البحارة .. غرق كل شيء .. لم تكن السفينة هى وحدها التى غرقت .. وانما غرقت معها ايضا فى تلك البقعة من المحيط الهندى .. كل تلك الآمال داخل المعلم سكر ـ كل أمل فى الثروة ، فى محل الجزارة ، فى عزيزة .

× × ×

ان المعلم سكر ـ الله وحده يعلم كيف ولماذا ـ استطاع النجاة مع ستة آخرين من البحارة . هؤلاء هم بقايا السفينة الحربية الانجليزية الغارقة . ان الله يعلم ان عزيزة تعيش الآن فى بولاق دون أن يقول لها أحد « يا صلاة الزين .. يا قمر .. يا قمر الدين » ! ربما من اجل هذا ـ من أجل هذا فقط ..

صمم المعلم سكر على النجاة بجلده من الشمس الحارقة والمياه المالحة فى تلك البقعة السوداء من المحيط الهندى . وربما من أجل هذا فقط .. ظلت الحياة تدب داخل ذراعى المعلم سكر وهو يصارع الموج سابحا فى اتجاه لا يعلم بالضبط اين يمكن ان يقوده .. وبحث عن شاطىء لايعلم بالضبط متى يظهر فى الافق .

ومع الانفاس قبل الاخيرة من حياة المعلم سكر استطاع أخيرا ان يرى من بعيد شيئا يشبه الشاطىء .. اى شاطىء ؟ اى أرض ؟ اى قطر ؟ انه لا يعلم بعد ..

ان كل مايعلمه انه بعد ساعتين او ثلاثة استطاع ان يصل الى هذا المكان .. وان يتأكد بنفسه انه أرض ، عليها ناس ، ثم ان هؤلاء الناس يسكنون فى دولة اسمها: جنوب افريقيا !! سبحان الله .. يحيى العظام وهى رميم !

هذا كل ما يتذكره المعلم سكر . انه يتذكر فقط انه كان فى ذلك اليوم مجرد رميم .. أقل من رميم . وان الامل الذى غرق منه فى المحيط الهندى قد عاد اليه الآن من جديد : الامل فى العودة الى عزيزة .. والله زمان على القمر .. قمر الدين الذى يتمخطر فى بولاق .. كيف يصل المعلم سكر الى بولاق ؟

— اين بولاق هذه ؟

**— فى كايرو يا خواجة .. أنا أصلى من كايرو ..!**

وبمجهود غير قليل استطاع المعلم سكر ان يفهم اخيرا من الناس الذين سألهم ان الوصول الى كايرو من جنوب افريقيا يحتاج الى ركوب باخرة ، اى باخرة فالبواخر التى كانت تتجه من جنوب أفريقيا الى قناة السويس وقتها كانت كثيرة . ان المعلم سكر لايستطيع ان يركب باخرة .. فلا توجد معه نقود .. ولكن .. هل عدم وجود النقود يمنع الانسان من التسلل الى أى باخرة ليلا .. والاختفاء فيها الى ان تبحر .. فتصبح المسألة امرا واقعا ؟! حيعملوا ايه يعنى ؟ يرمونى فى البحر ؟ يرمونى .. !

وركب المعلم سكر الباخرة ، اى باخرة .. لايهم ، فكل البواخر لابد أن تؤدى الى كايرو ! يوم .. يومان .. اسبوع .. « متى تصل الى بولاق ؟ الى كايرو ؟ »

**— كايرو مين يامستر ؟ الباخرة دى رايحة نيويورك ! !**

نعم ؟ نيو ايه ؟ نيويورك ؟ اين توجد نيويورك ؟ ان المعلم سكر لايستطيع ان يسال كثيرا .. ان لغته الانجليزية لاتزيد على تلك الكلمات القليلة التى استطاع ان يلتقطها خلال شهور تطوعه فى

الاسطول البريطاني . وحتى لو كان المعلم سكر لايستطيع أن يسأل .. بلغة انجليزية معقولة ـ فانه ايضـا لم يكن سيعرف بالضبط اين توجد نيويورك هذه . ان المعلم سكر يعرف الدنيـا بالجملة . . ولا يعرفها بالتفاصيل . انه يعرف فقط ان العالم يعيش فيه جنسان اولاد عرب .. واولاد أفرنج .. ان الانجليز والالمان والطليان وكل شخص اخر ليس أبن عرب .. هم أولاد افرنج .. خواجات يعنى !

انهم على السفينة الان يقولون للمعلم سكر ان هناك بلادا اخرى غير بلاد الانجليز اسمها بلاد الامريكيين .. وان هناك مدينة أخرى غير كايرو اسمها نيويورك .. لا .. لا .. الآن سيدخلون مع المعلم سكر فى التفاصيل .. كلام لايفهمه المعلم سكر .. الم أقل لك انه يريد ان يعرف العالم بالجملة . لزومها ايه التفاصيل دى بقى ؟!

ولكن المعلم سكر لايستطيع الان ان يختار .. ان عليه أن يعرف الآن كم تبعد نيويورك هذه عن بولاق .. عن كايرو .. !

**ـ تبعد كتير .. كتير قوى يامستر .. كلها كام اسبوع وتوصل نيويورك !**

وتمتم المعلم سكر بلغة لايعرفها أحد على السفينة غيره .. **« ياعالم؟ ياهوه ؟ الواحد ينوى يروح مصر .. يلاقى نفسه رايح بلاد الامريكان؟ علم الانسان ما لم يعلم » !؟**

ولم يكن أمام المعلم سكر مفر . لم يكن يستطيع أن يختار . انه ـ فى مثل هذا الوضع ـ لايملك سوى حلين اثنين فقط : ان يلقى بنفسه فى المحيط الذى تسير فيه الباخرة ، أو ينتظر حتى يصل الى نيويورك هذه .. لعله يجد قطارا هناك أو حتى « أوتوبيس » يوصله الى بولاق .. والله زمان ياعزيزة !!

x x x

فى ميناء نيويورك .. يسأله الضابط المختص :

**ـ معاك باسـبور ؟**

ـ لا

**ـ اسمك ايه ؟**

ـ سـكر ..

**ـ سكر ؟ ده اسمك انت شخصيا ؟**

ـ ايوه

**ـ طيب .. اسمك بالكامل ايه ؟**

ـ سكر محمد سكر !

**ـ ايه اللى جابك ؟**

— .....

**فى البداية لم يستطيع المعلم سكر أن يروى. ان اللغة لاتسعفه.. بعد قليل استطاع بكثير من الاشارات وبعض الانجليزية وقليل من العربية — أن يعطى لضابط الجوازات فكرة ما عن حكايته : انجليز .. اسطول .. بحر .. ألمان .. طاخ .. غرقنا .. شاطىء .. كايرو .. نيويورك .. خواجات ..**

وبشكل ما .. لم يتصور ضابط الجوازات ان سكر لايملك فى جيبه شيئا .. انه لم يتصور ، أو لم يشأ ان يتصور . المهم .. انهم أعدوا له أوراقا مؤقتة بديلة عن جواز السفر ، واعطوه مهلة ثلاثة اشهر . . يغادر نيويورك بعدها .. يغادرها الى كايرو .. أو الى أى مكان آخر — لايهم .

وفكر المعلم سكر . سأل الناس .. وفكر .. استفسر .. وفكر .. ثم جلس وفكر . انه الان فى بلاد الامريكان بلا مليم واحد . معدته بلا طعام .. طريقة الى بولاق .. الى عزيزة فى بولاق .. هو طريق بعيد بعيد .. لابد من باخرة والباخرة لابد لها من تذكرة .. التذكرة لابد من نقود .. والنقود غير موجودة .. اذن ما العمل ؟ . لا عمل سوى .. العمل . هكذا فكر المعلم سكر وهو فى يومه الاول بتلك المدينة بلاد امريكان .

ولكن المشكلة لم تحل بعد .. أى عمل يستطيعه المعلم سكر مع هؤلاء الخواجات أى عمل .. ومعلوماته فى الانجليزية لاتتجاوز الخمسين كلمة ؟ ان مايعرفه يتضمن بغير شك كلمات اساسية يستطيع أن يبدأ بها . كلمات مثل .. فود .. مونى جود مورننج . تانك يو .. ويرك .. جود ..

« انت راجل جود ! ابن حلال بابن عليك !!

هكذا قال المعلم سكر لاحد اصحاب محلات مسح الاحذية فى نيويورك عندما دخل عليه فى نفس اليوم يجرب حظه فى العمل . . هل يرضى المعلم سكر ان يقوم بمسح الاحذية ؟ .. نعم .. ماهو السيىء فى هذا ؟ انه يحتاج الى طعام .. الى فود ! والفود عايز مونى .. ومسح الاحذية يمكن ان يأتى له بهذه الـ .. مونى .. هذه النقود !

**يوم .. يومان .. اسبوعان، ثم بدأ المعلم سكر ينتقل الى اعمال اخرى كثيرة .. تقول كناس ؟ تقول بياع ؟ تقول صبى بقال ؟ تقول صبى جزار ؟ يمكن ..**

**المهم ان هذه الدنيا الجديدة بدأت تدهش المعلم سكر .. ان الناس فى الصباح مسرعون كما لو كان (( .. ضاربهم السلك ؛ وفى المساء يرقصون كما لو كان .. (( مخبوطين بحقنة بنج )) .. ان الشوارع نظيفة .. (( تلحس من عليها العسل! ((والبنات)) .. مفاعيص زى مايكونوا بياكلوا فى الشهر مرة ))!**

ومع ذلك .. فان الحياة الجديدة بدات تعجبه وتسحره .. انه لم يفهمها فى البداية .. ولكنها أعجبته . انها لم تعجبه كمقيم فهو موجود هنا رغم أنفه .. موجود بالصـــدفة .. انه موجود الى ان يدخر نقودا كافية لعودته الى بولاق على الاقل .

ولان النقود الكافية لم تتجمع لديه فى الاشهر الثلاثة المسموح له بها فقد استطاع ان يحصل على تصريح بثلاثة اشهر اخرى .. نعم . بالكلمـات الانجليزية المتتابعة التى يلتقطها المعلم سكر كل يوم أصبح يستطيع التفاهم مع الناس . التفاهم بصعوبة فى البداية ، ثم بصعوبة أقل فيما بعد ..

x x x

وبهذا الشكل مرت على المعلم سكر فى نيويورك ستة اشهر ، تسعة أشهر ، سنة .. نعم . سنة كاملة .. استطاع خـلالها ان يدخـر نقودا كثيرة . نقودا اكثر بكثير من قيمة التذكرة التى كان يريدها أصلا .. ان المعلم سكر لم يكن امامه مفر من ذلك .. انه يكافح وظهره الى الحائط .. لا احد يعرفه هنا .. لا أحد يساعده .. لا أحد ولا شىء سوى ذراعيه ! بهاتين الذراعين استطاع سكر ان يدخر فى أول سنة له بنيويورك ـ ٨٠٠ دولار .. بالضبط ـ ٨٠٠ دولار و ٤٥ سنتا

الان يستطيع المعلم سكر ان يفكر وهو مستريح . الان ، بهـذه الدولارات وتلك اللغة المحدودة التى تكفيه ـ بدأ يفكر فى المستقبل . ان أهدافا جديدة تدخل الآن فى رأس المعلم سكر . أهدافا لم يكن يتخيلها من قبل . لقد كان يريد أن يصبح صاحب محل جزارة فى القاهرة .. لماذا لايكون صاحب محل جزارة هنا .. نعم .. هنـا فى نيويورك ؟ ايه المانع ؟!

هكذا بدأ المعلم سكر يسعى نحو الهدف الجديد .. انه يدخر .. الدولار فوق الدولار ـ ويعمل .. الساعة بعد الساعة لكى يحقق هذا الهدف .. ان المعلم سكر اشتغل باعمال كثيرة ، ولكنه يرى أن القيمة كل القيمة ، والمركز كل المركز .. هو ان يكون الانسان : جزارا .. يرى ان السحر كل السحر والاحترام كل الاحترام هو ان يصبح الانسان : معلمـا !

x x x

ومرت سنة. سنتان. ثلاث، ثم حقق المعلم سكر هدفه! لقد اصبح فعلا صاحب محل لجزارة فى نيويورك!

وفى اليوم التالى لدخوله هـــذا المحل .. ارسل المعلم سكر الى القاهرة – الى بولاق فى القاهرة – يطلب قمر الدين .. يطلب عزيزة! بعـــد شهور قليلة وصلت عزيزة ، وأم عزيزة ، واخت عزيزة ، وأخ عزيزة .. وابن عم عزيزة و ١١ شخصا آخرين من الاصهار الجدد للمعلم سكر ..

و .. عندما تذهب الى نيويورك الان . تستطيع ان تسأل عن محل الجزارة – والمطعم – الذى يملكه سكر محمد سكر فى بروكلين بمدينة نيويورك .. فوق المحل تستطيع ان ترى المنزل الذى تسكن فيه عائلة المعلم سكر. انه مستعمرة «المعلم سكر» ! على المحل نفسه تستطيع ان تقرأ باللغة العربية « المعلم سكر » كلمتين لم يجد صاحب المحل ترجمة لهما سوى ما كتبه على اللافتة باللغـــة الانجليزية «Mr. Sugur.» وأرجوك – لا تخطىء فى الاسم . لانك ان اخطأت .. فسوف تصححه لك سيدة تجلس فى الداخل.. هذه السيدة هى : مسز شوجر – عزيزة .. سابقا !

x x x

اننى لو لم أسمع هذه القصة بنفسى فى نيويورك .. لو لم أشاهد ابطالها .. لو لم اتأكد من نتائجها .. لتصورت انها من حكايات الف ليلة وليلة .. ان احدا لو قص لى هذه الحكاية فى القاهرة لقلت انها فيلم سينمائى من اخراج حسن الامام ! قصة لايستطيع ان يتخيلها أبرع كاتب ولا أحسن مخرج . ولكن الواقع يصبح أحيانا اكثر براعة من كتابة القصة واكثر تلفيقا للاحداث من حسن الامام .

وبعد كثير من التردد ، وبعـــد اختصـــار كثير من الاحـــداث – قررت أن اكتب القصة كما وقعت .. فليصدق القارىء أو لا يصدق هذا ما حدث على أى حال . ثم انها بعد هذا كله – ليست أغـرب قصة رأيتها للمصريين المهاجرين على اى حال .

فاذا كان المعلم سكر قد اصبح مهاجرا رغم انفه .. اذا كان قد اصبح مهاجرا دون ان يقصد الهجرة .. فان هناك من الحالات ماهو أغرب منه .. نعم . هناك فى هذه المدينة نيويورك – تستطيع ان تقابل نماذج أكثر غرابة . من المصريين .. الذين لم اكن اتصور من قبل انهم يمكن ان يكونوا بهذه الجرأة .. وهذه القدرة على المغامرة .

خذ مثلا قصة هذا المعلم الاخر : المعلم عطية ..

x x x

ان عطية ــ بعكس المعلم سكر ــ ليس من القاهرة . . انه من مواليد الاسكندرية . . انه على وجه الدقة ــ من مواليد شارع الباشا بقسم الجمرك ــ من مدينة الاسكندرية .

عندما قابلت عطية فى شارع برودواى بمدينــة نيويورك تصورت اننى قابلت شخصا قادما من الاسكندرية منذ خمس دقائق وليس منذ ٢٤ سنة . ان اللهجة ، خفة الدم ، الصوت ، التعبيرات ، الملامح الحركات . كلها هى العلامات المميزة لاى اسكندرانى حقيقى تقابله فى الاحياء الشعبية بمدينة الاسكندرية .

انه مازال فى الثالثة والاربعين من عمره . . بجسم طويل ورأس نحيل الشعر يقترب من الصلع . . وشارب خفيف . . وبدلة تتحول عند اللزوم الى جلباب بلدى !

ان اى رفيق دراسة لعطية يستطيع أن يتذكرة الان عندما اقول : انه كان تلميذا بمدرسة ابراهيم الاول بالاسكندرية ، ثم طالبا بمدرسة محمد على الصناعية . انه لم يكمل تعليمه فى تلك المدرسة ــ تستطيع ان تقول انه فشل فى ذلك . . مع انه شخصيا لا يقول انه فشل . انت تعرف طبعا كم يكون الشاب مشاغبا وشقيا فى تلك السن المبكرة ان آثار تلك الشقاوة مازالت الى اليوم موجودة فى ذراعى عطية . آثار الفتوة والمعارك والخناقات .

ولكن الشقاوة لم تكن هى وحدها سبب انقطاع عطية عن التعليم . لقد كان الفقر سببا اقوى . فمع ان والد عطيــة كان يعمل مساعد مأمور بمصلحة الموانىء بالاسكندرية . . الا أنه كان يرزح تحت عبء الاسرة التى انجبها . . هل تدرى كم طفلا انجبهم الحاج حسن ــ والد عطية ؟ هذا هو الرقم ــ ١٤ ــ نعم ــ أربعة عشر ولدا وبنتا !

ان الاحياء من اشقاء عطية الـ ١٤ هم سبعة ، بعد ان مات سبعة . البقاء لله . . ولكن المهم ان الانسان عندما يولد فى مثل تلك العائلة . . ويعيش وسط تلك الهموم . . فان أفكارا كثيرة تراوده . . الانقطاع عن التعليم ؟ ممكن . هكذا فعــل عطية . العمل ؟ ممكن . هكذا اشتغل عطية فى جنرال موتورز بالاسكندرية . الهجرة ؟ جائزة ففى تلك السن ١٩ سنة يصبح كل منا طائشا لا تراودة سوى الافكار الطائشة ! . . ولكن الفكرة لم تكن طائشة ابدا بالنسبة لعطية . كانت الفكرة جادة جدا . . منتهى الجــد . انها لو لم تكن كذلك لما دفعته الى ان ينفذ مشروعة . . ويهاجر فعلا الى استراليا فى سنة ١٩٤٦ .

ولكن الشاب المصرى ذا التسعة عشر عاما لم يلبث أن مل الحياة فى استراليا بعد اشهر قليلة . لقد أصــابه الملل . . أو الفشل . .

لا أحد يدرى بالضبط . . ان كل مايدريه صاحب الشأن نفسه ـ هو انه شد رحاله على . أمريكا . .

ماذا يفعل شاب فى مثل سنه الصغيرة ، وخبرته المحدودة،ولغته الانجليزية الركيكه . . فى أمريكا ؟ ماذا يفعل فى نيويورك ؟ ان عطية لم يكن يعلم بالضبط ماذا يمكن أن يفعله . كل ما كان يفعله هوأن يهاجر . . وان الهجرة بالنسبة له امر جاد جدا . وانه مستعد لتحمل اية مصاعب تواجهه فى سبيل هذا الحلم الجاد جدا . لهذا كافح ـ كافح عطية بيدية واسنانة الى ان استطاع ان يعمل فى نيويورك . . مساعد طباخ ! ان الاجر قليل جدا ـ مجرد ٢٥ دولارا فى الاسبوع ـ ولكنــه ليس فى موقف يسمح له بالاختيــار . . انه فقط يسمح له بالبحث عن الطعام . . وهذا العمل الاول فى امريكا ـ مساعد طباخ ـ يوفر له الطعام . . والخمسةوالعشرون دولارا كلاسبوع . .رضا!.

ولكن بعد ستة أشهر فقط بدأ عطية يحس بعدم الرضاء . . انهلم يترك الاسكندرية ومصر كلها ، مقابل خمسة وعشرين دولارا فقط يحصل عليها كل اسبوع . . يحصل عليها من مثل هذا العمل المرهق فىنيويورك . . لم يكن هناك داع للهجرة اذن . . مادام عطيةيستطيع ان يقتنع بمثل هذه النتيجة المتواضعة . . أذن . . ماهو الحل هل هنــاك حل ؟

× × ×

نعم . . هنــــاك حل جنونى اهتدى اليه عطية . . ان امريكا دخلت حرب كوريا . والجيش الامريكى يعلن عن حاجتــــه الى متطوعين لماذا لا يتطوع ؟ انه لا يحمل الجنســـية الامريكية . . ولكنهم لم يضعوا هذا ضمن شروط التطوع . لماذا اذن لا يجرب حظه ؟ . .

ومرة أخرى ـ انت تعلم كم يكون الانسان طائشا فى تلك السن المبكرة ـ قرر عطية أن ينفذ فكرته . وخلال شهور قليلة كان عطية فعلا يحارب مع كوريا ضمن أول دفعـــة متطوعين يرسلها الجيش الامريكى الى هناك . شىء لا يصدقه عقل . . ولكن من قال ان هجرة عطية كان يمكن أن يصدقها عقل ؟!

وهكذا اصبح عطية محاربا كوريا . ولكن حرب كوريا كان لابد أن تنتهى وعندما انتهت عاد عطيةالى نيويورك ليكتشف أنه لايحمل الجنسية الامريكية بعد . . وأن ادارة الهجرة الامريكية ترفض تلك الجنسية كمهاجر . . رغم انه حارب سنتين مع الامريكيين فىكوريا وقبل ان تظلم الدنيا فى وجه عطية امسك ورقة وقلما . فلقد

اصبح الان يجيد اللغة الانجليزية - وبدأ يكتب « .. **عزيزى المستر دوايت ايزنهاور .. رئيس جمهورية الولايات المتحدة الامريكية .. !! »**

هكذا مرة واحدة - قرر عطية أن يحول مشكلته الشخصية الى مشكلة تحتاج الى قرار رئيس الجمهورية ! ان ماكتبه عطية فى الخطاب لم يزد عن الوقائع التى حدثت بالضبط .

**« انني أقيم فى أمريكا منذ سبع سنوات .. حاربت فى الجيش الامريكى فى كوريا لمدة سنتين .. وادارة الهجرة ترفض منحى الجنسية الامريكية .. ويا عزيزى الرئيس ايزنهاور .. هل يرضيك هذا ؟ ! .. »**

طبعا ايزنهاور لا يرضيه !! **النتيجة** : حصل عطية على الجنسية الامريكية حصل عليها - بالضبط فى ٢٢ مارس سنة ١٩٥٣ .

**ولكن الجنسية لاتزيد عن ورقة صغيرة .. انها ليست شيئا بمليون دولار ، ولا هى تصريح بالسكن مجانا .. ولا هى بطاقة تعفيه من دفع الايجار ! ما زال أمام عطية اذن أن يبدأ حياته من جديد .. بالدولارات التى ادخرها خلال فترة تطوعه كجندى فى كوريا .**

وبدأ عطية يدخل فى منافصات ومزايدات .. نعم .. أصبح عطية تاجرا .. انه تاجر .. ومقاول .. ومتعهد .. لقد بدأ يحصل على مناقصات توريد الأطعمة والتموين الغذائي لبعض وحدات الجيش الامريكى . انه الآن امريكى .. واسعاره هى الاقل فلماذا لا ينجح فى ذلك ؟ !

وهكذا استمر عطية فى تجارته الجديدة عشر سنوات اخرى . وعندما احس بأن نقودا كافية قد تجمعت لديه . بدأ يفكر فى الاستقرار . ان الاستقرار بالنسبة له لم يكن الزواج . لا ليس بالنسبة لعطية .

ان الاستقرار بالنسبة لعطية كان شيئين : أولا أن يصبح صاحب محل .. بقالة أو جزارة او اكل .. المهم محل مملوك له والسلام .. وثانيا : ان يستدعى أكبر عدد من افراد اسرته المقيمين بالاسكندرية لكى يحضروا الى هنا الى نيويورك - واذا لم يمكن حضورهم للعمل معه - فعلى الاقل يكون لمشاهدة نجاحه فى حياته الجديدة .

بالطبع من حق عطية أن يؤمن بأنه نجح .. مادام قد بدأ محله الجديد هذا برأس مال ٧٥ الف دولار ! محل لم يكتب عطية على

لافتته من الخارج سوى مجرد كلمتين بالانجليزية .. « مطعم كليوباترة » ! ..

وعندما اتجهت الى تقاطع شـــارع ٩٤ وشارع برودواى فى نيويورك لكى أزور هذا المطعم .. دخلت من الباب لاجد مطعما فاخرا تم تجديده مؤخرا فقط . ان تصميم الديكور فيه فن وذوق وبساطة .. لان الذى صممه هو فنان مصرى مهاجر هو الاخر اسمه جمال الزغبى . فنان سوف نسمع عنه فيما بعد .

اقول ان الديكور فيه ذوق ، وهذا فى حد ذاته سبب رئيسى من أسباب نجاح المطعم .. انك عندما تدخل الى المطعم ستفاجأ بأن الباب الى يسارك عندما تدخل من الباب سوف تجد المناضد مقسمة بطريقةثابتة تفصلها حواجز فىمستوى راسك. وعلىالمائدة التى جلست عليها وجدت قائمة الطعام مطبوعة فى كتيب صغير . ان صورة عطية مطبوعة أمامك على الغلاف بقميص مفتوح وكرافتة مدلاه ويدين تشرحان شيئا ما — لا ادرى ما هو — ثم طاقية الطباخ البيضاء متراجعة فوق رأسه الاصلع . فوق الصورة مكتوب باللون الاحمر : « عطية ، رئيس طباخينا الدولى » . دولى فعلا عطية هذا !!

وعندما قلبت فى الكتيب وجدت نفسى أمام كلمات عربيـــة منطوقة باللغة الانجليزية . يبدو أن عطيـــة يريد تعليم اللغـــة العربية لزبائنه ! ان أول سطرين فى الصفحة ينطقان هكذا باللغة الانجليزية « نتمنى أن تتمتأوا بى تآمنا الاجنبى ، وبالموســـيكا الشركيـــة ، وديكور الغـــير مألوف .. نهيتكم لمصلهتكم ومصلهتنا أن تجربوا كل الاتباك المختلفة » !

الترجمة — بالانجليزية الصحيحة فوقها — هى : نتمنى أن تتمتعوا بطعامنا الاجنبى ، وبالموسيقى الشرقيـــة والديكـــور غير المألوف . اننا نستحثكم ( نحيطكم كما ترجمهـــا عطية ) لصالحتنا ومصلحتكم أن تجربوا كل الاطباق المختلفة .

وهكذا تسير باقى صفحات الكتيب الصغير . ان اسم الطبق فى قائمة الطعام مكتوب بالعربية المنطوقة انجليزيا ، ثم تحتهـــا الشرح باللغة الانجليزية الصحيحة .. مثلا :

**همص تباهينا** : حمص مخلوط بزبدة السمسم. الثمن — دولار

**ماهش** : فلفل اخضر محشو .. أوراق عنب محشـــوة .. الثمن — دولار ونصف دولار .

**شيش كباب** : لحم ضآن مشوى على اعـــواد شواء مع فلفل

اخضر . طماطم وبصل الثمن – ثلاثة دولارات ونصف دولار .
**كوفتة :** لحم ضأن مطحون مشوى .. مع الارز .. الثمن ثلاثة دولارات .

**فتة كليوبترا :** طبق خاص جدا . خبز شرقى مبلول فى حساء اللحم .. يعلوه الارز .. وشرائح اللحم وعصير الثوم . الثمن دولاران ونصف دولار .
**مولوخية بالفراخ :** فراخ مطبوخة فى خضراوات شرقية مع عصير الثوم والارز . الثمن ٤ دولارات .

**فول مودامس :** فول مجفف مع بيض وزيت وسلاطة شرقية الثمن دولاران ونصف دولار .
و .. هكذا تستطيع ان تحصل على الطعام فى قلب نيويورك .. ووسط ديكور هو اكثر من مجرد ديكور .. انه مناخ وجو كامل يحيط بك طوال الوقت الذى تجلس فيه على المائدة داخل هذا المطعم المصرى .

فى هذا المطعم المصرى يعمل ١٤ شخصا على ورديتين . كل وردية من سبعة ، من هؤلاء سوف تجد اثنين من السودان . وواحدا من اليمن واثنين من المانيا وثمانية من مصر ! ان الثمانية المصريين هم جميعا من اقارب عطية واخوته . فبعد أن نجح عطية فى مشروعه الجديد هذا .. وبعد أن كتبت عنه جريدة « النيويورك تايمز » .. ارسل الى الاسكندرية ليستدعى أسرته انه الآن يعيش مع والدته واربعة من اخوته وخمسة من اولاد وبنات اخوته ، أصغرهم عمرها ١٧ سنة .

ان وجيهة – هذه أصغرهم وعمرها ١٧ سنة – ممنوع عليها ان تقف طويلا فى النافذة . عيب . ان عطية يقول « ماعندناش بنات يبصوا للجدعان من الشبابيك ان عطية اذن رجل مصرى « جمش » .. ان المصرى « الجمش » فى وسط نيويورك ان بنت اخته هذه يجب الا تكون ملابسها خارجة عن متطلبات الحشمة .. انها لا تستطيع أن ترى فيلما فى السينما الا اذا رآه عطية أولا . و « انت فاهم ايه يعنى ؟! الاصول .. اصول »! هكذا يقول عطية بعد ٢٤ سنة عاشها وما زال يعيشها الان وسط مدينة نيويورك ، وليس وسط حى بولاق بالقاهرة هكذا يطبق مقاييسه الاسكندرانية على الافراد العشرة الذين يكونون أسرته فى نيويورك .. ويعيشون فى منزلهم الخاص ذى الطوابق الثلاثة بشارع برودواى .

ونتيجة لهذا أصبح لدى عطيـــة « مستعمرته » السكانية الاخرى فى نيويورك ــ ثانى « مستعمرة » سكانيــــة مصرية فى المدينة الامريكية الفخمة . ان هذه المستعمرة هى المنزل المستقل الذى تعيش فيه أسرة عطية المكونة من ثلاثة أجيال فى نيويورك .

واذا سألت عطية الان : كم تبلغ قيمة هذا المحل الذى تملكه؟ فانه سوف يرد بسرعه :

**ــ مائة الف دولار .**

ــ كم يبلغ حجم المعاملات التجارية السنوية للمحل ؟

**ــ مليونين من الدولارات .**

ــ كم تبلغ الضريبة التى تدفعها للحكومة الامريكية سنويا ؟

**ــ سبعمائة الف دولار .**

ــ لماذا تعتقد أن مطعمك قد نجح الى هذه الدرجة ؟

**ــ لانني موجود فيه دائما .. لان الطعام فيه مطبوخ بعناية .. لان الاسعار فيه معقولة .. ثم لان الديكور به جذاب .**

ــ لماذا اخترت اسم كليوباترة للمحل ؟

**ــ لانني كنت أريد أن يحمل المحل اسما مصريا ..**

ــ ما هذه الصورة المعلقة فى مدخل المحل ؟

**ــ انها صورة السفير محمد حسن الزيات مندوبنا فى الامم المتحدة .. فى احدى المرات الكثيرة التى جاء فيها لزيارة المطعم.**

ــ هل الطعام الذى تقدمه مصرى حقا ؟

**ــ انني أشترى المواد الخام من نيويورك طبعا .. ولكن طريقة الطبخ هى المصرية .**

ــ لماذا لم تتزوج حتى الان ؟

**ــ لان الزواج كان سيشغلنى عن النجاح فى عملى .**

ــ هل تعتقد أنك سعيد الان ؟

**ــ نحمدوه .. !**

x x x

والواقع ان قصة نجاح عطية .. بالاضافة الى القصة السابقة لنا عن المعلم سكر .. يمكن أن تقودنا الى عدة نتائج هامة .

فالمصرى التقليدى عندما يوضع فى ظروف التحدى يستطيع أن يفعل المستحيل . انه يستطيع ذلك بشرط ان يتحـرر من نفســــه . بشرط أن يتحرر من تلال الصدأ التى تراكمت فوقه ، وطبقات السلاسل التى قيدت حركته . انه يستطيع أن يفعل المستحيل رغم انه يدخل السباق بموارد محـدودة واستعداد

متواضع للغاية . انني أستطيع ان اؤكد انه لولا هذا الاحساس بوجود التحدى .. لولا صعوبة كل شىء امام سكر وعطية .. لما كان ممكنا ان يصلا الى تلك النتائج على الاطلاق ..

انها مسألة تثير الاعجاب .. ولكنها ايضا تثير الدهشة .. فلو التجأت الى العقل والمنطق لكان يجب أن يفشل بطلا القصتين السابقتين فى حياتهما الجديدة فشلا مؤكدا . انهما ـ فى البداية ـ لم يملكا اى موهبة ـ أى كفاءة خاصة ـ يعرضانها على المجتمع الذى هاجرا اليه . لم تكن لديهما الموهبة ، ولكن كان لديهما شىء أكبر من الموهبـــة . كان لديهما الاصرار . والتصميم ... التحدى الامل ـ روح المقاومة .. مقاومة الظروف الصـعبة والامكانيات المحدودة .

لقـد القيا بنفسيهما وسط مجتمع لايرحم .. مجتمع يعطيك كل القيمة اذا عملت ٢٤ ساعة فى اليوم .. ويسحب منك كل قيمة اذا اهملت ساعة فى اليوم . فلانه لا يوجد فى هذا المجتمع الجديد احد يعرفك .. ولا أحد يجاملك .. ولا احد يتوسط لك ولا أحد يعطف عليك .. ولا أحد يهمه امرك أصلا .. فانك فى تلك الحياة الجديدة لا تملك غير يديك واسنانك وعقلك .. هـذا كل ما تملكه .. كل ما تدخره . كل ما تبدأ به الحياة الجديدة. ان المحيط وراءك . والنجاح امامك . ان الفاشلين تحت قدمك والناجحين فـوق راسك . انك لا تملك بين القاع والقمـة سوى عقل تفكر به .. وفكرة تؤمن بها . هذا راسمال كاف جدا .. مادام التصميم موجودا والارادة موجودة .. وروح النضال موجودة

x x x

انني اجد ان هذا التفسير الوحيد المقبول للنتائج التى وصل اليها سكر وعطية وعشرات غيرهم انه التفسير الذى كنت انتهى اليه فى كل مرة اسمع أو ارى أو المس بنفسى النتائج التى حققها احد هؤلاء المصريين اللذين هاجروا رغم انفهم .

ان سكر وعطية لا يمثلان اغرب نموذجين يمكن أن تقابلهما . هناك مثلا نموذج ثالث ، ولكن لم أقابله شخصيا .. لهـذا لم أكتب قصته بالتفصيل .. رغم انى سـمعتها من مئـات المصريين وغير المصريين الذين قابلتهم فى أمريكا .

ان هذا النموذج الغريب اسمه : احمد أبو العيلة . انه لم يكن اكثر من فقى ! نعم . شيخ معمم بالجبة والقفطان والمصحف فى يده وكل النوايا الحسنة فى رأسه . ان احمد ابو العيـلة هو

الآن مهاجر مصرى يعيش فى نيوجرسى بالولايات المتحدة . يعيش بعقـــل مع مصر وزوجة من امريكا . نعـــم .. زوجة مستر « ايلا » .. هكذا يسميه الامريكيون ، هى امريكيــــة وتعمل فى سلاح الطيران الامريكى . ان زوجة المستر ايلا ــ الشيخ ابو العيلة سابقا ــ هى ضابطة برتبة كولونيل ! انها الان مسلمة ، وزوجة ، وأم وكولونيل ، وتساعد زوجها احيانا فى محل البقالة الذى يملكه ، وتستطيع احيانا ان تقرأ بعض الآيات فى المصحف الذى يحمله زوجها دائما !

لقد كان من المفروض أن أقابل هذا الرجل المصرى ــ احمد ابو العيلة .. وبعد أن حصلت على رقم تليفونه فعلا من عم لبيب الرجل العجوز الطيب الذى يعمل موظفا بوفدنا فى الامم المتحدة .. اكتشفت أن الرقم قد تغير .. وان الوقت أمامى لم يعـد يتسع للبحث عن الرقم الجديد .. الا على حساب المواعيد الاخرى التى ارتبطت بها فى الاسبوعين التاليين . لهذا لم اذهب ولم أقابله .. ولكن ماسمعته عنه كان يكفى جزئيا للحديث عن هذه الظاهرة التى لمستها فى المصريين المهاجرين الاوائل الى امريكا .

فمن خـلال النموذجين اللذين تكلمت عنهما فى البداية . سكر وعطية ــ ثم النموذج الثالث الذى سمعت عنه فقط ولم اقابله .. أحمد ابو العيلة .. تستطيع ان تحدد بالضبط طابع الجيل المصرى الاول الذى هاجر الى امريكا . انه جيل يتكون من اناس هاجروا بالصدفة أو ــ بالكثير ــ هاجروا وهم ينوون فى عقلهم الباطن أن يجعلوها غيابا مؤقتا .. هجرة مؤقتة .. تجـــربة لا تضر .. اذا نجحوا كان بها .. واذا لم ينجحـوا عادوا الى ما كانوا فيه ..

انهم اذن جيل وضع نفسه وسط ظروف اكبر منه .. واكبر من طاقته .. فلم يكن لديهم بديل سوى التقدم الى الامام أو الموت فشلا .. ان هجرتهم لم تكن محسوبة .. انها كانت مجازفة أكثر مما كانت مغامرة .. ولكنها انتهت الى نتائج طيبة رغم انها كان من الممكن الا تصبح كذلك .

x x x

ان هذه الصفات كلها اختفت من الجيل التالى من المهاجرين المصريين . فمن النادر أن يهاجر الآن نموذج اخر مثل سكر أو عطية . ان الهجرة أصبحت فى معظم الحالات الآن مغامرة وليست مجازفة . وحتى بعد أن أصبحت مغامرة فهى مغامرة محسوبة مقدما بشكل أو بآخر .

والمهاجر لم يعد شخصا مجردا من اى تعليم .. فاقدا لاى كفـاءة . لقد أصبح شخصا متعلما كفئا ، يريد عملا اكثر مما يبحث عن تجربة ..

ان هذا الجيل التالى من المهاجرين تستطيع ان تلمسه من خلال نماذج كثيرة بين المصريين الذين يعيشون الان فى أمريكا . اننا نستطيع ان ناخذ هذه القصة نموذجا على ذلك .

امير ادوارد سابا . مصرى مهاجر . يعمل الآن مصمما لبرامج العقل الالكترونى فى نيويورك .

ان امير هو شاب مصرى تخرج فى كلية تجارة عين شمس منذ ست سنوات فقط . اول عمل له كان محاسبا بشركة الشرق للمقاولات وآخر عمل هو محاسب بشركة الطيران العربية المتحدة ان البحث عن فرصة . كان بداية تفكير امير فى الهجرة منذ ثلاث سنوات . ان تنفيذ قراره بالهجرة الى امريكا استغرق سنتين كاملتين . فى هاتين السنتين كان امير يعد نفسه ـ علميا ـ لمواجهة المستقبل المجهول الذى سيواجهه بعد هجرته . لقد التحق بالجامعة الامريكية فى القاهرة لكى يدعم مستواه فى اللغة الانجليزية ، والتحق ببرنامج للتدريب على العقل الالكترونى ـ فى القاهرة ايضا ـ لانه يريد سلاحا اضافيا معه يساعده على العمل بعد هجرته .

وعندما هبطت طائرة امير فى نيويورك .. نزل هو منها لكى يرى امريكا لاول مرة . من اليوم التالى مباشرة بدأ يبحث عن عمل . ان اول شيء فكر فيه هو الذهاب الى وكالة توظف .. فى الوكالة حددوا له اسم شركة يتوجه اليها فى اليوم التالى لكى يختبروه شفويا ويسألوه عن خبرته . الان فقط احس امير بقيمة الاستعدادات العلمية التى زود نفسه بها قبل مغادرته القاهرة . ان مجرد تدربه على العقل الالكترونى فى القاهرة اعطاه فرصة فى الحصول على هذا العمل الجديد اكبر من غيره . وبتعبير امير نفسه « .. ان مرتبك هنا ـ فى امريكا ـ يزيد بنسبة تتراوح بين ١٥ و ٢٥ ٪ لو كنت حاصـلا على برنامج تدريبى فى العمل الالكترونى » . ان أول مرتب حصل عليه امير هو سبعة آلاف دولار فى السنة . ان مرتبه الآن قفز الى تسعة الاف دولار فى السنة . ان السبب فى ذلك هو ان امير لم يهدأ . فرغم انه وجد العمل فعلا .. الا انه بعد شهرين فقط من وصوله الى أمريكا التحق بمعهد فى نيويورك لدراسة برامج اكثر تقدما فى العقـل الالكترونى . برامج استمر فيها الى جانب العمل ـ لمدة ستة

أشهر ، كلفته خمسمائة دولار .. بعد انتهاء الدراسة استطاع أمير أن يحصل على عمله الحالى ـ مصمم لبرامج العقل الالكترونى فى شركة متروبوليتان لايف للتأمين . واحدة من أكبر واحسن شركات التأمين .

ان أمير يعيش الآن مع زوجته فى بروكلين بمدينة نيـويورك . ان زوجته مصرية . فى الواقع انه تزوج فى القاهرة قبل هجرته الى امريكا .. ولكنه لم يستدعها الى نيويورك الا بعد شهر من عمله هناك . ان زوجـة أمير لم تتحول الى عبء عليه فى امريـكا ، بل اصبحت عاملا رئيسيا فى مساعدته هناك . ربما كان ذلك لأنهـا حاصلة على ليسانس الآداب قسم انجليزى . ربما لانها هى ايضا فكرت معه فى الهجرة الى هناك . ربما لان قدرتها على التكيف مـع المجتمع الجديد كانت اكثر من غيرها . المهم ان زوجة امير نفسها هى الاخرى حاليا موظفة فى « بنك مونتريال » بمدينة نيـويورك . ان امير وزوجته يعيشان الآن فى شقة متوسطة بمدينة نيـويورك ـ الايجار مائتا دولار فى الشـهر .. رغم أنه من أهم المشاكل التى واجهتها عن البحث عن شقة فى البداية هو ان صاحب المنزل ـ كما هى العادة دائما فى امريكا ـ يطلب منك شهر تأمين وشهر مقـدم وشهر ايجار ـ اى ان عليك ان تدفع ايجار ثلاثة اشـهر فى الشهر الاول . ومع ذلك فان امير يرى « ان الشخص الامريكى العـادى هنا يحـاول ان يفهمك ويتعـاطف معك ويساعدك ويقدر فيك حرصك على تعلم شىء جديد باستمرار . هذا هو مالمسته من زملائى ورؤسائى فى العمـل هنا .. مادمت تؤدى عملك جيدا وباخلاص فانك ستحصل على تقدير الجميع .. وعلى الترقيات ايضا » .

ويقول امير ايضا « ان اجادة اللغة الانجليزية تلعب دورا هاما فى عثورك على العمل المناسب هنا . ليس هـذا فقط ، بل ان هنـاك اصطلاحات انجليزية فى كل مهنة لابد ان تكون ملما بها حتى لا تتصور الشركة ان خبرتك غير كافية للعمل الذى تطلبه . ان اقل اعتراض يثار فى هذه الحالة هو ما يقوله الامريكيون دائما عن مثل هـذا الشخص . انهم يقولون عنه انه : لا يستطيع ان يتفاهم » .

x x x

ومع أننا ربما نعود الى أمير وقصته فيما بعد الا اننى اريد ان اشير هنا ان النماذج الرئيسـية الثلاثة فى هذا الفصل ـ سكر وعطية وامير ـ يمثلون التغير الذى طرأ خلال سنوات قليـلة على طبيعة ونوع المصرى المهاجر الى الخارج ـ والى امريكا بالذات .

ان النماذج الثلاثة يمثلون اشخاصا ناجحين ، ولكن طبيعـة

النجاح ومداه واسبابه اختلفت تماما خـــلال جيلين اثنين فقط من المهاجرين المصريين الى امريكا . فحيث بدأ الجيل الاول من الصفر .. بدأ الجيل الثانى من نقطة أعلى من مجرد الصـفر . وحيث بدأ الجيل الاول من مجرد تعلم اللغة بدأ الجيل الثانى من تعـــلم لغات العقل الالكترونى . وحيث هاجر الجيل الاول دون قصد .. هاجر الجيل الثانى بقصد الهجرة مقدما .. وحيث هاجر الجيل الاول بأقل استعداد واقل تخطيط .. هاجر الجيـل الثانى باستعداد أكبر وتخطيط أكثر أحكاما .

ان الهجرة بالنسبة للجيل الاول كانت مجرد جملة اعتراضية فى حياته .. ولكنها بالنسبة للجيل الثانى كانت تغييرا نهائيا فى حياته ان الجيل الاول ذهب يبحث عن حلم وردى اللون . حـــلم الثراء بقفزة واحدة . ولكن الجيل الثانى سافر بحلم وردى اللون ايضا ، ولكنه حلم اكثر تواضعا . انه مجرد الحلم بوظيفة اعلى !

ان هذه الجملة الاخيرة تشير فى الواقــع الى عيب خطير فى الجيل الثانى من المهاجرين المصريين . فرغم أنه جيل أكبر استعـــــدادا وأحسن تعليما واكثر قدرة على المساومة .. الا انه يهاجر بحثا عن .. وظيفة . انه يترك فى مصر حياته وصـــــداقاته وذكرياته وأسرته ووظيفته .. انه يسافر .. يهاجر .. ينتقـل من مجتمع الى مجتمع .. من حياة الى حياة .. انه يركب السيارة والسفينة والطائرة .. انه يبدأ الاندماج مع اسلوب جديد .. وتفكير جديد. أنه يفعل هذا كله ، لكى يصبح فى النهاية : موظفــــا ! ان المرتب اكبر .. والفرص اوسع ...والحياة اكثر تنوعا .. والنظـــرة للامور اوسع مدى .. ولكنه فى نهاية الامر مازال موظفا .

ان هذا يمثل عيبا خطيرا نجده فى المصريين فقط . انك لاتجده فى اللبنانيين أو السوريين . أو الفلسطينيين الذين يشكلون جالية اخرى كبرى فى امريكا اكبر من المصريين . جالية حملت عصاها على كتفها ـ فلم تكن لديها مجرد حقيبة واحدة ـ ورحلت الى امريكا منذ اكثر من مائة سنة مضت .

ان التطور الذى حققته تلك الجاليات فى امريكا خلال مائة سـنة .. اختصره المصريون لكى يتم فى عشرين سنة فقط ، مـع فروق كثيرة فى النتيجة طبعا ..

ان اهتمامنا الآن سوف يتحول فى الفصل التالى الى تلك الجالية الاكبر عددا .. والاكثر حركة .. الجالية العربية فى امريكا . ان الاهتمام بالعرب ككل .. يمكن ان يلقى لنا اضواء على المصريين ـ كجزء ـ الذى هاجروا الى امريكا ..

الفصل العاشر :

# العرب فى أمريكا ..
# مليون .. مع وقف التنفيذ !



١٨٤٠
مرفأ نيويورك .
٣٠ ابريل
صباح السبت

كل شيء هادىء في ميناء نيويورك . المراكب راسية على الارصفة لا احد يعمل فى الميناء .. فاليوم عطلة اسبوعية . لا احد من عمال الشحن . لا احد من عمال التفريغ .. ما عدا عشرين أو ثـــلاثين عاملا .. وقفوا على الرصيف فى انتظار شيء ما . على بعد خطوات قليلة يقف عمدة نيويورك ، والى جانبه مدير الميـنـــاء ورئيس عمال التفريغ . ان الحديث بينهم يسير فى اتجاه واحد .. من العمدة الى المدير الى رئيس العمال . كل شيء سوف يكون جاهزا .

صوت بوق ينطلق من تلك النقطة التى يتطلعون اليها فى الافق مرتين
بوق ينطلق من تلك النقطة التى يتطلعون اليها فى الافق مـــرتين
وثلاث مرات . انها هى . نعم .. هى بالضبط .. السفينة التى وقف الجميع فى انتظارها من الصباح الباكر .

بعد قليل اصبحت تلك السفينة راسية على الرصيف . مدير الميناء يتأكد من اسم السفينة المكتوب فى المقـدمة . نعم ـ اسمها « السلطانة » . رئيس العمال يصعد مع اثنين من مساعديه الى ظهر السفينة للانتهاء من الاجراءات الادارية بسرعة . ان قائمة البحـارة طويلة : واحد ، اثنين ، ثلاثة ستة ... ستة وستين . مضبوط ٦٦ بحارا . قائمة البضائع المستخدمة داخل السفينة هى ايضـا طويلة : بهارات .. بن .. عاج .. بلح .. هدايا .. سـجاجيد .. سجاجيد فارسية .. م هذه شحنة ثمينة » ! هكذا يتمتم رئيس العمال فالسجاجيد نادرة هنا .. خصوصا اذا كانت فارسية .

وفى نفس الوقت كان العمدة ـ عمدة نيويورك ـ قد صعـــد الى السفينة لكى يرحب بضيفه الكبير .

**ـ « .. اهلا وسهلا .. بمستر احمد بن نعمان .. ممثل فخامة السلطان سيد سعيد.. سلطان مسقط وزنجبار . اننى باسم سكان** نيويورك الثلاثمائة الف .. وباسم رئيس جمهورية الولايات المتحدة مارتن فان بورين .. وباسمى أرحب بك كأول ضيف عربى رسمى فى مدينتنا »

ويرد أحمد بن نعمان : « اننى باسم سلطاننا المفدى الشيخ سيد بن سعيد .. أشكرك . وارجو أن اتمكن من مقابلة فخـــامة رئيس الولايات المتحدة ، لانقل اليه تحيات سلطاننا وهـداياه التى احملها تعبيرا عن تقديرنا لبلاد الامريكان .. »

وبسرعة يقول العمدة : « نعم بكل تأكيد ياسيدى . اننا أيضا لدينا الهدايا التى نود أن نرسلها الى فخامة السلطان .. كما اننـا سوف نقوم بتجديد هذه السفينة السلطانية التى حملتكم الى هنا . تفضل ياسيدى .. تفضل .. فاصحاب المقامات الرفيعـــة ورجال الاعمال فى مدينتنا ينتظرون ذلك لتقديم تحياتهم » .

× × ×

وعندما نزل احمد بن نعمان من سفينته السلطانية فى ذلك اليوم من شهر ابريل ســنة ١٨٤٠ ، نزل بعبايته الواسعة وعقاله العربى ، وعينيه المتجولتين ، نزل سائرا على البســاط الاحمر المفروش له على ارض الرصيف . ونزل ليكون أول عربى على مستوى عال يصل الى هذه الدنيا الجديدة .. بهدف اقامة أول علاقات تجارية بين بلد عربى

.. وبين هذه البلاد الامريكية الجديدة . زيارة مازالت ترمز اليهـا الآن تلك الصورة الفخمة المرسومة لاحمد بن نعمان ، والمعلقة اليوم فى مكتب لجنة الفن بقاعة مدينة نيويورك .

وعندما قام احمد بن نعمان فى تلك الزيارة بتفقد احياء مدينـة نيويورك .. لم يكن يتصور أن واحدا أو اثنين من هذه الاحياء نفسها سوف يصـبح فيما بعد مقرا لآلاف متزايدة من المهاجرين العرب الى أمريـكا .

انه لم يكن اول عربى يصل الى الولايات المتحدة . لقد سـبقه عربى آخر الى عبور الاطلنطى قبل ٧٢ سنة . عـربى اسمه القس الياس الموصلى .. جاء وقضى ١٥ سنة متجولا فى الولايات المختلفة، قبل أن يعود من جديد الى بلاده .

ولم يكن احمد بن نعمان ايضا آخر عربى يضـع اقدامه على تلك الارض التى تقع فى الجانب الآخر من العـالم . وانما كان قدومه بداية لقدوم عرب كثيرين الى هذه الدنيا الجديدة بهدف التجـارة . ومن الآن فصاعدا سوف نلمح من وقت لآخر بعض الاسماء العربية ضمن قوائم المسافرين القادمين الى نيويورك . سوف نلمح مثلا اسم القس كافورى قادما من سوريا الى نيويورك فى سـنة ١٨٤٩ . وسوف نلمح ايضا فى شوارع نيويورك المزدحمة رجلا آخر يتجول مرتديا الملابس العربية المميزة - العباية والعقـال - ونكتشف ان اسمه هوانطون بشلانى .. سورى من بيروت ، فلم تكن هناك بعد دولة اسمها لبنان .

وبعد ١٦ سنة فقط من زيارة أحمد بن نعمان سوف نسمع عن صفقة ضـخمة أبرمتها حكومة الولايات المتحـدة الامريكية مع الامبراطورية العثمانية . بمقتضى هذه الصفقة وصلت الى امريكا سفينة بضائع تسمى « سابلاى » ، حاملة على ظهرها ٣٣ جملا تم شراؤها من الجزيرة العربية لكى تستخدمها الحكومة الامريـكية فى تسـهيل السفر داخل الولايات المختلفة فى الجنوب الغربى . مع هـذه الشحنة وصل أيضا اثنان من المرافقين الاتراك وثلاثة من الاعراب . مهمة تدريبية . ان واحـدا من هؤلاء الاعراب اسمه « الحاج على » .. ولكن الاسم تحول - على الطريقة الامريكية - ليصبح « هى جولى » ! هكذا سجل الاسم عندما عين الحاج على فيما بعد موظفا فى الحكومة الامريكية . العمل : كشاف .

وحتى الان كان العرب المسافرون الى أمريكا يذهبون الى هناك لاهداف تجارية أساسا . انهم عرب .. تجار .. يهود أو مسيحيون .. نادرا مسلمون .. يعبرون الاطلنطى لكى يعودوا الى بلادهم بعد

فترة تطول أو تقصر حسب نوع التجارة التى يزاولونها . ان سفر هؤلاء الى امريكا فى البداية كان ضروريا قبل ان تبدأ الهجرة الى أمريكا فى السنوات التالية . ففى كل مرة يعود واحد من هؤلاء التجار الى قريته بسوريا أو لبنان .. فانه يحكى القصص والاخبار عن امريكا .. عن تلك الدنيا الجديدة .. عن الذهب المكتشف والاراضى الواسعة والمزارع الضخمة والتجارة المزدهرة .

وسرعان ما بدأ المهاجرون العرب يتجهون الى امريكا ابتداء من سنة ١٨٦٥ فما بعدها . لقد ذهبوا بالمئات فى البداية ثم بالالاف قبل نهاية القرن التاسع عشر .

x x x

وحتى قبل نهاية القرن التاسع عشر — حتى سنة ١٨٧٥ — كان المهاجرون العرب القادمون من سوريا قد بدأوا يفتتحون فنادق متزايدة فى نيو أورليانز .. ولويزيانا .. ونيويورك .. لكى يستقبلوا فيها مواطنيهم القادمين من الشام .

ان هؤلاء القادمين الجدد لم يأتوا الى امريكا بدافع الهجرة .. أو بنية عدم العودة . لقد جاءوا على اعتبار انهم سوف يقضون هنا — فى أمريكا — عدة سنوات .. ثم يعودون من جديد الى قراهم وعائلاتهم فى الشام . لهذا جاءوا بعد أن تركوا غالبا كل حيازاتهم فى رعاية اسرهم التى ما تزال تنتظر فى الشام .

ان السوريين المهاجرين — مع مراعاة أن هذا الاسم يشمل اللبنانيين أيضا — كانوا يتجهون أولا الى مدينة نيويورك . ربما يبقون فيها . وربما ينتقلون منها الى ولايات أخرى بعد ذلك . مسألة ظروف . أن نيويورك هى محطة الوصول بالنسبة للجميع ، ومحطة العمل بالنسبة للاغلبية . لهذا فقبل أن تنتهى سنة ١٩٠٠ ، كان عدد السوريين المهاجرين المقيمين فى مانهاتن وبروكلين بمدينة نيويورك قد تجاوز رقم العشرة الاف . ان كل هؤلاء المهاجرين .. كل هؤلاء القادمين من مدن وقرى الشام .. كانوا أصحاب قصة واحدة ، وبداية واحدة ، مع ان نهاية كل منهم كانت مختلفة .

ونحن نستطيع أن نأخذ مثلا قصة هذا المهاجر السورى .. بطرس سعد . ان سعد شاب ترك قريته فى الشام ليصل الى نيويورك مع وصول العاصفة الثلجية سنة ١٨٨٨ . لقد وصل ليجد أولا أن نيويورك ليست مدينة الذهب ، ولكنها مدينة الثلج ، لقد جاء — ليس بهدف الاستيطان هنا نهائيا — ولكن بهدف تكوين اكبر ثروة ممكنة فى اقصر وقت ممكن .. ثم يعود بعدها الى قريته

يعود ليشترى قطعة ارض ويبنى منزلا ويتزوج ويصبح رب أسرة انه لم يعد الى قريته .. ولكن هذا ما كان فى راسه على أى حال يوم وصوله الى نيويورك فى تلك الايام الباردة من سنة ١٨٨٨ .

وفى نيويورك نصح المجربون السابقون هذا المهـــاجر الجديد ورفاقه الاربعة بالاتجاه الى الداخل .. الى الولايات الاخـرى .. والعمل كباعة متجولين . ان احدا منهم لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الانجليزية .. وربما كان هذا العمل أحسن طريقـة بالنسبة لهم لكى يتعلموا الانجليزية من واقع الحياة الامريكية .

وفعلا .. بدأ سعد رحلته فى ولايات امريـكا كبائع متجول .. يشترى البضائع بالجملة ويبيعها بالقطاعى . ان رحلته ــ مع رفاقه الاربعة استمرت ثلاث سنوات . فى تلك الســـنوات قام الرجال الخمسة بالتجول ، بالبيع والشراء ، وتعلم اللغة الانجليزية . بعد السنوات الثـــلاث عادوا الى نيويورك . قليل من الاستقرار ثم التحقوا بمدرسة مسائية . بعد فترة بسيطة عاد سـعد الى عمله كبائع متجول . هذه المرة انحصر تجوله فى ولاية كاليفورنيـــا . من كاليفورنيا عاد الى نيويورك من جديد لكى يبدأ نفس الدائرة . بداية ونهاية .

وقبل أن يغادر سعد نيويورك هذه المرة . كان قد بدأ يحس انه قد أصبح ثريا بشكل ما . وكتعبير منه عن هذه الثروة .. ارسل حوالة بريدية الى أخيه فى سوريا .. حوالة بمبلغ مائتى دولار .

وفى اليوم التالى لوصول هذه الحوالة الى الاخ المتلهف المنتظر فى سوريا .. كان أربعون سوريا ــ من أسرة بطرس سعد واقربائه قد حزموا امتعتهم مهاجرين الى نيويورك .. ليـــكونوا فى رعاية أخيهم الذى اصبح مستوطنا هناك .

× × ×

بهذا الشكل استطاع عدد المهاجرين العرب فى امريكا ــ سوريين لبنانيين أن يصـــل الى ربع مليون شخص قبل نشـــوب الحرب العالمية الثانية .

ومن المفيدهنا ان نتساءل : ماهونموذج الاشخاص الذى كان يغلب على تلك الهجرة ؟ ماهو نوع الكفاءات التى كان يتمتع بها ؟ وما هى الاعمال التى كانت متاحة أمامه ؟ ..

ان معظم العرب الذين هاجروا الى امريكا فى الحـــرب العالمية الثانية كانوا : فقراء غير متعلمين غير مهرة غير مدربين ويحترفون الزراعة أو التجارة ويجهلون اللغة الانجليزية . ان نصفهم انتهى به المكان الى الولايات الجنوبية فى امريكا .. حيث الحاجة الماسة الى

عمال للمزارع بأجور منخفضـــة .. وحيث استطاع بعضهم ان يشترى بعد فترة مزرعته الخاصـــة فى ولايات جورجيـا .. أو تكساس .. او تينيسى .. أو ميسيسبى او نيومكسيكو او اريزونا وربعهم تقريبا استقروا فى ولايات الشاطىء الشرقى لامريكا .. فى نيويورك .. أو نيوجرسى .. أو بنسلفانيا .. أو نيوانجـلاند .

أما الباقون فقد عملوا كباعة متجـولين فى مختلف الولايات .. افتتحوا محلات بقالة .. أو عملوا فى البارات والجاراجات والمطاعم

والحقيقة المؤكدة بعد هذا كله انهم جميعا واجهـوا فى البداية ظروفا اقتصادية صعبة .. بلغت قمتها فى سنوات الكساد العظيم بأمريكا فى أواخر الثلاثينات . لقد وجدوا امامهم المشاكل والحواجز والعقبات . لقد ذاقوا احيانا قسوة الفقر ومرارة الجوع . لقـد تعرضوا للاستغلال بواسطة التجار الجشعين الذين اعطـوهم اقل القليل . ولكنهم ـ قليلا وبالتدريج ـ استطاعوا أن يتغلبـوا على الهزيمة المؤقتة . ان الكساد لم يجرفهم ، لانهم كانوا فقراء أصلا . غير مهرة أصلا . لهذا استطاعوا البقاء حتى تمر العاصفة . وحينما حلت فيضان البطالة استطاع كل منهم أن يطفو براسه ـ رأسه فقط ـ فوق تيار البطالة . ومثلما يحدث فى البحـر حينما تهب العاصفة .. حيث تنجو القوارب الصـغيرة من الغرق .. فانهم استطاعوا النجاة بأنفسهم فى الوقت الذى غرق فيـه غيرهم . واستطاعوا العمل . حينما تعطل غيرهم .

**انهم لم يعودوا الى بلادهم لانهم لم يستطيعوا قبـول الياس كنتيجة اخيرة لهذه الرحلة الطويلة ، هـنا جزء من سيكولوجية المهاجر عندما يواجه هذا الموقف . ان الياس معناه الفشـل .. والفشل معناه الهزيمة . والهزيمة معناها أن تبـدا « شماتة » الاعداء .. ويختفى اعجاب الاصدقاء والاقرباء . لهذا لم يكن امامهم بديل عن العمل ـ والعمل الشاق . ان اختيارهم لمهنـة التجارة المتجولة مثلا هواحدى التضحيات التى قبلوها حتى يتفادوا الياس والفشل والهزيمة .** فأن تكون بائعا متجولا فى أمريكا ـ فى تلك الايام المبكرة فى القرن العشرين ـ معناها أن تحمل بضـاعتك على كتفك وتدق المنازل بابا بابا . ومع اشتغال العمال فى امريكا وقتها ساعات طويلة بالمصانع والمزارع .. مع المسافات الطويلة التى كانت تفصل منازلهم عن المراكز التجارية . فان البائع المتجـول فى امريكا كان يعتبر بين الاوساط الفقيرة فى تلك الايام زائرا مطلوبا فى أى منـزل انه صديق يأتى بالبضائع المطلوبة ، مثلما يأتى أيضا بالاخبار المتناثرة ان السوريين واللبنانيين الذين مارسوا هـذا العمل اكتشفوا

الولايات المتحدة مرد ومرة من شاطىء الى شاطىء . لقد تجولوا فى امريكا ولاية ولاية .. مدينة مدينة .. شارعا شارعا .. منزلا منزلا . ان هذا السورى ، هذا اللبنـانى المهاجر .. هذا البائع المتجول .. كان يظل طوال النهار يبيع .. ويتجول الى ان يحسب مكافأته فى اخر الليل . أنها مكافأة لا تزيد عن وجبة ساخنة ومكان ينام فيه . انه يسـكن فى بيت مزدحم بزملائه المهاجرين العـرب المتجولين مثله . بيت مزدحم بقـدر ما تتسع الارض لاجسامهم النائمة . انهم ينـامون معا .. يأكلون معا .. يواجهـون المصير المجهول معا فى هذه الارض الجديدة معا .

لم يكن أمام السورى أو اللبنانى المهاجر بديل عن تلك الحياة الشاقة . انه معدم الثروة .. محدود المعرفة .. جاهل باللغة . لهذا كان محتاجا الى مثل هذا الحل للتفـاهم مع المجتمع . ومع قبوله بالاجر المخفض واستعداده للحياة عند حدها الادنى ؛ فان تاجر الجملة كان محتاجا له .. محتاجا لتشغيله كوحدة بيع مستقلة .. بأقل التكاليف .

واحيانا كان هذا اللبنانى البائع المتجول يصبح ـ بعد فترة من الوقت تاجر جملة . ساعتها كان يقوم باستدعاء مجموعة جديدة من اقربائه ورفاقه القدامى بسوريا ولبنان .. لكى يبدأوا معه نفس الدورة من جديد .. هو تاجر الجملة .. وهم الباعة المتجولون . ان الفارق فى هذه الحالة هو انه سوف يتولى رعايتهم بأكثر مما راعاه التاجر السابق . انه سوف يوفر لهم المسكن وسوف يتعامل باسمهم مع السلطات المحلية .. وسوف يفض نزاعاتهم ، ويحل مشاكلهم ويدخر لحسابهم . هكذا فعـل الالاف من اللبنانيين والسوريين فى أمريكا . هكذا فعلت مثلا سيدة لبنانيـة فى مدينة سبرنجفيلد اسمها منتورة فرنجية . انها هى نفسها بدأت الحياة فى امريكا كبائعة متجولة .. قبل أن تصل ـ مع زوجهـا ـ الى تجارة الجملة . ان السوريين واللبنانيين فى جيلهم المهاجر الاول بأمريكا ـ استطاعوا الوصول الى هذه النتيجة من خلال بدايتهم المتواضعة فى التجارة المتجولة ، ومحلات البقالة والبارات والمقاهى والمطاعم ومحلات الجزارة والجاراجات والمزارع والسكك الحديدية ان هذه النتيجة تبدو مدهشة . فى الواقع أن مجـرد استمرارهم يبدو مدهشا ـ لو تذكرنا المستوى التعليمى المنخفض جدا الذى بدأوا منه حياتهم فى امريكا . مستوى لم يضـمن ـ فى الغالبية العظمى من الحالات ـ مجرد معرفة عشر كلمات من اللغة الانجليزية

مستوى فرض عليهم ــ عند وصـــولهم الى امريكا ــ ان يدخلوا المجتمع من القاع تماما ــ من تحت القاع أحيانا . انهم .. عنـدما وضعوا اقدامهم على اول درجة فى السلم .. تمـكنوا . بأيديهم واقدامهم واسنانهم ــ من الوصول الى تلك الدرجة التى اصبحوا عندها فى جيلهم الثانى جزءا من الاغلبية فى امريـكا ــ جزءا من الطبقة المتوسطة .

ان الحواجز العالية الكثيرة التى واجهت المهـاجرين السوريين واللبنانيين فى البداية كانت ضخمة . يكفى هنا جهلهم باللغــة . يكفى ان نعلم ان ٩٧٪ من الجيل الاول فى امريكا سـجل أن تعلم اللغه الانجليزية كان أكثر المصاعب التى واجهته بالنسبة للاندماج فى المجتمع . فلانهم جاءوا بلا تعليم ولا لغة ولا كفاءة فقد كان كل شىء فى أمريكا يبدو لهم غريبا عليهم . كل شىء غريب .. كل شىء صعب الفهم .. مستحيل الادراك . ان تـكيفهم مع المجتمع فى البداية واجهته حواجز جعلتهم مضطرين الى التجمع معا ــ كأقارب أو مجرد زملاء ــ فى مناطق سكنية متجاورة كأسلوب من اســاليب الدفاع عن النفس ثقافيا . من هذا الدفاع بدأ تكيفهم مع المجتمع . بدأ من نقطة الصفر . واذاكان الحاجز اللغوى قد استطاع أن يؤخر اندماجهم فى المجتمع الجديد خلال جيلهم الاول .. فأنه ــ من ناحية اخرى ــ حافظ على تراثهم العربى الذى جاءوا به من مجتمعهم القديم .. من سوريا ولبنان . لقد جعلهم يسرعون الى اقامة أحيائهم الخاصة وبناء كنيستهم الخاصة ومسجدهم الخاص واصدار صحفهم الخاصة نعم .. لجأ السوريون واللبنانيون الى التركز معا فى احياء خاصة ومنازل متجاورة . واحيـانا كانت هــذه الاحيـاء تتحول الى « مستعمرات » لبنانية وسورية داخل مدن امريكا . عندك شارع واشنطون مثلا فى نيويورك قبل سنوات .. وشوارع بروكلين فى نيويورك الان .

ولجأوا أيضا الى اقامة كنائسهم الخاصة ومساجدهم الخاصة ونواديهم الخاصة . ان معظم المهاجرين العرب الاوائل الى امريكا كانوا مسيحيين ان المهاجر العربى المسلم كان يجد نفســه هنا من البداية . اقلية . ولكن العربى المسيحى كان يجد نفسه ــ أيضا ــ اقلية . ان الاثنين اذن كانا يشعران أنهما فى موقف واحد من الدفاع الثقافى والروحى داخل هذا المجتمع الجديد . ان العربى المسيحى لم يجد فى كنيسة هذا المجتمع بديلا عن كنيسته هو .. لهــذا استطاع ان يقيم خمسين كنيسة عربية فى أمريكا . والعربى المسلم

كان هو الاخر يجد ان بناء المسجد ضرورى بالنسبة له لكى يحتفظ بتراثه هنا . لهذا قام ببناء ١٧ مسجدا واربعةمراكز اسلامية فى امريكا . مراكز ومساجد تجدها الان فى واشنطون العاصمة .. فى ديترويت .. فى ميتشجان .. فى لوس انجلوس .. فى نيويورك .. فى شيكاغو فى بنسلفانيا الخ

وقبل ان يتم بناء أول مسجد اسلامى فى أمريكا سنة ١٩١٩ . كانت الكنيسة العربية قد بدأ بناؤها فى أمريكا قبله بعشرين سنة ان الفارق الزمنى لم يكن هاما . لان الكنيسة والمسجد لم يكونا مجرد كنيسة ومسجد بالنسبة للعربى المهاجر سواء كان مسيحيا أو مسلما . لقد كانت الكنيسة أكثر من مجرد كنيسة ، والمسجد أكبر من مجرد مسجد . ان كليهما كان رمزا للتاريخ ، رمزا لحضارة .. لتراث .. لثقافة .. رمزا لارتباط روحى بأسرة ومنزل وارض تقع هناك بعيدا . فى الشرق الاوسط . لهذا كان المسجد والكنيسة بديلا عن الاخر . حيثما وجدت الكنيسة فهى بيت للمسلم والمسيحى . حيثما وجد المسجد فهو رمز واحد عند المسيحى والمسلم . انها سيكولوجية الاقلية ــ الاثنان معا اقلية ــ ضمن هذا المجتمع الجديد . انها سيكولوجية الدفاع عن النفس . انها نفس السيكولوجية التى وقفت وراء اصدار اللبنانيين والسوريين لصحفهم الخاصة . صحف باللغة العربية بدات الجالية المهاجرة من اللبنانيين والسوريين فى اصدارها داخل امريكا نفسها ان مشاكل الحياة وضرورات التكيف مع المجتمع الجديد لم تمنع هؤلاء المهاجرين الاوائل من اقامة نشاط ثقافى مشترك .

وكالعادة دائما .. كانت الصحافة هى أول تعبير عن هذا النشاط .. فبدات الجالية العربية فى نيوبورك اصدار صحيفة « **كوكب الشرق** » .. كأول جريدة باللغة العربية فى أمريكا . بعدها تتابع صدور الصحف العربية على مر السنين : جريدة « **الايام** » مثلا . **الناشر** : يوسف معلوف . جريدة « **الاصلاح** » **الناشر** شبلى داموس . جريدة « **الهدى** » **الناشر** : اخوان مكرزل . جريدة « **مرآة الغرب** » . **الناشر** نجيب دياب . جريدة « **السائح** » . **الناشر** : عبد المسيح حداد . جريدة « **السمير** » . **الناشر** : **ايليا ابو ماضى** .

ان هذه الصحف وغيرها كثير لعبت دور الرمز المشترك ، التعبير المشترك ، اللسان المشترك ... لهؤلاء المهاجرين الاوائل القادمين من الشام .. بالاضافة الى دورها التقليدى فى ربط المتناثرين منهم معا .

وقبل أن ننتهي سنة ١٩٢٠ كان هذا التعبير الثقافي المشترك قد امتد خطوة أخرى الى الامام .. عندما قام بعض المثقفين العرب ــ الان بدأ وجود المثقفين العرب ــ في تشكيل جمعية اسموها «رابطة الكلاميات » . رابطة لاهل الشعر والنثر منهم . ان انتاجهم من الشعر كان يعكس روحا رومانتيكية بلهجة ميتافيزيقية مع شيء من الواقعية في انتاجهم الادبي من النثر . ان المجموعة المؤسسة لتلك الرابطة تقابلت اولا في منزل جبران خليل جبران في مدينة نيويورك . مجموعة كانت تضم أسماء لامعة من المقيمين في المهجر .. من بينهم مثلا : **ميخائيل نعيمة .. عبد المسيح حداد .. أمين الريحاني .. وايليا أبو ماضي .**

ومن الان فصاعدا سوف تبدأ عجلة الحياة في الدوران بهؤلاء المهاجرين العرب في امريكا . ان الحواجز العالية امامهم تتساقط واحدا بعد الاخر . ان تفاهمهم مع المجتمع بدأ يصبح أسهل . . ان لغتهم الانجليزية بدأت تصبح كافية . أن عددهم ينمو بسرعة . ان ضعفهم الاقتصادي يتجه تدريجيا نحو القوة . ان احياءهم الفقيرة تتحول ببطء الى مساكن انظف . ان اعمالهم المتواضعة بدأت تتحول الى تجارة واسعة . لهذا بدأ عدد منهم ينمو الى درجة تسمح له بالانتقال من شارع واشنطن في نيويورك الى الشارع الخامس ــ شارع البنوك ورجال الاعمال في مدينة نيويورك . في هذا الشارع تتابع ظهور عدد متزايد منهم : سليم ملوك ــ مستورد . عائلة البردويل ــ تجار . عائلة جبارة ــ تجار . نعيم تادرس ــ مستورد للسجاجيد الفارسية البير سليمان واخوان عطية .. مستوردون أيضا للسجاجيد الفارسية .

ان هذه الاعداد المتزايدة في المهاجرين اللبنانيين والسوريين قد بدأت تتصرف الان بنية الاستيطان . ان كلا منهم قام باستدعاء اسرته و « استيراد » زوجته من قريته الاصلية في الشام . زوجة جاء بها لكي تساعده في ادارة محل البقالة الذي أصبح هو مالكه أو محطة البنزين التي أصبح صاحبها أو محل الازياء الذي يملك راسماله .. انهم يشكلون لانفسهم النوادي والجمعيات الخيرية . انهم يجمعون من بعضهم التبرعات لاقامة كنيستهم الخاصة او مسجدهم الخاص .

ان تأثيرهم في المجتمع وعملهم لنموه يبدأ في الظهور شيئا فشيئا .. ان المجتمع نفسه يعبر عن تقديره لهم بطريقة تنمو مع نمو نشاطهم . فعندما تحتفل الجالية اللبنانية السورية في مدينة سبرنجفيلد مثلا بمرور ٢٥ سنة على قدوم عميدهم الى المدينة ــ

احتفالا جرى فى سنة ١٩٣٨ ــ ان الاحتفال يحضره عمدة المدينة والشريف ومساعد النائب العام وبعض اعضاء الكونجرس ورجال الكنيسة الكاثولوكية .. ولكن .. عندما تحتفل نفس الجالية ــ فى نفس المدينة .. بعد ٢٥ سنة أخرى ــ بمرور خمسين سنة على قدوم عميدهم الى سبرنجفيلد ــ فان الاحتفال يحضره حاكم الولاية .. بالاضافة الى عمدة المدينة وبعض اعضاء الكونجرس و .. رسالة تهنئة من البيت الابيض !

انهم الان ــ المهاجرون العرب فى امريكا ــ اصبحوا من القوة والعدد بما يسمح لهم بالتحول الى جزء هام من المجتمع الامريكى. وحينما ننظر الان الى تجمعاتهم واعدادهم فسوف نجد فورا رقما مدهشا .. سوف نجد ان عدد العرب المهاجرين الان فى أمريكا ، أو الامريكيين الحاليين ذوى الاصل العربى ، قد وصل الى رقم المليون . وسوف نجد انهم متناثرون فى عدد من ولايات امريكا على النحو التالى :

**اريزونا ٢٠ر٠٠٠ ــ كاليفورنيا ٣٠ر٠٠٠ ــ كونيكتيكوت ١٧ر٠٠٠ ــ فلوريدا ٢٠ر٠٠٠ ــ جورجيا ١٢ر٠٠٠ ــ اليانويز ١١ر٠٠٠ ــ انديانا ٣٢ر٠٠٠ ــ ايوا ٢٠ر٠٠٠ ــ كانساس ١٠ر٠٠٠ ــ كنتوكى ١٢ر٠٠٠ ــ ماريلاند ١٠ر٠٠٠ ــ ماساشوستس ١٤ر٠٠٠ ــ متشجان ١٤ر٠٠٠ ــ مينيسوتا ١٠ر٠٠٠ ــ ميسورى ٢٠ر٠٠٠ ــ نيو انجلاند ٢٠ر٠٠٠ ــ نيوجرسى ٣٠ر٠٠٠ ــ نيوميكسيكو ٢٠ر٠٠٠ ــ نيويورك ١٢٠ر٠٠٠ ــ اوهيو ٣٦ر٠٠٠ ــ أوكلاهوما ١٤ر٠٠٠ ــ بنسلفانيا ٣٠ر٠٠٠ ــ داكوتا الجنوبية ١٥ر٠٠٠ ــ تينيسى ٢٠ر٠٠٠ ــ فيرجينيا ١٨ر٠٠٠ ــ ولايات اخرى ٤٠ر٠٠٠ ــ المجموع = ٨٨٠ر٠٠٠ .**

ان هؤلاء ال ٨٨٠ الف عربى يضاف اليهم مائة الف اخرون هاجروا الى الولايات المتحدة فى السنوات العشر الاخيرة . وبذلك يصبح العدد الاجمالى للمهاجرين العرب فى أمريكا حسب آخر احصاء هو ٩٨٠ الفا . أى انه من بين كل مائتى مواطن أمريكى الان .. سوف نجد مواطنا واحدا عربيا ، او امريكيا من أصل عربى . . ان هؤلاء المهاجرين وصلوا الى أمريكا فى أربع موجات متتالية :

● **الموجة الاولى :** هم الذين تكلمنا عنهم فى بداية هذا الفصل ــ هؤلاء المزارعون او التجار الفقراء الذين سافروا الى أمريكا حتى نشوب الحرب العالمية الاولى . ان متوسط السن من مهاجرى تلك الموجة هو ٢٤ سنة ، و ٦٠٪ منهم كانوا غير متزوجين ، وعندما تزوجوا فان ٨٨٪ منهم جاءوا بزوجاتهم من قراهم الاصلية .

● **الموجة الثانيــة :** هم الذين هاجروا الى أمريكا بين سنتى ١٩٢٠ الى ١٩٣٠ . وهؤلاء يتكونون اساسا من ابناء فلسطين الذين هاجروا الى الولايات المتحدة تحت ضغط الازمة الاقتصادية التى

نشأت من بداية سيطرة اليهود على كثير من قطاعات الاقتصاد فى فلسطين بالاضافة الى قطاعات كبيرة من اقارب المهاجرين اللبنانيين والسوريين الاوائل . وهذه الموجة بدأت تشهد تحول المهاجرين من مجرد عمال .. الى أشخاص ينتمون الى الطبقة المتوسطة .

● **الموجة الثالثة** : بدأت تصل الى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٧ . وفى هذه المرة أصبح الفلسطينيون أغلبية فى هذه الموجة من المهاجرين . لقد كان هذا يرجع الى المأساة التى قامت بها الحركة الصهيونية عندما طردت وشردت اكثر من مليون فلسطينى من بلادهم ..

ويضاف الى ذلك ان هـذه الموجـة بدأت تضم أيضا عددا من الاردنيين والمصريين ـ الان يوجد مصريون لاول مرة ـ ذهبـوا الى الولايات المتحدة للعمل أو التدريس والتدريب والتعليم .. ثم اختاروا البقاء . معنى ذلك أن هـذه الموجـة تقف على طرفى نقيض مع الموجة الاولى .. فبينما حملت الموجة الاولى مهاجرين غير متعلمين ، حملت هذه الموجة مهاجرين متعلمين أساسا . وبينما استقر المهاجرون الاوائل فى أعمال التجارة المتجولة ، أو الزراعة .. فان هذه الموجة اتجهت الى التبعثر فى المدن الكبرى بولايات أمريكا .. لانها عملت بالتدريس أو المهن الفنيـة المتخصصة فى أنحاء امريكا .. وابتداء من هذه الموجـة فقط .. أصبح من النادر الآن ان نرى جامعة امريكية أو حتى كلية .. بغير عضو عربى فى هيئة التدريس .. أو حتى مجرد طلبـة فى الدراسات العليا ..

● **الموجة الرابعة** : بدأت منـذ عام ١٩٥٧ ، وطوال السنوات العشر التالية . فى تلك الفترة هاجر الى الولايات المتحدة سبعون الف عربى ، يضاف اليهم ثلاثون الفا منذ سنة ١٩٦٧ .. حيث ساعد قانون الهجرة الامريكى الجـديد الذى صدر فى أول يوليـو ١٩٦٨ على أن يقوم كثير من الامريكيين ذوى الاصل العربى بجلب اقاربهم كمهاجرين .

ومرة اخرى نجد ان هذه الموجة يغلب عليها ـ اكثر من أى موجة سابقة ـ النموذج العربى المتعلم ، المتخصص المدرب . ونلاحظ أيضا انها تضم نسبة كبرى من المصريين الذين ذهبوا الى هناك ـ بحكم تعليمهم ـ ليصبحوا أساتذة فى الجامعـات أو اطبـاء أو مهندسين أو فنيين . وبعضهم أحرز شهرة واسعة فى مجال عمله خلال سنوات قليلة من وصوله .

وسوف نلاحظ أيضا ان تمتع المهاجرين فى هذه الموجة بكفاءات

تعليمية عالية ومتخصصة ، قد وضعهم فى مركز قوة أفضل .. من حيث القدرة على المساومة والحصول على فرص أحسن أو أسواق العمل بالولايات المتحدة .

وتستطيع ان تخرج من الموجات السابقة ايضا بأن المهاجرين العرب المقيمون فى الولايات المتحدة الان يمكن تقسيمهم بشكل آخر:

● **اولا** : نهناك مهاجرون منذ وقت طويل ـ يمثلون ثلاثة أجيال جدودا وآباء وابنـاء . وهؤلاء سوريون ولبنانيون فى نسبتهم الكبرى ..

● **وثانيا** : هناك مهاجرون منذ وقت قريب نسبيا ذهبوا يبحثون عن العمل والاستقرار المعيشى ، ومعظمهم من الفلسطينيين والمصريين وبعض العراقيين والاردنيين .

ومن الطبيعى أن ينحصر كلامنـا هنـا عن القسم الاول ، أى المهاجرون الذين يرجع أصلهم فى البداية الى لبنان أو سوريا . . فؤلاء هم الذين تكلمنا عنهم من البداية ، وهم الذين يمكن أن نتابع النتائج التى حققوها حتى الان .. كمهاجرين ، وهم الذين نستطيع مقارنتهم فى النهاية بالمهاجرين الحديثين ، الذين وصلوا الى امريكا منذ مطلع الخمسينات .

اننـا سوف نلاحظ أولا ان المشكلة الاولى للجيـل الاول من المهاجرين اللبنانيين والسـوريين كانت هى التكيف مع هـذا المجتمع الجديد ابتداء من الصفر ، ابتداء من مجرد فهم اللغـة الانجليزية نفسها . الان اختفت هذه المشكلة من الجيل الثـانى، جيل الابناء الذى ولد متجنسا بالجنسية الامريكية .

وسوف نلاحظ ايضا انه بعد أن كان الجيل الاول يتكلم اللغة العربية ويجهل الانجليزية ، أصبح الجيل الثانى ـ جيل الابنـاء الذين ولدوا بأمريكا ـ يتكلم الانجليزية ويجهل العربية . ان ٢٠٪ من هذا الجيل الثانى ، و ٧١٪ من أبنائه .. لايفهمون ولا يتكلمون ولا يكتبون اللغة العربية .

**وهنا سوف نضع أيدينا على ظاهرة غريبة . ان هـذا الجيل الحالى من الابناء اكثر ارتباطا مع تاريخ وتراث واهتمامات امتـه العربية ، مما كان عليه آباؤه الذين هاجروا فى البداية . انها ظاهرة لاحظتها اكثر من مرة فى امريكا ، رغم ان الاباء كانوا اقرب الى تاريخ بلادهم العربية من ابنائهم . ورغم ان الابناء يجهلون حتى الحديث باللغة العربية . ولكن وجه الغـرابة يختفى عندما نعلم ان الجيل الاول كان اكثر اهتماما بتوفير الطعام منه بمتابعة قضايا بلده .. حكم اضطرارى . كما اننا بالاضافة الى ذلك سوف نجد مثيلا لهذه**

الظاهرة من الجيل الثالث للمهاجرين الالمان أو اليابانيين فى أمريكا خلال سنوات الثلاثينات والاربعينات .

ولو نظرنا الى هذا الجيل الحالى من المهاجرين ذوى الاصل اللبنانى أو السورى ـ فى مقارنة مع الجيل الاول من ابائه واجداده الذين جاءوا الى أمريكا قبل نهاية القرن التاسع عشر او فى مطلع القرن العشرين .. فاننا سوف نضع أيدينا فورا على اختلافات رئيسية بين النموذجين .. أوجه اختلاف . .واجه تشابه أيضا .

فالمواطن الامريكى الحالى .. صاحب الاصل اللبنانى اوالسورى .. هو شخص يتحول تدريجا الى الاعمال المتخصصة التى تحتاج الى كفاءات اكبر وتعليم أطول .. هذا خلاف . ولكنه مازال من ناحية اخرى يفضل أن يكون هو صاحب العمل وليس مجرد مستخدم . هذا استمرار . انه اذا لم يكن صاحب عمل .. فانه يسعى ليكون كذلك غدا . لهذا نجده الان قد اصبح فعلا ـ أو هو فى طريقه الى أن يكون ـ صاحب رأس المال فى الا قارات، مشروعات التأمين ، الحلاقة ، الغسيل ، ومحطات الخدمة . ..

انه الان ـ بعكس جده أو ابيه ـ متعلم . فى الواقع ان تعليمه كان رد فعل للمشكلة التى واجهها جده وابوه . لقد انشغل ابوه عن التعليم فى البداية بمشكلة أكثر الحاحا ، وهى مجرد البقاء حيا .. وعندما احس الاب بان عدم التعليم يحصره فى مجال اختيار محدود للغاية .. أصر على تعليم ابنه حتى النهاية .. وبينما كان الاب ينفق معظم أمواله على الطعام والملبس والمسكن ، فان الابن الحالى اصبح لديه مايسمح له بشراء اسهم والمضاربة فى البورصة والادخار لشراء منزل .. وبينما كان جده مشغولا بالحياة ، وكان ابوه مشغولا بالحياة السعيدة ، اصبح الابن مشغولا بالحياة مع الثروة .. لقد كان جده يتكلم العربية ويجهل الانجليزية ويفهم العربية، أما هو فانه الآن يتكلم الانجليزية بطلاقة طبعا ـ ويتكلم الفرنسية أيضا ـ ولكنه لايتكلم العربية ولايفهمها .. انه الان ياكل الهامبيرجرا الامريكى والسجق .. ولكنه فى المنزل يفضل الطعام العربى كل يوم احد . ان مايمنع زوجته من تقديم الطعام العربى كل يوم هو الوقت الضيق . ومع ذلك .. فانه حتى فى الايام العادية .. سوف تجده .. يتناول الطعام الامريكى فى منزله .. بعد اجراء التحسينات العربية عليه ، وبعد ان يحجز مكانا على مائدته لطبق من الكبيبة اللبنانية ..

انه الآن يستمع الى موسيقى الجاز خارج منزله والى فيروز ـ مع انه لا يفهمها ـ داخل منزله . انه يرقص التانجو كل اسبوع

. . والدبكة كل شهر . ان برامجه المفضلة فى التليفزيون هى الاستعراضات والرياضة والأخبار وبعض البرامج السياسيه . انه مع الحزب الجمهورى بحفظته ، ومع الحزب الديموقراطى بعواطف والده الذى رأى سنوات الكساد العظيم . ان عزيزة الملكية فى داخله اقوى ما يكن . . جزئيا بسبب الرغبه فى الأمن . . وجزئيا بسبب الأمل فى الثروة . انه مؤمن فى الاقتصاد بمبدأ «دعه يعمل» . وفى السياسة بمبدأ « دعه يتكلم» . وفى المسكن بمبدأ « دعه يرفع الايجار » . . لانه هو شخصيا مالك لمنزل . ان كل زملائه امريكيون ، ومعظم أصدقائه لبنانيون ، وبعض جيرانه مصريون . انه يكره الفقر لانه لم يحصل على الترقية من الطبقة العاملة الا مؤخرا . وبينما بدأ جده حياته فى أمريكا عاملا ، أصبح أبوه متوسطا ، وهو الآن يحاول أن يحتفظ بمكانه فوق الطبقة المتوسطة . ان احدى عينيه تتطلع الى قمة الجبل، والعين الاخرى تفزع من العودة الى السطح .

× × ×

هذا هو المواطن الأمريكي ذو الأصل اللبنانى السورى . . الذى اصبح اليوم نتيجة حيه لتلك الموجات الاولى من المهاجرين العرب، التى ذهبت الى امريكا قبل نهاية القرن التاسع عشر ومع بداية القرن العشرين . هذا هو المواطن الذى أصبح يمثل الآن — بعد أن لحق به مؤخرا مصريون وعراقيون وفلسطينيون وأردنيون — مليون مواطن فى امريكا .

**والسؤال الآن :** لماذا اذن لا نسمع عن نشاط مؤثر لهذا العدد الضخم الموجود فعلا داخل أمريكا كمواطنين أمريكيين ؟ لماذا لا نسمع عن ضغط سياسى فعال لهذه الأقلية العربية الأمريكية ، يتساوى على الأقل مع ما تمارسه كل اقلية اخرى داخل دهاليز السياسة الأمريكية ؟

ولكى يكون الأمر مفهوما . . فلابد ان أقرر مبدئيا ان الحرب الفلسطينية سنة ١٩٤٧ ، ثم حرب ١٩٦٧ قد أدت الهزيمة العربية فيهما الى اذلال كل عربى فى أمريكا بشكل مفزع ومريع . ان هذا يبدو اكثر وضوحا ، واكثر ألما ايضا ، خصوصا بعد النكسة المروعة التى وقعت للعرب امام اسرائيل فى تلك الأيام السوداء من سنة ١٩٦٧ . ان هذه الهزيمة قد جعلت هؤلاء المهاجرين ينقسمون فى ردود فعالهم الى قسمين :

**القسم الأول :** وهو الأقلية . . يتكون من هؤلاء الذين رأوا فى الموضوع كله مجرد هزيمة عربية لا يمكن تبريرها ولا تفسيرها .

ان مصادرهم الرئيسية فى المعلومات عنها وعن الاسابيع السابقة عليها تعتمد على الصحف الامريكية والتليفزيون الامريكى — وهذا القسم كان رد فعله السلبى هو التنكر مطلقا لأصله العربى .

**القسم الثانى :** وهو الأغلبية .. لم ير الهزيمة كمجرد مواجهة عسكرية تمت بين العرب واسرائيل ، ولكنه رأى أيضا الدور الأمريكى السابق واللاحق فى تأييد الوجود الاسرائيلى . ولقد كان رد فعل هذه الأغلبية هو فقدان الثقة فى صحة السياسة الأمريكية بالشرق الأوسط واهتزاز ايمانهم بصحة تمشى هذه السياسة مع المصالح الحقيقية لامريكا فى الشرق الأوسط . ان هذه الأغلبية هى التى بدأت تعطى مجهودها لشرح وتفسير حقيقة الموقف فى الشرق الاوسط للرأى العام الامريكى ، وبدأت ايضا توفر قاعدة مبدئية تعمل منها المقاومة الفلسطينية لابراز الشخصية الفلسطينية فى مواجهة الاحتلال الاسرائيلى . مواجهة تبدو على حقيقتها لأول مرة .

وقد بدأ هذا النشاط يصب فى تنظيمات جديدة تتكون ، أو منظمات سابقة أعيدت اليها الحياة . انها منظمات تضم شخصيات امريكية واعية ، بالاضافة الى اعتمادها على الوجود العربى فى أمريكا .

ولكن .. يثور السؤال مرة أخرى : لماذا لم تستطع كل هذه التنظيمات، على امتداد السنوات السابقة، ان تخلق فعلا اتجاهات مؤثرة فى الرأى العام الأمريكى ؟ لماذا — برغم هذه التنظيمات — لم تستطع الاقلية العربية فى أمريكا ان تباشر ضغوطا كالتى تباشرها الأقلية اليهودية هناك ؟ لماذا — على الأقل — لم تنظم حركات احتجاج ضد وسائل الاعلان كالتى نظمها الايطاليون مثلا ضد برامج التليفزيون التى تصورهم كمجرمين ؟

ان مثل هذه الضغوط — مثل هذه الجهود لشرح الحقائق — لا تبدأ من الصفر هناك، فهناك هذا المليون عربى . وهى لا تبدأ من القاع .. فالأساتذة العرب موجودون فى كل الجامعات والفنيون العرب يعملون فى معظم المجالات التى لم يعمل فيها آباؤهم . ان الاعداد والامكانيات البشرية متوافرة اذن ... ومع ذلك فانها لم تنتظم حتى الآن بشكل مرض على الاطلاق . هذه هى المشكلة التى لم تحل حتى الآن مع انها لو تم حلها .. لاستطاعت ان تحقق نتائج خيالية . يكفى انها تستطيع ان تقدم الوجه الحقيقى للقضية العربية .. الى مجتمع لا توجد فيه اغلبية . مجتمع اغلبيته هى مجموعة الاقليات التى تعيش فى داخله ! .

# عودة إلى المصريين :

# فنان بلا أبواب !



جرسي سيتى . . هى مجرد مدينة أمريكية تبعد عن نيـويورك ٤٥ دقيقة بالسيارة . ولأن المساكن غالية فى نيويورك . . وأرخص قليلا فى خارج نيـويورك . . فان عـددا من المصريين المهـاجرين العاملين بنيويورك يختارون مساكنهم فى جرسي سيتى . .

وعندما بدأ المصريون يتوافدون بكثرة على تلك المدينة الامريكية ـ جرسى سيتى ـ بداوا يحسون أنهم أصبحوا يشكلون جالية يتزايد عددها يوما بعد يوم . وعندما فكرت هـذه الجالية المصريه فى تنظيم نشـاطها الاجتماعى والروحى بدات تسـعد الحساب . ان أول فاتورة تلقتها الجالية المصرية فى جرسي سيتى كانت تحمل رقما بسيطا : ثلاثين الف دولار . هذا هو المبلغ الذى كان يجب

**على الجالية المصرية فى جرسى سيتى أن تسدده خلال أسبوعين .**
**و . . فعلا . فى خلال أسبوعين سددت الجالية المصريه فاتورة الحساب . سددت الثلاثين الف دولار .. من مجرد التبرعات التى جمعها المصريون فى جرسى سيتى من بعضهم البعض .**

**ان هذا المبلغ كان ثمن شراء كنيسة جرسى سيتى . كنيسة ساهم المصريون المهاجرون بنيويورك وجرسى سيتى — مسيحيين ومسلمين — فى التبرع لشرائها . انها تقع الآن فى ٤٢٧ ويست سايد أفينيو بجرسى سيتى . انهـا اصبحت أول كنيسـة قبطية يملكها المصريون فى أمريكا وأوربا معا . انها ليست مجرد كنيسة يشتريها المصريون لممارسـة نشاطهم الدينى . . ولكنهم اشـتروها لتكون فوق هذا مركزا لنشاط وطنى واجتماعى .. ومركزا لمسـاعدة المهاجرين الجدد أيضا . .**

وعندما ذهبت لأزور هذه الكنيسة فى جرسى سيتى . . قابلت هناك الدكتور ماهر كامل — ٥٢ سـنة — الذى يسـاهم بصـفة اساسية فى ادارة الكنيسة الجديدة ، بعد ان يفرغ من عمله اليومى كعميد لمعهد شئون الشرق الأوسط فى جامعة جرسى سيتى . وفى المرات العديدة التى قابلت فيها الدكتور ماهر كان يقول لى :

« . . اننا كنا نريد شراء هذه الكنيسة أصلا فى مدينة نيويورك . ولكن كل الكنائس التى رأيناها لا يقل ثمن الواحدة عن مليون دولار . رقم مازال أعلى كثيرا من امكانياتنـا كمهاجرين مصريين حـديثين فى أمريكا . .

« . . ولأن مدينة جرسى سيتى تعتبر عمليا ضاحية من ضواحى نيويورك . . فان البديل التـالى كان هو البحث عن كنيسـة هنا نشتريها لتخدم المصريين المقيمين فى نيويورك وجرسى سيتى معا .

« . . فى البـداية وجدنا أن الثمن الأصلى لهـذه الكنيسة هو ١١٠ آلاف دولار ، بالاضافة الى التجهيزات الأخرى المزودة بها .. ولكننا عندما تفاوضنا معهم هنا عرضـوا علينـا بيعها لنا بستين الف دولار .

« . . فى الحقيقة نحن وافقنـا على هـذا السـعر المنخفض — ٦٠ الفا — ولكنهم كانوا كرماء معنا للغـاية عندما علموا أننا ما نزال جالية حديثـة فى أمريكا ، واننا فى أشـد الحاجة لهـذه الكنيسة . لهذا اسـتطعنا فى اللحظة الأخيرة أن نشتريها بثلاثين الف دولار فقط . . اننا استطعنا ان نجمع هذا المبلغ من التبرعات التى قدمها المصريون المهاجرون هنا فى جرسى سيتى وفى نيويورك . . وعندما أقول المصريين هنا فاننى أقصد المسيحين والمسلمين . .

فلقد تبرع لشراء الكنيسة عدد كبير أيضا من الأخوة المصريين المسلمين هنا فى جرسى سيتى . ولم تكن التبرعات تقتصر على النقود فقط . . وانما امتدت الى التبرعات العينية أيضا . ان احدى السيدآت المصريات مثلا تبرعت بخاتم من الماس كانت تحتفظ به كهدية من زوجها .

« . . انك اذا كنت تتصور أن الثلاثين الف دولار هى مبلغ ضخم بالنسبة لحداثة هجرتنا الى امريكا .. فمن الضرورى أن تعرف أن عددنا ضخم أيضا . . فحسب آخر احصائية رسمية حصلنا عليها من إدارة الهجرة هنا . . نجد أن عدد العائلات المصرية فى مدينتى نيويورك وجرسى سيتى وصل فى العام الماضى الى ثمانية آلاف عائلة . واذا اعتبرنا أن كل عائلة تتكون من ثلاثة أفراد فقط ـ المهاجر وزوجته وابن واحد لهما ـ فان معنى ذلك أنه يوجد هنا ٢٤ الف مصرى .. يعيشون فى مدينتى نيويورك وجرسى سيتى وحدهما » .

× × ×

والواقع ان المصريين فى أمريكا أصبحوا يشكلون الآن واحدة من أسرع الجاليات نموا .. رغم أنهم يعتبرون أيضا من احدث الجنسيات التى هاجرت الى امريكا ..

ان الدكتور ماهر كامل نفسه هو واحد من هؤلاء المصريين المهاجرين الى امريكا . وبالاضافة الى ذلك فانه واحد من ثلاثة فقط فى أمريكا كلها الذين حصلوا على الدكتوراه مرتين فى الآداب والعلوم معا . ان الدكتوراه الأولى حصل عليها فى علم نفس الطفل من جامعة رينى بفرنسا . . والثانية حصل عليها من جامعة لوزان بسويسرا .

ان آخر عمل شغله الدكتور ماهر هو رئيس لقسم الفلسفة بكلية المعلمين . لقد ظل كذلك الى اليوم الذى سافر فيه الى أمريكا منذ ١٢ سنة . لقد عمل أولا أستاذا مساعدا فى جامعة جرسى سيتى .. وظل يترقى فى عمله الى ان اصبح الآن عميدا للمواد الاجتماعية ورئيسا لقسم الاجتماع ومديرا لمعهد شئون الشرق الأوسط فى الجامعة نفسها . معهد يلتحق به الحاصلون على البكالوريوس على الأقل . . لكى يحصلوا منه على الماجستير فى شئون الشرق الأوسط .

ولان الدكتور ماهر كامل يمثل نموذجا مشرفا من المهاجرين المصريين فى امريكا .. ولانه من ناحية أخرى رجل جامعى ، ثم له من ناحية ثالثة نشاط اجتماعى واسع بين المهاجرين المصريين ..

فقد دارت بيني وبينه مناقشات كثيرة عن أسباب النجاح والفشل بالنسبة للمهاجر المصرى الجديد فى أمريكا .

وعندما زارنى الدكتور ماهر مرة فى غرفتى التى اقيم بها فى نيويورك سألته : ما هى احتمالات تعطل المهاجر الذى يعمل فعلا فى أمريكا ؟

وقال الدكتور ماهر : من الضرورى أن تعلم مبدئيا انه يوجد فى أمريكا عمال عاطلون يزيد عددهم عن خمسة ملايين . . ولكن رغم ذلك فان هذا العدد لا قيمة له فى دولة يزيد عددها عن مائتى مليون . ثم انه بعد ذلك عدد يمثل كبار السن والمصابين بأمراض نفسية أو عصبية او المدمنين على الخمر والمخدرات . . كما يشمل السيدات اللائى يتوقفن عن العمل بسبب الحمل او المدة الأولى من الأمومة . وفيما عدا ذلك فان كل شخص فى أمريكا ــ رجلا كان او امرأة ــ له دخل خاص . . ويعتبر عضوا عاملا منتجا وليس عالة على المجتمع الأمريكى . فاذا تعطل عن العمل لأى سبب اصبحت مسئولية المجتمع أن ينفق عليه الحد الأدنى اللازم للحياة عن طريق التأمين الاجتماعى . انما اقول هذا كله لأننى أريد أن يكون الشخص المهاجر على استعداد سيكولوجى لمواجهة اية مصاعب تطرأ على حياته بعد هجرته .

**قلت للدكتور ماهر : هل الشهادات تمثل عاملا هاما فى خلق الاحساس بالأمن لدى المهاجر القادم الى هنا ؟**

**ولكنه أجاب بسرعة** : ان شهادة البكالوريوس أو الليسانس مثلا لا تزيد قيمتها بالنسبة للمجتمع الأمريكى عن شهادة الاعدادية . ومهما كانت سن الشخص أو خبرته فانه هنا يجب ان يواصل الدراسة فى الجامعات. وكم من مرة كان يؤم محاضراتى أفراد تزيد سنهم عن السبعين . . ويؤدون جميع الواجبات والتقارير والامتحانات جنبا الى جنب وبنفس الحماس الذى يتمتع به طالب او طالبة فى العشرين مثلا . لهذا يجب الا يعتبر المهاجر ابدا ان الليسانس أو البكالوريوس هو آخر المطاف بالنسبة له . . بل اننى اذهب الى ابعد من هذا . فهناك أعمال وتخصصات يستطيع ان يلقى صاحبها نجاحا أسرع من غيره . ولهذا ينبغى ان يكون الشخص المهاجر على استعداد لتغيير تخصصه وأن يعمل فى ميادين اخرى غير ما يحب أو ينوى . . . وأن يكون على استعداد لتعلم ماتستلزمه الاعمال الجديدة من خبرات . عندك المحامى مثلا . . ماذا يستطيع ان يعمل اذا نظرنا اليه على انه رجل تخصص فى القانون المصرى سواء القانون المدنى أو الجنائى . . الخ ؟ ان

القانون هنا يختلف عن المصرى ، ونظام المحاكم مختلف ، واللغة المستخدمة مختلفة . لابد اذن على مثل هذا الشخص المحامى ان يكون مستعدا قبل هجرته الى تغيير خبراته واتجاه تفكيره وعمله . انه يستطيع مثلا أن يدرس علم المكتبات والحصول على الماجستير فى المكتبات مع التخصص القانونى ، أو يستطيع دراسة التصدير والاستيراد الدولى والقوانين الخاصة به والاجراءات الجمركية المرتبطة بهذه العمليات . . أو يستطيع اذا سمحت الظروف وأصر على أن يظل محاميا — أن يدرس أربع سنوات ليتخرج كمحام امريكى ، لان كلية القانون هنا تدرس ثمانى سنوات وليست اربعا كما فى مصر . وكذلك يمكنه ايضا ان يدرس ويتدرب على أعمال البنوك والشركات المختلفة . . وينسى اطلاقا تكوين القانون . وهكذا توجد ميادين كثيرة تبعد عن خبرة المحامى السابقة كأعمال السياحة أو الأعمال الفنية أو التصوير أو دراسة العقول الالكترونية والتخصص فى اعداد المناهج الخاصة بها الشركات المختلفة .

**قلت للدكتور ماهر : هذا عن خريج الحقوق . . لماذا لا تستمر فى الامثلة ؟ لماذا لا تتحدث مثلا عن خريج كلية الزراعة ؟**

قال الرجل : اذا نظرنا الى خريج كلية الزراعة . . فيجب أن يعرف مقدما ان الزراعة فى أمريكا تمارسها عادة شركات كبيرة جدا على مستوى آلاف الأفدنة ، موجودة فى وسط أمريكا . أما الولايات الشرقية مثل نيويورك أو نيوجرسى مثلا فانها — رغم اتساعها — تهتم اساسا بالصناعة ، ولهذا اتجهت كليات الزراعة فيها الى التخصص فى الكيمياء العضوية . وبهذا يصبح خريج الزراعة رجلا كيميائيا يستطيع العمل فى مصانع الأدوية ومعامل المبيدات الحشرية والنواحى المختلفة من الانتاج الصناعى الكيميائى مثل التجميل أو انتاج الشعر الصناعى أو الاقمشة الكيميائية أو البلاستيك بصناعاته المتعددة أو فى معامل ابحاث الصناعات المختلفة . . الخ .

ثم يلاحظ الدكتور ماهر كامل أن هناك بعض الدراسات التى لا توجد فى الجامعات المصرية . . بينما خريجوها يحصلون على فرص ضخمة بمرتبات كبيرة . من هذه الدراسات مثلا دراسة علم الفنادق . . وهى دراسة جامعية عالية يقبل فيها الطالب هنا — فى أمريكا — بعد حصوله على البكالوريوس — ويتخصص فيها للماجستير أو الدكتوراه . ومن المفيد لمن يدرس هذا التخصص أن يجيد عددا من اللغات الاجنبية الحديثة وعلم الاجتماع والعلاقات الانسانية . . مع الالمام بادارة الاعمال والاقتصاد .

ويقول الدكتور ماهر : انه يوجد فى أمريكا مهاجرة مصرية واحدة استطاعت الحصول على الماجستير فى الفنادق واهى تعمل الآن نائبة المدير العام لاحد الفنادق الامريكيـــة الكبرى ( على فكرة والد هذه الفتاة المصرية الناجحة يعمل حاليا استاذا بكليـــة هندسة جامعة القاهرة ) .

ومن الذين يواجهون صعوبات بعد هجرتهم ـ كمـــا يلاحظ الدكتور ماهر ـ خريجو العلوم السياسية .. وهذه الصعوبة قائمة حتى بالنسبة للامريكيين انفسهم . اما خـريجو الهندسة فينجحون اذا كانوا متخصصين فى الكهرباء والميكانيكا .. بينما يواجهون الصعوبات فى البداية اذا كانوا متخصصين فى العمارة .. لان هندسة العمارة فى أمريكا مختلفة الى حـــد كبير جدا عنها فى مصر .

× × ×

ولقد نسيت بعد هذا كله ان اقول ان الدكتور ماهر كامل هو فى الواقع أكثر من مجرد عميد لمعهد شئون الشرق الاوسط بجامعة جرسى سيتى . انه « عمدة » أكثر منه عميد . عمدة للمصريين المهاجرين المقيمين فى جرسى ستى . انه يعيش هناك مع ولديه وزوجته التى تعمل استاذة لعلم النفس بجامعة نيوآرك . ان واحدا من ولديه ـ رءوف ـ مازال طالبا فى كلية طب جامعة كورنيل . وقبل أن يصل رءوف الى سنته السابعة ـ التى يدرس فيها حاليا ـ كان أول دفعته فى بكالوريوس العلوم .. ومع ذلك فان هذا لم يمنعه من أن يمارس هوايته المفضلة .. البنج بنج . فى هذه اللعبـــة مثل رءوف أمريكا ضمن فريقها فى بطولة العالم .. واستطاع ان يفوز بالمركز الثانى فى تلك البطولة العالميـــة . اما الابن الاخر للدكتور فقد تخرج منذ سنتين فى كلية طب كورنيل ايضـــا ، ثم حصل على البكالوريوس فى العلوم العسكرية بالاضـــافة الى شهاداته الطبية .

× × ×

والدكتور ماهر ليس هو المصرى الوحيد البارز فى الجامعات الامريكية . فى الواقع أن هناك عشرات غيره من المصريين الذين أصبحوا يتمتعون بسمعة علمية طيبة داخل الجامعات الامريكية. عشرات قابلتهم ، وعشرات سمعت عنهم .

من الذين سمعت عنهم مثلا .. الدكتور **محمد الوكيل** ، وهم يعتبرونه من انبغ الاســـاتذة الجـــامعيين الذين تخصصوا فى استخدامات الطاقة الذرية . وفى معظم المؤتمرات التى تجــرى

لبحث استخدامات الطاقة الذرية .. سوف نرى كتب الدكتور الوكيل وآراءه مصدرا هاما يرجع اليه العلماء من جنسيات متعددة

وهناك ايضا المهندس **ابراهيم خليفة** الذى يعمل الآن نائبا لرئيس مجلس ادارة شركة فيليبس دوتش وهى أكبر الشركات المنتجة لمعدات مصانع الاسمدة والكيماويات .. والمهندس محمود الطاهرى الذى يعمل مديرا لشركة أخرى من أكبر شركات تكييف الهواء ، والدكتور مصطفى العجيزى ـ واحد من ابرز خبراء بحوث العمليات فى شركة آى . بى . أم . للعقول الالكترونية ، والدكتور هارون محروس الذى يعمل حاليا رئيسا لقسم الهندسة الكهربائية فى معهد « برات » .. من أكبر المعاهد الهندسية فى شرق امريكا .

ولو عدنا الى اساتذة الجامعات فمن النادر ـ كما سبق أن اشرت ـ ان نجد جامعة امريكية بغير استاذ عربى .. أو مصرى بالذات . عندك مثلا الدكتورعزيز سوريال عطية الذى يدير الان معهد دراسات الشرق الاوسط بجامعة « يوتا » ان الجامعة ـ بعد أن نشر الدكتور عزيز عدة كتب هامة باللغة الانجليزية ـ قررت ان تطلق اسمه على مكتبتها الضخمة فاصبحت تسمى الآن « **مكتبة عزيز عطية** » . وعندك ايضا الدكتور **سامى بولس** رئيس قسم التربية بجامعة نيويورك الحكومية فى « نيو بولز » بولاية نيويورك .. والدكتور **عصمت المايرجى** ـ من أبرز أساتذة جامعة سبرنجفيلد .. والدكتور **حامد كمال الدين** الاستاذ بجامعة أوكلاهوما .. والدكتور **عباس يسرى** الاستاذ بجامعة سنسناتى فى اوهايو .. والدكتور **سابا حبشى** الاستاذ بكلية حقوق جامعة كولومبيا الذى اهدته الجامعة درجة الدكتوراه الفخرية بعد ان حقق نجاحا كبيرا هناك .

واهناك .. وهناك .. اسماء كثيرة لامعة من المصريين الذين لمعوا هناك رغم الصعوبات الكثيرة أو القليلة التى واجهها كل منهم فى البداية .

ولو حسبنا مدى الفائدة التى تعود علينا من وجود أستاذ مصرى فى جامعة أجنبية ـ مجرد وجوده ـ فسوف نجد انها أكبر كثيرا مما نتوقع . فنحن من غير أن يتكلم هذا المصرى المثقف فى السياسة .. وبدون أن يضع نفسه وشعبه فى موقف الدفاع .. فان مجرد وجوده .. مجرد ثقافته .. مجرد بروزه علميا .. هو أحسن اعلان متحرك عن حضارة الشعب الذى ينتمى اليه انني أستطيع أن اضرب على ذلك عشرات من الامثلة للاساتذة

المصريين الذين قابلتهم فى أمريكا . ولكننى سوف اختار نماذج قليلة اقدمها كمجرد اختيار شخصى .

فلو بدأت - مثلا - بالدكتور **رجائى الملاخ** - ذلك الاستاذ المصرى البارز فى الاقتصاد بجامعة كولورادو فسوف أقول فورا: ان رجائى ذهب الى امريكا كمجرد طالب يدرس الماجستير منذ عشرين سنة . وعندما تفوق رجائى فى الماجستير أعطته الجامعة منحة للدراسة الدكتوراه .. الى ان حصل عليها فى الاقتصاد من جامعة رادجارز فى نيوجرسى . ومنذ سنة ١٩٥٦ أصبح الدكتور رجائى استاذا للاقتصاد فى جامعة كولورادو .. ورئيسا لقسم دراسات الشرق الاوسط وافريقيا بنفس الجامعة . ولاول مرة قرر الملاخ - بعد مجهود كبير - ادخال اللغة العربية كمادة اختيارية يدرسها كل من يعد دراسات جديدة عن الشرق الاوسط وتاريخه .

وعندما نشبت ازمة تاميم قناة السويس سنة١٩٥٦ كان اول بحث علمى ينشر فى أمريكا مفسرا وجهة نظرنا فى الموضوع .. هو البحث الذى نشره الدكتور رجائى فى جريدة الشرق الاوسط بجامعة كولورادو . وبعدها ايضا نشر اول بحث مماثل عن السد العالى فى الجريدة الاقتصادية التى تصدرها جامعة اوسكانس . وبالاضافة الى ذلك فان اخر عمل كبير للملاخ هو الكتاب الذى نشره له مركز دراسات الشرق الاوسط فى جامعة شيكاغو . كتاب عن اقتصاديات الكويت ، واثنى عليه فى المقدمة يوجينى بلاك الرئيس السابق للبنك الدولى . ثم أصدر الملاخ كتابا اخر عن اهمية البترول العربى بالنسبة لاقتصاديات الولايات المتحدة ونشر فى بريطانيا وامريكا فى وقت واحد . والملاخ الان هو مؤسسة تعليمية عربية فى حد ذاته .. بعد أن تخرج على يديه فى الجامعة ٩٥ طالبا عربيا من بينهم ثمانية مصريين . وفى السنة الماضية وحدها نال أربعة دارسين مصريين درجة الدكتوراه فى الاقتصاد على يديه .

وعندما تقابل الملاخ فسوف يقول لك على الفور : ان فى أمريكا سبعة ملايين طالب بالجامعات والمعاهد العليا . انهم يمثلون عددا اكبر من سكان الكويت ولبنان والاردن وليبيا مجتمعة ومع ذلك فان الاعلام العربى لا يحاول مطلقا الوصول اليهم . انهم - الطلبة - هم الذين عملوا على اقناع شعبهم بخطأ السياسة الامريكية فى فيتنام .. ومع ذلك فان جهة عربية واحدة لم تحاول

حتى الان ان تقيم علاقات فكرية لشرح قضايانا لهم . لا شيء مطلقا .. سوى المجهودات الفردية . وحتى حينما نعمل كأفراد على شرح حقيقة الموقف فى الشرق الاوسط لهم .. فاننـــا لا نجد المساعدة الكافية من أجهزة الاعلام العربية .. اننى أتذكر ما حدث لى مرة فى سنة ١٩٦٨ عندما قرات مقالا معاديا للعرب فى الجريدة التى تصدرها الجامعة ويقراها ثلاثون الف طالب . وعندما اتصلت برئيس التحرير لاشرح له مدى انحياز المقال الى جانب اسرائيل ، قال لى انه يتلقى يوميا ثلاث نشرات على الاقل من منظمات صهيونية مختلفة تشرح له وجهة نظـر اسرائيل فى قضية الشرق الاوسط ، بينما لايتلقى اى شيء على الاطلاق يمثل وجهة النظر العربية .

وعند هذا الحد ــ يقول الملاخ ــ اتصلت بمدير مكتب الجامعة العربية فى نيويورك مكالمة طويلة من كلورادو . ورجوت المدير ان يرسل مطبوعاته ونشراته الى جريدة « كلورادو ديلى » .. التى تصدرها جامعة كلورادو . ولكن السيد مدير مكتب الاعلام قال ان على الجريدة ان ترسل الى المكتب طلبا رسميا بذلك محددة فيه ما تطلبه بالتفصيل ــ والا فان المكتب لن يرسل اليها نشراته ــ كما لو كانت تلك نشرات سرية لا تصدر للتوزيع العام ! ولقد شعرت وقتها بالاسف الشديد لمثل هذا الاسلوب غير الاعلامى فى العمل الاعلامى . انه يتصور العمل الاعـــلامى عملا مكتبيا كل مهمته كتابة ملخص لاقوال الصحف . اسلوب لا يحاول مطلقـا الاتصال والنزول الى القطاعات المؤثرة فى الرأى العام الامريكى .. ليس هذا مع السبعة ملايين طالب فقط .. وانما مع الـ ٢٢ مليون أسود فى امريكا . ان هذا يحدث .. بالرغم من أن السود والكلية يمثلان قوتين ضخمتين ومتعاطفتين معنا داخل المجتمع الامريكى ..

x x x

والواقع أن هذه الكلمات التى سمعتها من الدكتـــور رجائى الملاخ هى نفسها التى ســـــمعتها من كل معظم المثقفين المصريين المهاجرين فى امريكا . وخصوصا اساتذة الجامعات منهم . ولقد كان من الامور المؤسفة مثلا ان ارى عددا كبيرا من ابرز الاساتذة المصريين فى الجامعات المصرية يدخلون مكتب الجامعة العربية فى نيويورك لاول مرة عندما دعاهم ابراهيم شكر الله .. مدير المكتب ــ الى اكثر من اجتماع لسماع وجهة نظرهم . لقد فوجئت ــ

وفوجىء ابراهيم نفسه — بأنها أول مرة يتلقون فيها الدعوة من مسئول اعلامى عربى للاستماع اليهم ! ان واحدا من هؤلاء مثلا قال لى : « اننى أحسست لاول مرة برابطة شخصية مع هذا المكتب عندما دخل معى الاخ ابراهيم شكر الله فى مناقشة علمية عن اليسار الجديد فى امريكا. هذه أول مرة احسست فيها اننى اتناقش مع خبير اعلام وليس مع موظف اعلام . خبير علمى يريد نتائج للنجاح .. وليس موظفا بيروقراطيا يبحث عن أعذار للفشل » . ان المتكلم هنا هو الدكتور محمد المصرانى استاذ ادارة الاعمال فى جامعة سان جون بنيويورك . ان الدكتور المصرانى هو نفسه نموذج آخر من نماذج النجاح بين المهاجرين المصريين فى امريكا . لقد بدأ حياته فى الاسكندرية كمجرد مدرس للغة الانجليزية ثم مأمور ضرائب وبعد أن ترك الضرائب وسافر الى أمريكا .. حصل على الماجستير ثم الدكتوراه فى ادارة الاعمال .. حيث عمل بعدها استاذا مساعدا فى جامعة سان جون بدخل سنوى يصل الى ١٨ الف دولار ، وله كتاب ممتاز قررته الجامعة على طلبة الماجستير فى ادارة الاعمال .

ومع كثرة أعمال المصرانى .. فانها لم تمنعه من تأسيس « النادى الامريكى المصرى » فى مدينة نيويورك . ناد تأسس منذ اشهر قليلة فقط ، وبدأ بمائة عضو وهدفه تقديم المساعدات الاجتماعية المحدودة لاى مهاجر مصرى جديد . ومن خبرة الدكتور المصرانى ونشاطه بين المهاجرين المصريين فانه يقول : « ان أول مشكلة تواجه المصرى المهاجر هنا هى اللغة . انه يكتشف بعد حضوره أنه لم يدرس اللغة الانجليزية بما فيه الكفاية . ونتيجة لذلك يكتشف أن عليه تدعيم دراسته فيها باحدى طريقتين .. اما الالتحاق ببرنامج خاص فى احدى الجامعات لمدة ستة اشهر بتكاليف تصل الى ستمائة دولار . طبعا هناك طريقة ثانية وهى الاعتماد على الممارسة العلمية .. انها طريقة أوفر .. ولكنها اطول زمنا ..

« .. ومع ذلك فاننى أعرف عددا كبيرا من المصريين الناجحين هنا وخصوصا فى مجالات الهندسة والطب والاقتصاد وادارة الاعمال والمحاسبة !» .

× × ×

وفى مجال المحاسبة بالذات تستطيع أن تجد عددا كبيرا من الشبان المصريين الذين تخرجوا حديثا قبل هجرتهم بخمس

او ست سنوات على أكثر تقدير . من هؤلاء مثــــلا قابلته فى نيويورك شابا مصريا اسمه فاروق سلامة بشاى . ان فاروق بعد تخرجه من شعبة المحاسبة بتجارة القاهرة ـ عمل محاسبا بشركة الطيران العربية فى القاهرة ، ثم مراجع حسابات فى شركة القاهرة للملبوسات . وعندما هاجر فاروق الى أمريكا منذ سنة ونصف سنة فقط كان عمره لا يتجاوز الثامنة والعشرين وكانت زوجته تعمل مأمورة ضرائب .. حيث تخرجت هى الاخرى من شعبة المحاسبة بتجارة القاهرة .

وقبل ان يقوم فاروق بالهجرة فعلا بعدة شهور بدأ ينفـذ مع زوجته تجربة جديدة . لقد قال لها : لماذا لا نجرب التحدث معا فى البيت باللغة الانجليزية منذ ساعة عودتنا من عملنا الى صباح اليوم التالى ؟ لماذا لا ننفذ ذلك كتجربة نطبقها بكل دقة لاجادة مستوانا فى اللغة قبل ان نهاجر فعلا ؟

وفعلا .. نفذ الزوجان هذه التجربة ، بالاضافة الى مراجعة وتنشيط معلوماتهما الدراسية .. والالتحاق ببرامج تعليميــــة جديدة فى المحاسبة واللغات .. الى ان هاجرا فعلا الى نيويورك. ان فاروق يعمل الآن مراجع حسابات بمرتب تسعة آلاف دولار سنويا فى شركة « ويلمارك سيرفيس سيستيم ا» وهى شركة للخدمات والتسويق . اما زوجته فهى الاخرى مراجعة حسابات فى هيئة رقابية على مصانع ملابس السيدات .

وخلال مناقشتى مع فاروق فى منزله بجرسى سيتى قال لى عدة ملاحظات منها مثلا : « .. اننى اكتشفت عند حضورى الى هنا أن ٧٥ ٪ من معــلوماتى عن الحيـــاة فى أمريكا صحيحة والباقى خطأ » ..

« .. واكتشفت أيضا أن على ان اقوم انا بعمــل عــدد من التأمينات الاجتماعية اللازمة لتحقيق نفس درجة الامن التى كنت اتمتع بها فى مصر . ان على مثلا ان اشترك فى نظام التـأمين الصحى ـ بالنسبة لى ولزوجتى وطفلتى ـ بمبلغ يصل الى ثلاثين دولارا فى الشهر بخلاف التأمين الذى تدفعه شركتى بالنسـبة للعاملين بها . وبالاضــــافة الى ذلك فقد عملت بوليصة تأمين بعشرين الف دولار لحساب أسرتى .. وهى تكلفنى خمسين دولارا شهريا .

« .. واكتشفت أيضا ان رخصة قيادة السيارات التى كانت معى فى مصر قد افادتنى هنا اكثر مما افادتنى رخصة القيـادة

الدولية الى عملتها من نادى السيارات بالقاهرة . لقد ترجمت رخصة قيادتى فى القاهرة الى اللغـــة الانجليزية واعدتها من القنصلية الامريكية .. وبهذه الرخصة أستطعت أن اتفادى اجراء الاختبار العملى عن القيادة الذى تشترطه كل ولاية هنـــا . ان الاختبار التحريرى ضرورى مهما كان شانك . ان الاختبار العملى الرسوب فيه معناه ان التحق باحـدى مدارس التـدريب على قيادة السيارات هنا.. باشتراك يصل الى مائة وخمسين دولارا

× × ×

والواقع اننى لم اجد فى نيويورك كلها شخصا « محافظا » فى قيادته للسيارة أكثر من فاروق هذا . ان معه الحق .. فنظام المرور هنا دقيق .. والعقوبات صارمة . فعندما يزيد معدل مخالفاتك عن نقطة معينة يسحبون منك رخصة القيادة نهائيـا ولا تستطيع الحصول على رخصة جديدة الا اذا انتقلت الى ولاية جديدة . ان هذا التشدد ضرورى لمنع تزايد معدل حـــوادث السيارات هنا . معدل وصل الى ١٥ مليون حادث فى العـام الماضى فقط . رقم كان يكرره لنا فاروق كلما ركبنا ــ امير سابا وأنا ــ فى سيارته الفولكس فاجن ذاهبين الى جرسى سيتى او عائدين الى نيويورك او متجهين الى المكتب الترانستور لشركة الطيران العربية .

فى هذا المكتب ــ مكتب الطيران العربية ــ تستطيع ان تلتقى بشخصية ملفتة : عبد العزيز عيد .. المدير النشيط للمكتب وسميحة قورة الموظفة المصرية المؤقتة هناك . ان عبـد العزيز ليس مهاجرا ولكن سميحة هى مهاجرة بشكل ما .

ان سميحة ــ فتاة طويلة رشـــيقة واسعة العينين تدرس المسرح فى نيويورك وتعمل مؤقتا كموظفة محلية فى الطيران العربية وتقيم مع أختها الشابة الاخرى ــ نادية ــ فى شقق الحى الشرقى من مانهاتن فى نيويورك . شقة ايجارها مائتا دولار شـهريا . انهما أول فتاتين مصريتين أراهما فى امريكا كمهاجرتين . انهما تمثلان فى رأيى ــ بعد نادية التى رأيتها فى مونتريال بكندا ــ أول نماذج للفتاة المصرية التى تجتاز الحدود وتهاجر وتعمل معتمدة على نفسها .. انها فتاة تواجه الحياة هنا وحدها بكل ثقة .. بكل جرأة وأمل فى المستقبل . ان الحنين الى الوطن والاهـل والاسرة موجود هناك فى داخلها .. موجود باقوى مما هو موجود فى اى رجل .. ولكن التصميم على الحياة بشرف موجود أيضا

.. موجود بأكثر مما يتوقعه اى رجل ! ان نادية وسميحة تعملان كموظفتين محليتين فى نيويورك . نادية موظفة فى الوفد الكويتى بالامم المتحدة وسميحة موظفة فى الطيران العربية . ان نادية اسبق من سميحة فى السفر الى امريكا . انها اسبق اكثر خبرة اقدر احتمالا واكثر مصرية . انها مصرية فى قلب نيويورك .. من شعر الراس حتى أخمص القدم . انك لاتملك فى النهاية سوى ان تحترمها وتقدرها وتتمنى لها النجاح !

x x x

ان النجاح له سمعة .. مثلما لكل شيء آخر سمعة . ولقد سمعت عنهما أولا من صديق لى يعيش فى نيويورك . صديق مصرى .. فنان .. فنان ذائع السمعة .

ان جمال الزغبى .. هذا هو اسمه ــ هو مجرد شاب مصرى درس العمارة بجامعة القاهرة وتخرج منذ ١٢ سنة وعمل معيدا بهندسة جامعة الاسكندرية . ولكننى سمعت عنه أولا ــ قرات عنه اولا ــ فى الصحف والمجلات الامريكية . قرات عنه فى مجلة « مدموازيل » ومجلة « اميركان هوم » قرات عنه دائما باعتباره الفنان « .. **الشاب المصرى الناجح الذى يملك افكارا جديدة ومتنوعة فى فن العمارة .. والذى يبحث عن حلول فنية لمشكلة الانسان المعاصر الذى يعيش فى مدينة مزدحمة ضخمة كنيويورك»**

هل جمال هو كل هذا ؟ نعم . هو هذا ــ واكثر . لقد ذهب الى امريكا فى البداية لدراسة الماجستير فى العمارة وعندما وصل الى مطار واشنطن فى تلك الليلة .. ليلة مصرع كنيدى ــ جلس مع حقائبه فى المطار ليلة كاملة بغير مليم واحد فى جيبه .. من هناك بدا عدد من زملائه المصريين يساعدونه فعنــــدما درس فى آن اربر بولاية ميتشجان ساعده الدكتور فتحى الديب ــ الذى كان ــ وقتها رئيسا للنادى العربى فى آن اربر ــ وقدم له مسكنه بعدها ساعده ايضا الدكتور صلاح عبد العزيز .. و .. و .. المهم أن جمال حصل بعد سنتين على الماجستير بدرجة الامتياز

هنا بالضبط يقول جمال : « اننى فى الواقع لم احس بالامتنان أو التقدير أو الوفاء لاساتذتى فى القاهرة .. الا بعد ان درست هنا فى امريكا . لقد كنت أحس ان كل تفوق احققه . انما يرجــع الفضل فيه اولا للمستوى الذى علمنا به أساتذتنا فى جــامعة القاهرة .

وبعد الماجستير تزوج جمال بأمريكيه وحصـــل على اقامة دائمة ، وبدأ يعمل كمصمم معمارى بمكتب المهندس المعمـــارى « ماكس ابريان » بمرتب متواضع ..وهو ١٢٥ دولارا فى الاسبوع وعندما نجح جمال فى أول تصميم له لمدرسة ثانوية بمدينـــة نيويورك ارتفع مرتبه الى ١٦٠ دولارا فى الاسبوع ، ثم الى مائتى دولار قبل ان تمر عليه سنة .. ومائتين وخمسين دولارا قبل ان تمر سنتان . وحينما اصبح جمال فى عامه الثالث ــ رئيس قسم التصميم بالمكتب قدم استقالته . لقد عرض عليه صاحب المكتب رفع مرتبه الى خمسمائة دولار فى الاسبوع ولكنه اعتذر. انه يقول « .. اعتذرت لاننى اردت لنفسى الحرية من زواجى ومن عملى .. حيث وجدت نفسى مشتتا بين الطرفين .. لقد اعتذرت رغم ان صاحب المكتب نفسه ــ ماكس ابريان ــ كان كريما جدا على ومقدرا لعملى .. ان ماكس هو الان رئيس لجمعية المهندسين المعماريين الامريكية .. وخـــلال عملى معه صممت مدرستين لهيئة التعليم بنيويورك فازت احداهما بجائزة أحسن مدرسة من حيث التخطيط .. وفازت الاخرى بجائزة احسن مبنى خرسانى .. وصممت أيضا مكتبة لجامعة نياجرا ومشروعين اسكانيين لمدينتى نيويورك وسان فرانسيسكو .. بالاضافة الى عدد من المشروعات الاخرى . لقد تركت هذا كله لاعمل مدرسا فى كلية العمارة بمدينة نيويورك .. نيويورك سيتى كوليدج ــ حيث أعطى ١٥ ساعة للتدريس والباقى وقتا اخصصه كله للعمل وادارة مكتبى الخاص للرسوم المعمارية . وفى خلال تلك الفترة اختارتنى لجنة من رؤساء تحرير مؤسسة لايف وتايم الامريكية لعمل رسومات لاعادة بناء مدينة بابل . مهمة كان أجرى فيها هو ٣٦٠٠ دولار . بهذا المبلغ قررت أن أعيد تصميم شـــقتى ومكتبى الخاص حسب نظرياتى التى اومن بها فى العمارة . هذه هى الشقة التى قرات عنها انت فى المجلات والصحف الامريكية .. بعدها وقع على الاختيار لتصميم مكتب شركة استثمار فى وال ستريت كمشروع يتكلف نصف مليون دولار .. ثم مشروع آخر لجامعة نيويورك .. ومطعم مصرى فى برودواى ثم المعرض المعمارى الذى أقامته مدينة نيويورك واختارونى للاشتراك فيه مع ١٨ فنانا معماريا اخر . اننى الان اعمل فى التدريس بمعهد برات فى بروكلين بنيويورك ــ وهو احد خمسة معاهد مشهورة فى الهندسة المعمارية بأمريكا .. كما اننى اقوم بتدريس الماجستير

فى العمارة لثلاثة عشر طالبا اجنبيا من تايلاند والصين والهند وغانا ومصر » .

ان الشخص الذى يقول هذه الكلمات هو مجرد فنان مصرى شاب فى الخامسة والثلاثين من عمره . ان ايراده من التدريس هو عشرة آلاف دولار فى السنة ، ولكن ايراده من عمله الخارجى وصل فى العام الماضى وحده الى ستين الف دولار .. بالاضافة الى المنزل الذى اشتراه بسبعين الف دولار فى غرب شارع ٨٧ بمدينة نيويورك . منزل يؤجره جمال ويحصل منه على ٥٥٠ دولارا شهريا وينوى بيعه بعد تعديله بنصف مليون دولار .

وفى كل مرة كنت اذهب الى جمال لارى شقته الخاصة فى ذلك المنزل .. كنت أريد ان اكتشف فيها الشىء الذى جعلها مثيرة للصحف والمجلات الامريكية . كنت أنزل من غرفتى بجمعية الشبان المسيحيين فى شارع ٤٧ واقول للتاكسى « لو سمحت .. أريد ان اذهب الى ٣١٣ غرب شارع ٨٧ وبلا كلمة واحدة من سائق التاكس — ولا حتى هزة راس — كان السائق ينقلنى الى منزل جمال » ..

ان صديقى جمال هو عذر لى .. لكى اتحدث عن دنيا كاملة .. دنيا اخرى تعيش داخله وحوله ..

فمن اللحظة الاولى التى تزور فيها جمال بشقته .. فى ذلك الجزء الهادىء من غرب شارع ٨٧ — فانك تحس فورا انك تركت الدنيا التى اعتدتها خلفك .. ودخلت دنيا اخرى مختلفة تماما لقد تركت نيويورك ..بزحامها وضجيجها وضوضائها واختناقاتها — ودخلت دنيا أخرى — وما زالت موجودة فى نيويورك ايضا . انها ليست مجرد شقة عادية .. تلك التى يسكن فيها صديقى جمال . ان الشىء العادى فيها هو فقط باب الشقة الخارجى . انه باب .. مثل اى باب . ولكن بعد هذا الباب لن تجد فى الشقة اى باب آخر . لا أبواب .. لا حوائط .. لا عوازل .. لا نوافذ .. لا ستائر .. لا شىء مطلقا سوى مساحة مفتوحة . لقد الغى جمال كل الحجرات داخل الشقة ، فتحولت الشقة كلها الى مجرد حجرة كبيرة واسعة . فى داخل هذه الحجرة الواسعة لن تجد سوى لونين اثنين فقط .. الابيض والرمادى .. ان اللون الثالث داخل الشقة سوف يكون بشرتك ! ان فكرة صديقى جمال فى هذه الشقة مازالت هى نفسها كما نشرتها له مجلة « تايم » الامريكية .. « ان كل شخص محتاج الى ركن يتأمل فيه

.. فى هذا الركن يستطيع أن يفكر .. يتأمل .. يحلم .. ويبتعد قليلا عن زحام الحياة » .

هذه هى فكرة جمال فى شقته . انه يرى ان « .. المهندس المعمارى .. يجب أن يؤمن بأن كل انسان محتاج الى مثل هذا المكان ، تماما مثل حاجته الى الطعام والشراب » ..

ولان جمال فنان يريد هو الاخر مكانا يتأمل فيه .. فقد بدأ بنفسه . لقد بدأ بتحويل شقته هذه الى مكان ينعزل فيه عن الطبيعة ، عن الدنيا ، عن الزحام والضجيج الذى يطاردك فى كل ركن من نيويورك . لقد امسك بقطع كبيرة من الخشب وبدأ يصنع ديكوره الجديد لهذه الشقة ..

ولكى تكون متأكدا فان الشقة ليس فيها اى ديكور على الاطلاق .. انها مجرد مكان واسع .. بمنصة عالية فى الجانب الايمن .. ومنصة منخفضة فى الجانب الايسر .. وركن فى اليمين .. ومساحة بيضاء فى الشمال . ان المنصة العالية هى – بالنسبة له – حجرة الرسم . المنصة المنخفضة هى حجرة الاستقبال . الركن هو السرير . المساحة البيضاء هى بمثابة شاشة لعرض الافلام .. بعد هذه المساحة – لا شىء ! لا شىء اكثر من مكان خلف الشقة .. هو بمثابة مطبخ ، ومكان آخر هو بمثابة التواليت هو الاخر مفتوح . لا حائط هناك .. ولا باب ... ولا شىء على الاطلاق يعزلك عن باقى الذين يجلسون فى الشقة .. لا شىء لا حواجز .. ولا اثاث . ان الشقة كلها ليس فيها قطعة اثاث واحدة .. هذا هو تفكير جمال .. انه يرى أن « .. الانسان هو الذى يتحرك .. اما الاثاث فيجب أن يكون ثابتا » ..

**هذه هى الشقة التى يعيش فيها صديقى جمال .. هذه دنياه .. هذه مملكته .. لقد اختفت الحواجز من هذه الشقة .. مثلما اختفت من حياة جمال نفسه .. ان جمال ليس لديه حياة خاصة به . ان مايخصه يخص كل انسان اخر . هكذا يريد هو ان يعيش . ان الصداقة بالنسبة له ليست مجرد صداقة . انها تحالف عسكرى .. انها اتحاد فيدرالى .. اتحاد مفتوح.. تستطيع ان تدخله متى تشاء .. وتخرج منه متى تشاء .. اذا تركت جمال .. فتستطيع أن تعود بعد سنة لتجد ان صداقته لك مازالت موجودة هناك .. موجودة عند نفس النقطة التى تركته فيها بالضبط .**

لهذا السبب فاننى كنت اكتشف كل يوم ان جمال أهم من شقته الفريدة . انه اهم ما فيها . انه امامى دائما فى كل مرة اذهب الى هناك : عريض الكتفين .. قوى البنية .. طويل الشعر .. مستطيل الوجه .. غليظ الشفاه .. ضخم الانف .. بفتحتين واسعتين حساستين .. وعينين تشبهان ثقبين واسعين محروقين فى بطانية من الصوف !

انه امامى دائما فى كل مرة .. بيده الممدودة .. وضحكته المميزة .. وكلماته المتكررة .. « اهلا أبو حنفى » .. دا احنا النهاردة حنضحك ضحك .. » !

نعم سوف نضحك الليلة كثيرا .. ربما لم احضر الى جمال الا لكى اضحك .. هذه هى العملة الصعبة فى نيويورك . ان الناس امامى طوال النهار عاملون مرهقون جادون متعبون يتحركون بسرعة ويرتاحون فى هدوء ويبتسمون فى بطء .. أما جمال فانه انسان آخر غير هؤلاء الذين كنت اقابلهم طوال اليوم .. انه ليس فقط انسانا اخر .. وانما هو جنس آخر على كوكب اخر تماما . لهذا كنت أشعر ان زيارة جمال هى الشىء الذى ينسينى تعب اليوم كله . ان دنياه مختلفة عن دنياى .. مختلفة كثيرا . اننى أموت فى نيويورك كل يوم مائة مرة .. ولكن جمال كان يعيش فى كل يوم الف مرة !.. انه يدرس ويعمل ويعيش ويحب . ان الحب بالنسبة لجمال هو الصداقة .. هو الناس . هو الزحام الذى يصنعه الناس دائما فى شقته كل يوم خميس . ان شقة جمال كانت هى المكان الوحيد فى نيويورك اذهب اليه بقميص مفتوح وحذاء يلمع . اننى فى الصباح اذهب الى الامم المتحدة يوميا بحذاء يلمع ــ ضرورى ــ ولكن ليس بقميص مفتوح . ان القميص يظل مفتوحا الى مسافة عشرة امتار فقط من مبنى الامم المتحدة بعد هذه الامتار العشرة لابد ان اخرج « الكرافتة » من جيبى واربطها فى عنقى .. من هذه اللحظة فصاعدا .. سوف أسير ، واتكلم ، واناقش باحساس رجل محكوم عليه بالاعدام . ان الكرافتة فى رقبتى تعطينى دائما هذا الشعور . ولان شقة جمال هى المكان الوحيد فى نيويورك الذى اذهب اليه بغير كرافتة .. فاننى ادخلها بشعور شخص أطلق سراحه حالا . شخص تحرر من حبل المشنقة منذ دقيقة . ان القميص مفتوح . ولكن الحذاء يلمع .. هنا ضرورى لكى لا افسد انسجام كل شىء يلمع داخل الشقة ..

وفى كل مرة ادخل فيها شقة جمال مساء كل خميس .. فاننى كنت دائما أجد فيها هذا الزحـام : اناسـا من كل لون وصنف وجنس .. ناسا طوالا وقصارا وبين بين .. بنـات وشـبانا وعواجيز . انهم جميعا مختلفون فى ارائهم .. فى ملابسهم .. فى أمزجتهم .. ولكنهم جميعا فنانون ! انهم جميعا يحبون الفن .. أو يتعاطون الفن .. او يريدون أن يعيشوا حيـاتهم بفن ! انهم جميعا أصدقاء يعلمون ان باب الشقة مفتوح دائما كل يوم خميس .. فى يوم الخميس يتنازل جمال عن شقته ، عن دنياه لتصبح شقة مفتوحة ودنيا مفتوحة . ان اى شخص يستطيع ان يحضر مع أى شخص . وكل شخص يستطيع ان يفعل أى شىء دون ان يلتفت اليك أحد . انك تجلس أو تقف أو تنـام او تضـحك او ـ حتى تبكى ـ او تشاهد الافلام السـينمائية ، او تتناول عشاءك ، أو تشرب كأسك أو تسمع موسيقاك .. دون ان يزعجك احد .. انك تستطيع ان تفتح اى مناقشة وتقحم نفسك فى اى مناقشة .. دون ان ينزعج احد !

انها نماذج غريبة من الناس .. تلك التى كنت اجدها دائما فى شقة جمال كل يوم خميس .. ان معظمهم دخل هذه الشقة الان دون أن يعرف الاخر . ولكنهم جميعا ـ بعد خمس دقائق فقط ـ اصبحوا أصـدقاء جـدا .. تستطيع ان تلمس ذلك من نوع المناقشات الضحكات ، النكات ، القفشات ، الاسئلة .

مرة تسألنى فتاة من الموجودات : قل لى لو سمحت .. كيف تنظرون الى الجنس فى بلادكم .. فى مصر ؟ واحترت بماذا ارد . لهذا قلت لها .. انت يا عزيزتى مازلت صغيرة على هذا السؤال .. وانا مازلت صغيرا على الاجابة اقترح ـ لاغراض عمليـة أن نبدا بما هو متوافر فعلا .. فتشرحى لى عمليـا وجهـة النظر الامريكية فى الموضوع !

وقبل أن اتم كلماتى جذبنى من ذراعى رجل آخر ـ لا أعرفه بعد ـ وقال لى : هل احضرت صديقتك معك الليلة ؟

وقلت له : لا .. هل احضرت انت زوجتك ؟!

ـ لا ..

وترددت لحظة ثم قلت له : هل أسـتطيع أن اقترض منك قلم حبر ؟

أجاب الرجل : بكل تأكيد ..

**قلت : وورقة صغيرة ؟**

**اجاب : طبعا ..**

**قلت : شكرا .. هل اجد معك طابع بريد ؟**

**- يجوز ..**

**- هل تعطيني عنوان منزلك ؟**

**طبعا .. ولكن .. لماذا ؟**

**- سأكتب خطابا الى زوجتك مصرحا فيه بعواطفى نحوها ..!**

وضحك الرجل من النكتة - طبعا هى نكتـــة ! - ثم قال لى بلهجة جادة ..

- انت لا تعلم يا صديقى .. ان زوجتى تعبدنى .. فى الواقع انها قالت لى الليلة اننى نموذج للزوج المثالى ! قلت مستنكرا .. « نموذج » للزوج المثالى ؟ هل انت متأكد انها قالت لك ذلك ؟

اجاب الرجل بدهشة .. نعم ..

قلت له : هل انت تعرف معنى كلمة «نموذج» هذه فى القاموس؟

- لا .

- هنا .. ان « نموذج » معناها لغويا شىء تقليد .. تقليـــد صغير .. لشىء اصلى حقيقى كبير ! ابحث عن اصلك اذن !!

وعنـــدما تركت هـــذا الرجل مع ضحكاته - ما زلت لا أعرفه - التفت نحوى سيدة متوسطة العمر وهى تسألنى : تصور أن جونى يسألنى عن تاريخ ميلادى ؟! هل هذا - بذمتك - ســؤال يوجهه رجل الى امرأة ؟ وقلت لهـــا : لا بأس ... اذكرى له القــرن الذى ولدت فيه !

هكذا كانت تستمر ضحكاتنا كل ليلة . اننا لم نكن نعرف بعضنا قبل خمس دقائق .. ولكننا الآن نبدو كما لو كنا أصدقاء منذ خمس سنوات الجميع يضحكون فى براءة ... يتناقشون .. يتكلمون فى بساطة ..

ان جمال يحب البساطة فى دنياه هذه ، لهذا تنطبع البساطة على كل من يدخل هذه الدنيا ان حياته مثل دنياه - مثل شقته - هى مزيج من البساطة .. والخطوط المستقيمة .. والمساحات الواسعة . والألوان القليلة . ان شخصية جمـــال هى مزيج من تلك الالوان القليلة .. ولكن الحادة فى تناقضها .. ان خياله يحلق فى السماء

.. بينما قدماه تقفان على الارض .. ان قلبه يحبه دائما .. وعقله عملى أبدا . انه مثالى فى آرائه .. وواقعى فى أعماله . ان احدى عينيه تنظر للجمال فى السماء .. والعين الاخرى تبحث عن الجمال فى السرير . ان احدى يديه ترسم لوحة .. والاخرى تتحسس لوحة . ان أعصابه باردة للغاية .. بينما عواطفه ساخنة جدا . انه يحب فى منزله كل شىء بسيط .. الديكور، الاضواء ، والناس. أنه فى هذه الشقة يريد الجمال.. ولكنه يريد الراحة قبل الجمال .. الانسجام قبل الجمال . ان الالوان هادئة والضوء شاحب والخطوط مستقيمة والصوت خافت . ان الابعاد فى تفكيره أيضا منسجمة : بطىء .. ثابت.. عملى متحفظ.. مسالم .. ان الاصرار هو أقوى صفاته والحب أقوى عواطفه والتفكير أكبر همومه والثقة أصدق طباعه والطموح أبرز دوافعه والبساطة أحسن آماله والمرأة أحب أهدافه ..

ان المرأة تستطيع أن تحصل من جمال على أى شىء بعد الساعة السادسة مساء .. بعد أن يؤدى عمله جيدا . انها تحصل منه على أى شىء ..وهو يعطيها كل شىء.. مادامت ستصل معه الى السرير بعد خمس دقائق .. أو بعد سنة ! لاشىء فى هذا العالم يستطيع أن يمنع جمال من ذلك سوى عمل أمامه .. أو صديق بجانبه . ومع ذلك فان جمال مستعد لاقتسام كل شىء مع صديقه . كل شىء .. ابتداء من طعامه وشقته حتى .. فتاته ! نعم .. انه يقتسم معك فتاته بنفس المنطق الذى يقتسم به معك آخر كسرة خبز ! ان بعض الناس لا يوافق قطعا على ذلك .. يوافق على اقتسام كل شىء – كل شىء حقا – مع صديقه .. ولكن جمال يفعل ذلك .. انه يفعل – ويستطيع – لانه لا يهتم بالناس .. يهتم فقط بأصدقائه من بين الناس . ان جمال فى هذا – وفى أشياء أخرى كثيرة – مختلف عن الناس ..

xxx

ان جمال هو آخر مهاجر رأيته فى نيويورك قبل عودتى الى القاهرة .. فى الواقع أن جمال هو واحد من ثلاثة أشخاص جعلونى أرى نيويورك بعض الوقت كشىء أكثر قليلا من وجود ناطحات السحاب.. ومبان عالية .. وشوارع مزدحمة . ان الشخص الثانى لايربطه بجمال سوى مجرد الابتسامة .. فكلاهما يبتسم دائما .. وكلاهما له النظرة الساخرة للحياة دائما . أما بعد هذا السطر فالشخصان

يختلفان فى كل شىء فى العمل ·· والنظرة الى الحياة ·· وأسلوب التفكير ··

اذا كان جمال بوهيميا فى حياته ·· فان الشخص الثـانى هو العكس مطلقا ·

اذا كان جمال تربطه بنيويورك علاقةدائمة كمهاجر ·· فانالثانى تربطه بها علاقة مؤقتة كضيف ·· اذا كان جمال فنان يعمل مهندسا ·· فالثانى فنان يعمل دبلوماسيا ·· اذا كان الاول ينظر للحيـاة بألف عين ·· فان الثانى ينظر لها بعين واحـدة ·· فالعين الاخرى ثابتة حيث توجد زوجته الرقيقة المهذبة ·

ان هذا الصديق الثانى اسمه : ابراهيم شكر الله . دبلوماسى مصرى عمل فى نيويورك مديرا مؤقتا لمكتب الجامعة العربية بها ··

هذان هما أول شخصين أضافا الى نيويورك فى خيالى لمحة انسانية

ولكن .. مازال هناك شخص ثالث أحببت نيويورك من خلاله. شخص ــ ربما فلت منى متنكرا فى بعض صفحات هذا الكتاب ــ ولكن اسمه لن يفلت منى الآن ··

الى هؤلاء أهدى كل الصفحات السابقة ·· صفحات لهـا عنوان عصرى : مصرى .. بمليون دولار .. ثم لها عنوان آخر غير عصرى : « الدفع المتين ·· فى شرح أحوال المساكين ·· من المصريين ·· الذين يعيشون فى بلاد الافرنج والامريكيين · »

# فهرس الـكتاب


كليوباترا
الخبرة العربية + أجود
الأدخنة العالمية
كليوباترا
FILTER TIPPED
CLEOPATRA
KING SIZE




**طفلك ياسيدتى لن يرضى بغير منتجات بسكو مصر !**

# ارابيسكو

**الشركة المصرية للاغذية ( بسكو مصر )**

# هذا الكتاب

●● المصرى يبحث عن العلم والسورى يبحث عن الشهرة واللبنانى عن المال . المصرى مثقف والسورى مجادل واللبنانى متعب . المصرى مطيع والسورى متمرد على السلطة واللبنانى ثائر ضدها . المصرى قنوع والسورى متطلع واللبنانى مجازف . المصرى موظف غالبا والسورى تاجر أحيانا واللبنانى تاجر دائما . المصرى محافظ عادة والسورى مغامر نادرا واللبنانى مغامر أبدا . فتكون النتيجة هى :

اللبنانى يفشل أحيانا وينجح غالبا والسورى ينجح أحيانا ويفشل نادرا والمصرى يعيش .. يعيش فقط .

●● و ... هذه أول نتيجة خرج بها الكاتب الصحفى محمود عوض بعد أن تأمل فى حياة مليون و ٨١ ألف مهاجر مصرى وسورى ولبنانى يعيشون فى كندا وأمريكا .

●● ان المؤلف سافر الى كندا وأمريكا لمدة أربعة أشهر .. وخرج فى النهاية بهذا الكتاب - أول كتاب يتناول بصراحة حياة المصريين المهاجرين هناك : هل نجحوا .. هل فشلوا .. ولماذا ؟

●● لقد رأى فى كندا وأمريكا مئات من المصريين المهاجرين وناقشهم وحلل قصص نجاحهم أو فشلهم وناقش مدى تكيفهم مع تلك المجتمعات الجديدة عليهم .. ابتداء من أول مصرى يصبح نصف مليونير .. الى أول مصرى يطلق زوجته هناك !

●● انه كتاب .. سوف ينفد من السوق مثلما نفد الكتاب السابق للمؤلف مرتين : « أم كلثوم التى لا يعرفها أحد » !







الثمن ٢٥ قرشا